شباب الاحياء الشعبية العاطل عن العمل واستراتيجيات التعايش والمقاومة

في ليبيا و تونس و المغرب

تحت إشراف

ألفة لملوم ومريم عبدالباقي

فريق البحث والتحرير

أسماء خليفة / فوزي بوخريص / محمد رامي عبدالمولى

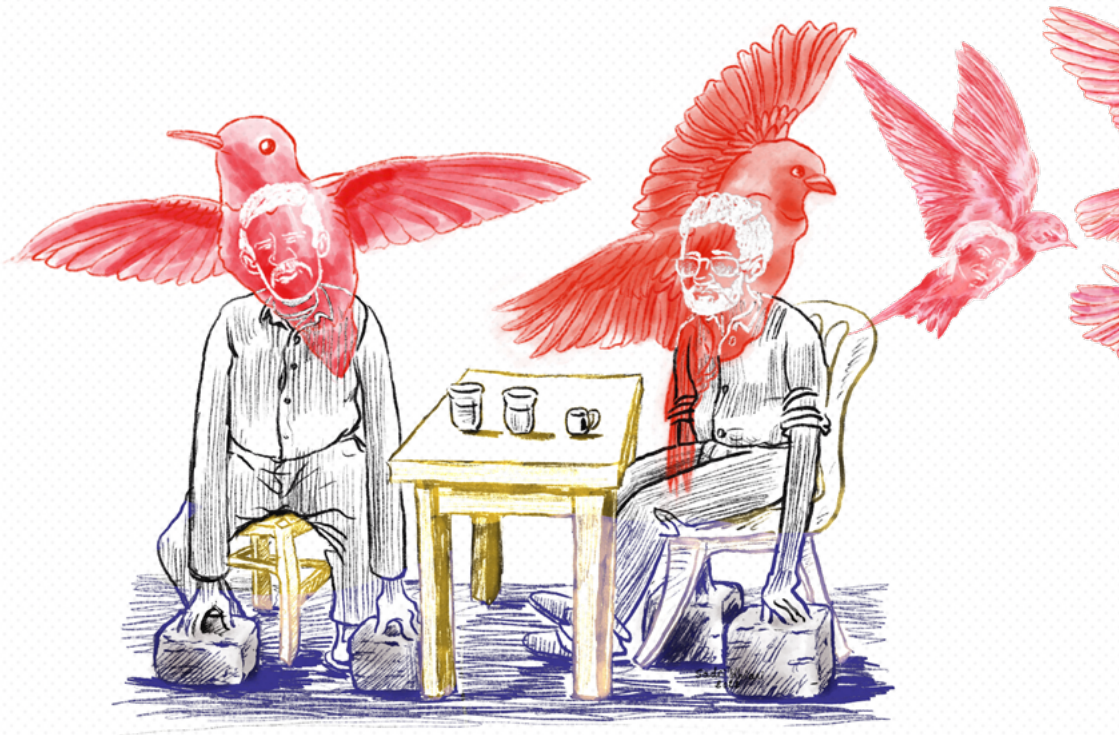

جوان 2022

شباب الاحياء الشعبية العاطل عن العمل
واستراتيجيات التعايش والمقاومة
في ليبيا و تونس و المغرب

حول إنترناشونال ألرت تونس

انرتناشـونال آلـرت هـي منظمـة دوليـة غـر حكوميـة تعمـل مـن أجـل تعزيـز السـلام وحـل النزعـات في العالم. لها صفـة العضـو الاستشاري في منظمـة الأمم المتحدة.
يعمـل مكتـب تونـس لمنظمـة انرتناشـونال الرت منـذ 2012 على دعم الحقـوق الاقتصاديـة والاجتماعيـة وتعزيـز مشـاركة الشـباب فـي الاحيـاء الشـعبية والمناطق الداخليـة و اسـناد آليـات الديمقراطية التشـاركية المحليـة ومشـاريع نموذجيـة فـي الاقتصـاد الاجتماعـي والتضامنـي.

© إنترناشونال ألرت 2022

جميـع الحقـوق محفوظـة. لا يجـوز نسـخ أي جـزء مـن هـذا المنشـور، أو تخزينـه في نظـام لاسـتعادة البيانـات، أو نقلـه بـأي شـكل مـن الأشـكال وأي وسـيلة مـن الوسـائل الإلكترونيـة أو الآليـة، أو عـن طريـق النسـخ أو التسجيل أو غـر ذلـك، مـن دون نسبه كلياً إلى المصـدر.

تصميم النسخة العربية: مهدي الجليطي
صور: صدري خياري

حول مؤسسة فريدريش إيبرت

مؤسسة فريدريش إيبرت هي مؤسسة ألمانية غير ربحية تمولها حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية، ويقع مقرها في بون وبرلين.

تأسست عام 1925 وسميت على اسم أول رئيس ألماني منتخب ديمقراطياً، فريدريش إيبرت. تلتزم مؤسسة فريدريش إيبرت بالنهوض بالتنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بروح الديمقراطية الاجتماعية، عبر التربية المدنية والبحث والتعاون الدولي. وتعد مؤسسة فريدريش إيبرت أقدم مؤسسة سياسية في ألمانيا.

لمزيد من المعلومات حول مؤسسة فريدريش إيبرت
www.fes.de

شباب الاحياء الشعبية العاطل عن العمل واستراتيجيات التعايش والمقاومة في ليبيا و تونس و المغرب

تحت إشراف

ألفة لملوم ومريم عبدالباقي

فريق البحث والتحرير:

أسماء خليفة
فوزي بوخريص
محمد رامي عبدالمولى

العمل الميداني:

سهام الشرفادي
جمعية سلا المستقبل
محمد الصول

حظيت هذه الدراسة بالدعم المادي واللوجستي من قبل مكتب فريدريش ايبرت في تونس وليبيا والمغرب فكل الشكر لكل الذين حرصوا على إنجاح هذا المشروع.

السير الذاتية للباحثين والمشرفين

أسـماء خليفـة: ناشـطة وباحثـة ليبيـة تعمـل منـذ سـنة 2011 فـي مجـال حقـوق الإنسـان والمـرأة وتمكيـن الشـباب. منخرطـة فـي دعـم مشـاركة المـرأة فـي الحكومـة المحليـة والتصـدي للعنـف القائـم علـى النـوع الاجتماعـي. فـي عـام 2015 ، شـاركت فـي تأسـيس حركـة النسـاء الأمازيغيـة. كمـا شـغلت العديـد مـن المهـام كمستشـارة وباحثـة حـول قضايـا النـوع الاجتماعـي وتعزيـز القـدرات فـي بنـاء السـلام فـي ليبيـا. تقـوم حاليًـا بتحضيـر أطروحـة دكتـوراه فـي المعهـد الألمانـي لدراسـات المناطـق العالميـة تبحـث فـي تأثيـر الحـرب الأهليـة فـي ليبيـا علـى العلاقـات بيـن الجنسـين.

الفـة لملـوم: دكتـورة فـي العلـوم السياسـية ومديـرة مكتـب انترناشـونال الـرت بتونـس. شـغلت سـابقا باحثـة فـي المعهـد الفرنسـي للشـرق الأدنـى فـي بيـروت واسـتاذة مسـاعدة فـي العلـوم السياسـية فـي جامعـة ناتـار، باريـس 10.

من اصدارتها:

Jeunes et violences institutionnelles. Enquêtes dix ans après la révolution Tunisienne, (co-dir.), International Alert et Arabesques, Tunis, 2021.

The Middle East in the Media. Conflicts, Censorship and Public Opinion (co-dir.) Saqi Books, London, 2009.

فـوزي بوخريـص: دكتـور فـي علـم الاجتمـاع ومتحصـل علـى شـهادة التبريـز فـي الفلسـفة وأسـتاذ التعليـم العالـي ونائـب عميـد كليـة العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة فـي جامعـة ابـن طفيـل بالقنيطـرة فـي المغـرب. مـن اصداراتـه:

التربية البيئية وإشكالية بناء المواطن الايكولوجي، منشورات الرباط نت ، الرباط 2021.
(مشترك مع ذ. عبد الله هرهار)

فـي سوسـيولوجيا الأحـزاب السياسـية: الاحـزاب السياسـية بالمغـرب بيـن التنميـة المحليـة والتنميـة السياسـية، منشـورات الربـاط نـت، الربـاط، 2019 (مشـترك مـع د. مليكـة موحتـي)

فـي سوسـيولوجيا العمـل الجمعـوي بالمغـرب: مـن التطـوع إلـى العمـل المأجـور، كوثـر برانـت، الربـاط، 2015.

محمـد رامـي عبـد المولـى: متحصـل علـى ماجسـتير فـي الأدب الفرنكوفونـي وماجسـتير فـي الصحافـة متعـددة المنصـات. مترجـم وكاتـب صحافـي مهتـم أساسـا بالقضايـا الإجتماعيـة- الاقتصاديـة: هجـرة غيـر نظاميـة، اقتصـاد مـوازي، السياسـات الاقتصاديـة، إدارة المرفـق العـام، البيئـة واسـتغلال المـوارد الطبيعيـة. يعمـل ضمـن فريـق منصـة "السـفير العربـي" ويتعـاون مـع عـدة مواقـع ومنصـات صحافيـة أخـرى: جريـدة الأخبـار اللبنانيـة، أوريـان 21، المفكـرة القانونيـة، المراسـل، The Funambulist.

مريـم عبـد الباقـي: متحصلـة علـى ماجسـتير فـي نظريـات العلاقـات الدوليـة مـن جامعـة لنـدن للإقتصـاد والعلـوم السياسـية ومديريـة برامـج فـي انترناشـونال الـرت - مكتـب تونـس. شـغلت سـابقاً علـى مشـاريع إقتصاديـة وسياسـية فـي مصـر وعملـت كمعيـدة تغطـي سياسـات الشـرق الأوسـط والعلاقـات الدوليـة فـي القاهـرة.

المحتويات

مدخل إلى البطالة الشبابية واستراتجيات التعايش والمقاومة 08
الفة لعلوم ومريم عبد الباقي

حي أبو سليم، ليبيا 13
أسماء خليفة

حي التضامن، تونس 26
محمد رامي عبدالمولى

حي سلا القديمة، المغرب 68
فوزي بوخريص

مدخل إلى البطالة الشبابية واستراتجيات التعايش والمقاومة

الفة لعلوم ومريم عبد الباقي

ما انفكت الدراسات السوسيولوجية منذ ثلاثينات القرن الماضي، بداية من العمل الرائد لعالمة الاجتماع ماري جاهودا حول العاطلين عن العمل في قرية صغيرة في النمسا في سنوات 1930[1]، تؤكد على ان البطالة هي «محنة» تتماهى مع الموت الاجتماعي [2].

مع ذلك بقيت الأبحاث التي تتناول وقع البطالة على راحة وصحة العاطلين عن العمل شحيحة حتى وان توصل بعضها الى استنتاجات مهمة. ففي فرنسا على سبيل المثال اثبتت احداها ان العطالة تسبب ارتفاعا في معدلات الوفيات لدى الذكور والاناث من العاطلين عن العمل وتدهورا في صحتهم الجسدية والنفسية يشهد عليه ارتفاع سلوكيات الإدمان لديهم. كما خلص عمل بحثي آخر الى اثبات وجود علاقة مباشرة بين البطالة وارتفاع نسب الإصابة بأمراض القلب والشرايين والسرطان[3]. وفي نفس السياق، أظهرت دراسة أجريت في مصر وجود علاقة سببية لدى الشباب بين هشاشة عملهم من جهة وصحتهم النفسية من جهة اخرى. وخلصت إلى أنه كلما كانت الوظيفة مستقرة وتعاقدية، كانت الصحة العقلية للفرد أفضل. بالإضافة إلى ذلك، بينت ان وقع هذا الوضع على النساء أقوى مقارنة بالرجال. كما ان فقدان وظيفة قارة والانخراط في وظيفة موسمية أو عرضية له تأثير على الصحة النفسية للفرد مماثل لوضعية بطالة.[4]

نادرة جدا هي أيضا الإصدارات البحثية التي رصدت تمثلات العاطلين عن العمل لبطالتهم واستكشفت مساراتهم الحياتية وتجاربهم في البحث عن عمل او استراتيجياتهم للعيش وتلبية الاحتياجات الاساسية والتأقلم مع العطالة او العطوبة [5] والتعامل مع العزلة الاجتماعية والوصم وضغوط العائلة ووقت الفراغ. وتظهر شحة هذه الدراسات المنطقة العربية بشكل جلي. فعلى الرغم من الاهتمام المتنامي بالمسائل الاجتماعية والشبابية خصوصا منذ اندلاع الثورات العربية، لم تحظ هذه المداخل البحثية بالاهتمام اللازم، اذ ركز معظم ما نشر على الحراك الاحتجاجي للعاطلين عن العمل، خاصة من حاملي الشهادات الجامعية[6].

1 JAHODA (Marie) et al., Les Chômeurs de Marienthal, Paris, Éditions de Minuit, 1982 [1933],144 p.

2 انظر LINHART (Danièle) et al., Perte d'emploi, perte de soi, Paris, Erès, 2009, 190 p, DEMAZIÈRE (Didier), La Sociologie du chômage, Paris, La Découverte, 1995, 128 p., PAUGAM (Serge), « L'épreuve du chômage: une rupture cumulative des liens sociaux ? », Revue européenne des sciences sociales, XLIV-135, 2006, pp. 1127-.

3 Pierre Meneton, Léopold Fezeu, Serge Hercberg, Joël Ménard, Mmes Emmanuelle Kesse-Guyot, Pilar Galan and Caroline Méjean, « Unemployment is associated with high cardiovascular event rate and increased all-cause mortality in middle-aged socially privileged individuals », enquête SUIVIMAX International archives of occupational and environmental health.

4 Ehab, M. (2019), Employment transitions youth and mental health implications in Egypt, Economic Research Forum. https://erf.org.eg/publications/employment-transitions-of-youth-and-mental-health-implications-in-egypt/?tab=undefined&c=undefined

5 انظر مثلا الى Mona Amer, 2015, « Patterns of Labor Market insertion in Egypt. 19982012- », in Ragui Assaad and Caroline Krafft, The Egyptian Labor Market in Era of Revolution, Oxford Scholarship Online, June 2015.

6 انظر مثلا في الحالة المغربية Montserrat Emperador Badimon. Lutter pour ne pas chômer : le mouvement des diplômés chômeurs au Maroc . Lyon, Presses universitaires de Lyon, 2020.

يحاول هذا الإصدار الجديد لانترناشونال الرت تقصي هاتين المسألتين مركزا على التأثير النفسي للبطالة على الشباب العاطل عن العمل وتجربته اليومية في درئها ومواجهتها والتعايش معها والتعاطي مع مخلفاتها. وقد تبنت فصوله الثلاث مقاربة نوعية استندت على مقابلات فردية وشهادات ونقاشات تفاعلية في إطار مجموعات بؤرية شارك فيها شبان وشابات يقطنون في ثلاثة احياء شعبية في المغرب وتونس وليبيا، وهي على التوالي مدينة سلا القديمة في الرباط، حي أبو سليم في طرابلس وحي التضامن في تونس، اعتمادا على دليل تنشيط موحد.

تم تنظيم ثلاث مجموعات بؤرية في كل حي، ضمت الأولى مجموعة ذكور عاطلين عن عمل لم يستكملوا تعليمهم ، وخصصت الثانية لمجموعة من الاناث اللاتي لم يستكملن تعليمهن في حين كانت المجموعة الثالثة مختلطة وضمت ذكورا واناثا من حاملي الشهادات المعطلين عن العمل.

يعكس اختيار هذه البلدان الثلاثة رغبة منظمتنا، انترناشونال الرت ا لتي تعمل منذ سنوات في تونس، في توسيع دائرة مقاربتها المجالية المقارنة في دراسة الشباب في الهوامش على اعتبار ان ظاهرة البطالة الشبابية في بلدان المغرب، وبصفة اشمل في المنطقة العربية، من اهم التحديات التي تواجه مجتمعاتها، كما انها تتنزل ضمن مسألة اللاعدالة الصارخة التي تعاني منها.

وعلى الرغم من افتقار المنطقة العربية الى بيانات دورية عن الدخل والثروة، وهي ضرورية لقياس التفاوتات الاقتصادية والاجتماعية، فان هناك شبه اجماع على انها تسجل اقل درجات المساواة في العالم حيث تشير ارقام الى استحواذ 10% من السكان الأكثر ثراء على نسبة 58% من الدخل مقارنة مثلا بالبرازيل او افريقيا الجنوبية المعروفتان بفداحة الفوارق الاجتماعية فيهما واين تتراوح هذه النسبة بين 50 و55%[7].

جاء التقرير الأخير لمنظمة الاسكوا لسنة 2022 ليؤكد من جديد على ان نسبة البطالة في صفوف الشباب والشابات في المنطقة العربية هي الأعلى عالميا على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية.

وقد برزت هذه العطالة في العقود الأخيرة كظاهرة بنيوية عارمة، ورغم ان ارقامها ليست دائما محينة ودقيقة وهي في كل الحالات وان وجدت لا تعطي الا فكرة عامة عن الظاهرة [8] -فإن البنك العالمي مثلا يقدر نسبتها حسب أحدث الأرقام المتوفرة في سنة 2020 ب 28.4% [9]. ومن المرجح أن ترتفع هذه الأرقام في السنوات القادمة لتمر من 14.3 مليون شخص في عام 2019 الى 17.2 مليون شخص في عام 2030[10]. وبحسب ارقام البنك العالمي بلغت، في سنة 2020، نسب البطالة في صفوف الشباب الناشط البالغ من العمر ما بين 15 و24 سنة 51,5% في ليبيا و26,6% في المغرب و38.1% في تونس.

ومع ذلك لم تكتف البطالة بالتوسع في صفوف الشباب من الوافدين الجدد على سوق العمل، بل ان كل المؤشرات تدل على ان المدة المتوسطة لهذه البطالة قد تمددت مستهدفة بدرجة اولى شباب الهوامش الحضرية وبشكل خاص الفتيات رغم التقدم التي أحرزنه في مجال التعليم وتحصيل الشهادات مقارنة بجيل امهاتهن. اذ تبلغ نسبة البطالة بين الشابات في المنطقة 40%

7 انظر الى كتاب : Thomas Piketty, Le Capital au XXI siècle.

8 ذلك ان إحصائيات المنظمة العالمية للعمل تعتبر ان العاملين يضمون كل من هم في سن العمل أي ما فوق ال15 سنة والذين خلال فترة وجيزة سبقت الإحصاء قد اشتغلوا.

9 https://donnees.banquemondiale.org/indicator/SL.UEM.1524.ZS?locations=1A.

10 نفس المصدر

وهـي الأعلـى علـى مسـتوى العالـم وتمثـل ضعـف نسـبة بطالـة الشـباب الذكـور[11]. كمـا ان أرقـام منظمـة العمـل الدوليـة المسـتندة علـى آخـر الإحصائيـات المتوفـرة تفيـد بـان نسـب البطالـة للذكـور وللإنـاث هـي علـى التوالـي: 40,82% و67,84% فـي ليبيـا و22,05% و22.75% فـي المغـرب و33.8% و 37.2% فـي تونـس.

وتشـكل العطوبـة والهشاشـة الوجـه الاخـر لتفشـي البطالـة، وهـي تشـمل عامليـن وعامـلات بـدون عقـود، وبـلا اي تغطيـة صحيـة او اجتماعيـة. وان كان مـن الصعـب احتسـاب وزنهمـا الحقيقـي والالمـام بـكل تمظهراتهمـا فـلا شـك ان أحـد تعبيراتهمـا تزايـد أعـداد الشـباب المنخرطيـن فـي القطـاع غيـر المنظـم، اذ تقـدر نسـبتهم فـي المنطقـة العربيـة بحوالـي 85%[12].

ومـن نافلـة القـولان جائحـة كورونـا قـد كان لهـا وقـع اقتصـادي واجتماعـي كارثـي علـى الشـباب المنحدريـن مـن طبقـات شـعبية ان مـن حيـث فقدانهـم -او أحـد افـراد عائلتهـم- لوظائفهـم خصوصـا فـي القطـاع غيـر المنظـم او فـي قطـاع الخدمـات الهـش. ففـي تونـس مثـلا صـرح 20% مـن الشـباب المتراوحـة أعمارهـم بيـن 18 و29 سـنة مـن بيـن العاطليـن عـن العمـل بأنهـم فقـدوا عملهـم بسـبب الكورونـا ، كمـا أكـد 18% مـن المنتميـن إلـى نفـس الفئـة العمريـة ان أحـد افـراد عائلتهـم قـد فقـد عملـه بسـبب الجائحـة.

وكان مـن نتائـج الجائحـة انهـا دفعـت، حسـب تقاريـر رسـمية، 16 مليـون انسـان فـي المنطقـة العربيـة الـى هـوة الفقـر، ليبلـغ عـدد الفقـراء فيهـا أكثـر «مـن 116 مليونـا أي مـا يقـارب ربـع السـكان».

فـي ليبيـا يعتبـر حـي أبـو سـليم الواقـع فـي جنـوب طرابلـس مـن أكبـر أحيـاء العاصمـة الليبيـة. يعانـي شـباب الحـي مـن الوصـم المرتبـط بمـكان سـكنهم نظـراً لوقـوع سـجن ابوسـليم فيـه أيـن عـذب وقتـل الاف المعتقليـن السياسـيين الليبييـن. هـذا بالإضافـة إلـى أهمـال الحـي وتكـدس السـكان فيـه. وكان الحـي شـاهدا علـى مواجهـات عنيفـة خـلال الثـورة الليبيـة.

فـي حـي التضامـن الواقـع علـى تخـوم العاصمـة تونـس والـذي تشـكل عبـر موجـات متعاقبـة مـن النـزوح الداخلـي تبلـغ نسـبة السـكان الشـباب دون سـن 29 سـنة أكثـر مـن النصـف ويصـل معـدل البطالـة الشـبابية فيـه الـى قرابـة 20% وتناهـز 28% فـي صفـوف الشـباب حاملـي الشـهادات. لعـب الشـباب دورا مركزيـا فـي الحـي ابـان الثـورة، ثـم تعاقبـت الحكومـات ووعودهـا دون أن تتغيـر أحـوال حـال الشـباب فـي الحـي.

مدينـة سـلا هـي اهـم المراكـز الحضريـة فـي جهـة الربـاط تنامـى عـدد سـكانها هـي الأخـرى علـى وقـع تصاعـد موجـات الهجـرات الداخليـة. يسـكنها اليـوم حوالـي نصـف مليـون نسـمة وتبلـغ فيهـا البطالـة حسـب التقديـرات الرسـمية حوالـي 13.5% وتـرزح تحتهـا النسـاء بالأسـاس.

تعالـج الفصـول الثلاثـة لهـذا الاصـدر الجديـد أربعـة مداخـل رئيسـية، يتقصـى الأول وقـع البطالـة علـى الشـباب مـن حيـث الصحـة الجسـدية والنفسـية والعلاقـة مـع العائلـة والأصدقـاء وإدارة وقـت الفـراغ ، فـي حيـن يتنـاول المدخـل الثانـي الاسـتراتيجيات التـي يتبعهـا الشـباب لـدرء تأثيـرات البطالـة والعطوبـة عليـه مثـل السـعي إلـى متابعـة الـدورات التكوينيـة او بعـث مشـاريع او العمـل الهـش، ويركـز المدخـل الثالـث علـى تجـارب الشـباب اليوميـة مـع السياسـات العموميـة فـي مجـال إدارة العطالـة والتشـغيل،

11 International Labor Organization. Global Employment for Youth 2020: Arab States, wcms_737672.pdf (ilo.org)

12 على سبيل المثال وصلت النسبة الى 77% في تونس حسب منظمة العمل الدولية.

أما المدخل الأخير فيستكشف تمثلات وتجارب الشباب في الاحتجاج الجماعي.

وعلى الرغم من وجود أوجه اختلاف عديدة بين الدول الثلاث التي تشملها هذه الدراسة ان كان من حيث وقع الازمة الاقتصادية او طبيعة الأنظمة فيها، او مجريات الصراع السياسي وإعادة تشكل الفضاء المؤسساتي بعد سقوط بن علي والقذافي في تونس وليبيا او إدارة ما بعد حراك فيفري في المغرب، فإن التقاطعات كثيرة في موضوع البطالة الشبابية واستراتيجيات المقاومة والتعايش التي يلجأ لها الشباب والشابات في مواجهة الاقصاء الاجتماعي الذي تنتجه. كما تتشابه مسارات البحث المضني عن عمل المحفوفة بالمصاعب والخيبات والالم والاهانة كما هو الحال في دول أخرى[13]. وتتماثل عوائق التنقل نظرا لعدم توفر وسائل النقل العمومي في ظل غياب شبكات اجتماعية او دعم عمومي للعاطلين. علاوة على ذلك، تتقاطع تمثلات الشباب في الدول الثلاث حول تفشي الرشوة والمحسوبية وتراكم الحواجز البيروقراطية والإدارية التي تعيق بعث مشاريع صغرى وقصور النظم التعليمية في مواكبة احتياجات سوق الشغل.

والسبب الرئيس هنا وهناك هو نفسه: غياب فرص عمل مستدامة للشباب نتيجة اعتماد سياسات تقشفية تختلف حدتها في البلدان الثلاث لكن جميعها يستند الى نفس الوصفة النيوليبرالية من حيث تقليل او تجميد الانتداب في الوظيفة العمومية. أي تخفيض نفقات الخدمات الاجتماعية مما يجعل من السياسات التشغيلية للشباب برغم تعدد المراسيم المنظمة لها خصوصا في تونس والمغرب مجرد مسكنات لتخفيف وجع البطالة وامتصاص الاحتقان.

في ليبيا، كما تثبت الباحثة أسماء خليفة في الفصل الأول من هذا الإصدار، وفي ظل غياب التنظيم السياسي أو النقابي للعاطلين عن العمل -على عكس بلدان أخرى في شمال أفريقيا- وتفاقم التضييقات على المجتمع المدني وانتهاك حرية التجمع فإنه من الصعب إن يتغير الوضع. ويتوقع أن تدفع بطالة الشباب إلى ازدياد التوترات ونمو الجماعات المسلحة كبديل وحيد يقدم امتيازات وتعويضات أكبر من تلك التي توفرها الوظائف التقليدية او حتى القطاع الخاص.

وفي تونس كما يبين محمد رامي عبد المولى في الفصل الثاني، لم تتغير كثيرا السياسات التشغيلية للشباب بعد الثورة. فهي لازالت تعتمد بالأساس على اليات هشة هدفها شراء السلم الاجتماعي. ومثل هذه السياسات هي بالضبط التي تقف وراء عدم ثقة الشباب في النخب الحاكمة منذ 2011 وكذلك خيبة الامل المتنامية في الرئيس قيس سعيد.

وفي المغرب كما يؤكد فوزي بوخريص في الفصل الأخير من الإصدار فان مجمل البرامج الحكومية التي تعتمدها الدولة من اجل مواجهة البطالة الشبابية كبرامج دعم التشغيل الذاتي او خلق المقاولات الصغرى او برنامج «فرصة» وغيرها ... ليست فقط دون حجم التحدي الذي تطرحه معضلة البطالة الشبابية، بل هي تتأتى في سياق مقاربة نيوليبرالية هدفها «محاربة الفقر».

تماما كما عنونت الاسكوا تقريرها الأخير في ليبيا وتونس والمغرب لاتزال بطالة الشباب قنبلة موقوتة لن ينزع فتيلها ما لم يتم التخلي عن المقاربات النقدية والتقشفية.

13 Lynda Lavitry La morale de l'emploi. Les coulisses de l'Etat social actif, et de Flexibilité des chômeurs, mode d'emploi, Presses universitaires de France, 2015,

حي أبو سليم، ليبيا

أسماء خليفة

مقدمة

تنامت ظاهرة البطالة في ليبيا حتى قبل أحداث عام 2011، حيث أشارت دراسات خصصت لمنطقة شمال إفريقيا إلى البطالة باعتبارها متسبباً رئيسياً في نزول الشباب إلى الشوارع للتظاهر في مصر وتونس وليبيا. حاول النظام الذي كان يحكم ليبيا قبل 2011 مواجهة هذه الظاهرة عبر الانفتاح على الاستثمارات وخلق مواطن شغل من خلال مشاريع التعمير، ولكن هذه المبادرات الواعدة لم يرافقها أي إصلاح للقطاع العام، ولم تنبني على أي سياسات عمومية استراتيجية. بعد رفع العقوبات عن ليبيا والسماح بالاستثمارات الأجنبية في القطاعات غير النفطية، شهد حجم الاستثمار الأجنبي المباشر في ليبيا بين عام 2000 وعام 2010 زيادة كبيرة بلغت مليارات الدولارات.[129] أفضى هذا الأمر إلى توفير فرص عمل لليبيين في شركات ومشاريع متعددة. لكن تحول الثورة إلى حرب أهلية تسبب في تعليق كل المشاريع وإصابة البلد بالشلل. غادرت الشركات الأجنبية ليبيا، نظرا لعجزها عن حماية استثماراتها، ومثل استمرار الصراع المسلّح عائقا أمام عودتها.

خلق اقتصاد النزاع المسلح واقعاً اقتصادياً جديداً في ليبيا وجد الشباب ضمنه فرص عمل عبر الانضمام إلى المجموعات المسلحة، وأدى إلى استمرار الصراع لصالح الماسكين بالسلطة. فاقمت حلقة العنف المفرغة هذه تدهور البنية التحتية وخلقت تحديات متعددة في مسألة البطالة. أجّجت جائحة كورونا الوضع لتحوّل البطالة من ظاهرة إلى مشكلة مزمنة. وتسجل ليبيا حاليا إحدى أعلى نسب البطالة في المنطقة مع استمرار النزاع، الذي تتخلله اتفاقات وقف إطلاق النار هشة وعاجزة عن الصمود في ظل سياسات غير فعالة، ما يُبقِي خطر عودة الحرب الأهلية ماثلاً.

انطلاقا من هذا الواقع، تركّز هذه الدراسة على انعكاسات الوضع الاقتصادي في ليبيا على أحد أكبر الأحياء الشعبية في العاصمة طرابلس، وتبحث في أثر ارتفاع معدلات البطالة من منظور إنساني، وذلك عبر تفحص تجارب الشباب العاطلين عن العمل واستكشاف مسارات البطالة والتهميش في إطار حياتهم اليومية. تكمن أهمية هذا البحث في أنه لا يكتفي بتقصي الظروف الاقتصادية والاجتماعية للشباب في الأحياء الشعبية، بل يحاول أيضاً تفحص أثر البطالة عليهم واستقراء سلوكاتهم إزاء البطالة. عُقِدت مقابلات مع ثلاث مجموعات بؤرية لتقييم الوضع الاجتماعي الاقتصادي على المستوى الفردي، وتناولت الأسئلة مواضيع متنوعة، من التعليم إلى الأثر النفسي واستراتيجيات البقاء والسياسات العامة العمومية. منحتنا المشاركة في الدراسة فهم أفضل لموضوع البطالة من زوايا مختلفة.

129 (حمودي وأيمر، 2017) (بالإنجليزية)

المنهجية

تتأتى المراجع والأدبيات التي اطلعنا عليها في إطار هذه الدراسة بشكل أساسي من مقالات صحافية وتقارير تناولت موضوع البطالة بشكل غير مباشر [130] بالإضافة إلى دراسة أخرى تمحورت حول المرأة الليبية في سوق العمل. هناك فجوة معرفية كبيرة بخصوص موضوع البطالة في ليبيا. اعتمدت هذه الدراسة المنهج الكيفي كمقاربة بحثية، حيث نظمت جلسات مع ثلاث مجموعات بؤرية ضمّت مجموعات سكانية متنوعة من حي أبو سليم الذي يقع في جنوب العاصمة الليبية طرابلس ويعد من أكبر أحيائها. تُقدّر مساحته بنحو 128500 متر مربع،[131] ولا توجد بيانات موثوقة فيما يخص عدد السكان أو أي احصائيات ديمغرافية أخرى. يتّسم الحي بتنوعه، وقد عانى لسنوات من التهميش، وما زال يضمّ مناطق فقيرة.

توزعت المجموعات البؤرية الثلاث على النحو التالي: المجموعة الأولى من النساء بينهنّ عاطلات عن العمل وطالبات وربّات منازل، والمجموعة الثانية من الرجال بينهم عاطلون عن العمل وعاملون لحسابهم الخاص وعاملون في القطاع الخاص. أما المجموعة الثالثة فضمّت نساء ورجالاً من خريجي الجامعات العاطلين أو العاجزين عن العثور على فرص عمل. امتدت كل جلسة مع المجموعات البؤرية ما بين ساعتين وثلاث ساعات، نوقِشت خلالها أسئلة حول أثر البطالة على الصحة العقلية، واستراتيجيات التأقلم مع البطالة، وفرص التنمية، وسبل الدعم الممكنة.

اختير «أبو سليم» كسياق لاستكشاف آثار البطالة على سكّان حي يعاني من صعوبات منذ سنوات. بعض المشاركين قالوا إن بعض مناطق أبو سليم تشهد ازدهارا منذ انتخاب المجلس البلدي. وهذا مثال على المعلومات التي يصعب الحصول عليها أو دراستها. ضمّت المجموعات البؤرية أفراداً نزحوا من مناطق أخرى إلى الحي، وآخرين يقيمون في أطراف الحي ويواجهون تحديات مختلفة في حياتهم اليومية.

البطالة في ليبيا

عام 2021، نشر البنك الدولي احصائيات تكشف بلوغ نسبة البطالة في ليبيا [132]20.1%. هذه النسبة هي الأعلى منذ عام 1999 حسب تقرير «ستاتيستا»، الذي اعتمد على الإحصائيات المعروفة والمسجّلة على امتداد عدة عشريات.[133] تُبيّن هذه المعلومة أن البطالة في ليبيا حالياً أسوأ بكثير مما كانت عليه حين كانت ليبيا معزولة وخاضعة للعقوبات في تسعينيات القرن الماضي. شكّك وزير العمل في حكومة الوحدة الوطنية في صحة هذه الأرقام مؤكدا أنها غير دقيقة نظرا لتنازع حكومتين على السلطة. وقال الوزير في مقابلة أُجرِيت معه مؤخراً إن الإحصائيات تشير إلى وجود 300 ألف طالب شغل وأكثر من 2.4 مليون موظف.[134]

130 دراسة مبدئية لوضع وتحديات وآفاق الاقتصاد الليبي، الجزء الأول من دراسة لمشروع الحوار الاقتصادي الاجتماعي في ليبيا، الإسكوا (بالإنجليزية).

131 (الرئيسية - بلدية أبوسليم، د. ت.)

132 (نسبة البطالة الإجمالية (% من إجمالي قوة العمل) (تقديرات منظمة العمل الدولية) - ليبيا، بيانات، 2022) (بالإنجليزية)

133 (أونيل، 2022) (بالإنجليزية)

134 (وكالة الأناضول، 2021)

يعـود تضخـم معـدلات البطالـة، فـي جـزء كبيـر منـه، إلـى الحـرب الأهليـة المسـتمرة منـذ عشـر سـنوات، والتـي لـم يقتصـر أثرهـا السـلبي علـى النمـو الاقتصـادي بـل تسـبب كذلـك فـي الاسـتيلاء علـى بعـض حقـول ومصافـي النفـط ووقـف الإنتـاج فيهـا. وحسـب توقعـات «لجنـة الأمـم المتحـدة الاقتصاديـة والاجتماعيـة لغـرب آسـيا» (الإسـكوا)، سـيؤدي التضخـم وارتفـاع كلفـة الاسـتيراد وانخفـاض سـعر النفـط إلـى زيـادة معـدلات البطالـة فـي ليبيـا، لتصبـح الأعلـى فـي المنطقـة.[135] وتتأثـر ظاهـرة البطالـة أيضـاً بعـدم تعامـل الحكومـات المؤقتـة المتعاقبـة، المُنتَخبـة والمُعيّنـة بعـد عـام 2011، معهـا كمسـألة ذات أولويـة.

تسـجل هـذه المعـدلات غيـر المسـبوقة فـي بلـد يبلـغ تعـداد سـكانه 7 ملاييـن نسـمة، يشـكل الشـباب نسـبة كبيـرة منهـم تقـدر بأكثـر مـن 50%.[136] وحتـى نسـتجلي التبعـات الاجتماعيـة لهـذا الواقـع يجـب أن نبـدأ باسـتيعاب معنـى البطالـة فـي ليبيـا حيـث يختلـف المفهـوم. تعنـي البطالـة فـي ليبيـا تلقّـي أجـر شـهري دون القيـام بعمـل فعلـي. علـى مـدى عقـود، وضـع نظـام معمّـر القذافـي سياسـات اقتصاديـة أتاحـت للسـكان الحصـول علـى أجـور تصرفهـا لهـم الحكومـة حتـى عندمـا لا يشـغلون أي وظيفـة. وتفاقـم الأمـر منـذ انقسـام السـلطة فـي سـنة 2014، حيـث أدى وجـود حكومتيـن إلـى تضخـم كتلـة الأجـور، ومـا انفكـت هـذه الظاهـرة تتنامـى مـع فشـل الحكومتيـن عـن مواجهتهـا.

ومنـذ قيـام الثـورة التـي أطاحـت بنظـام القذافـي عـام 2011، تناقصـت فـرص التشـغيل مـع انـزلاق البـلاد إلـى صراعـات عنيفـة عرقلـت نموهـا الاقتصـادي. تعتمـد السياسـة الاقتصاديـة فـي ليبيـا علـى الاسـتيراد بشـكل شـبه كلـي، ولا تُصـدِّر البـلاد إلا النفـط والمعـادن الخـام، الأمـر الـذي يقلـل مـن فـرص العمـل.[137] تسـببت الحـرب الأهليـة فـي تفاقـم هـذا الواقـع مـع نمـو اقتصـاد حـرب، وتزايـد اغـراءات الالتحـاق بصفـوف الجماعـات المسـلحة، وازدهـار أنشـطة السـوق السـوداء والتهريـب. تأثيـر هـذا الوضـع علـى الليبييـن متعـدد الأشـكال فهـم يجـدون أنفسـهم فـي بيئـة غيـر مسـتقرة بالمـرة، يصبـح فيهـا القيـام بـأي نشـاط يومـي عـادي، كالذهـاب إلـى العمـل أو اسـتخراج وثيقـة رسـمية، تحديـا أكثـر فأكثـر صعوبـة.

يتـرك كل هـذا، إضافـة إلـى الضغـوط الأخـرى مثـل الاجهـاد النفسـي والقلـق المسـتمرين مـن العيـش فـي ظـل الحـرب والنـزوح، أثـراً هائـلاً علـى قـدرة السـكان الذهنيـة علـى الإنتـاج، ويمنعهـم مـن المسـاهمة فـي تطـور المجتمـع.[138] يعانـي الشـباب بشـكل خـاص مـن هـذا الوضـع، ونتيجـة عجزهـم عـن كسـب قـوت يومهـم، كثـرت، عبـر السـنوات الماضيـة، قصـص الشـباب اليائسـين الذيـن يركبـون القـوارب إلـى أوروبـا. فـي مقـال صحافـي نُشِـر فـي موقـع «عيـن» الإخبـاري، شـارك بضعـة شـباب قصصهـم وتحدثـوا لـدى وصولهـم إلـى إيطاليـا عـن أسـباب خروجهـم مـن ليبيـا، وذكـروا البطالـة كدافـع رئيسـي.[139] فقـدان الأمـل فـي ليبيـا لـه نتائـج ملموسـة أكثـر، إذ لا يتعلـق الأمـر الطموحـات والإمكانيـات المهـدورة فقـط، بـل يشـمل أيضـاً العجـز عـن توفيـر أساسـيات الحيـاة.

135 (عبد الرحمن، 2021)

136 (ليبيا · صندوق الأمم المتحدة للسكان، 2021)

137 (الليبيون في خطر: قياس السلامة اليومية لبناء السلام بفعالية في ليبيا · كورديد 2020) (بالإنجليزية)

138 (مؤمن، 2019)

139 (عين، 2020)

التعليم وعلاقته بالبطالة

أجمع المشاركون في المجموعات المركزة الثلاث على أن التعليم لا يوفر التحضير والتأهيل المتناسبين مع سوق الشغل الحالي في ليبيا. وتختلف احتياجات وتطلعات الطلبة الليبيين اختلافاً كبيراً عن الواقع الذي ينتظرهم بعد التخرج. وتتأثر النظرةُ إلى مدى فائدة الشهادة الجامعية بعامل الجنس، حيث أكّدت المُشارِكات من النساء على الحاجة إلى الحصول على شهادة جامعية حتى إذا كان مصيرها الركن على الرّفّ. من خلال النقاشات حول هذا الموضوع، لاحظتُ أن المشاركات ينظرن إلى الشهادة الجامعية على أنها عقد تأمين. أحد أسباب ذلك المعايير الجندرية السائدة في ليبيا والتي تفترض من الشابات أن يعطين الأولوية لتكوين اسرة، وبالتالي لا يُنتظَر منها مواصلة دراستها حتى الحصول على شهادة عليا. لكن، نساءً كثيرات يعتبرن الشهادة الجامعية ضرورةً -حتى عندما يتزوّجن ويكون لديهنّ مُعيل- يمكن أن يعولن عليها إذا ما تغيرت الظروف.

يختلف الحال لدى المشارِكين من الذكور، فهم مستعدون بشكل أكبر للتخلي عن الدراسة أو تعليقها لفترات طويلة خلال توليهم لوظائف متعددة. هناك الكثير من المشاكل على مستوى الجامعات بسبب النزاع والحرب، وإحداها التعليم عبر الإنترنت الذي يلاقي صعوبات جمّة نظراً لتواتر انقطاع التيار الكهربائي أو تدني جودة الاتصال بالإنترنت. ومما يزيد الطين بلة عدم تمتع الطلبة بدعم مالي يعينهم على تغطية تكاليف خدمة الإنترنت المرتفعة. زد على ذلك عدم توفر مكتبات أو إمكانية الوصول إلى الموارد، «الأمر الذي يجبر الطلبة على الدراسة في جامعات خاصة».

إلى جانب غياب الدعم والتشجيع للطلبة لمواصلة دراستهم، يعاني الشباب -الذكور خاصة- من انتظارات المجتمع الذي يتوقع منهم أن يصبحوا ذات يومٍ مُعِيلين. هذا الضغط الاجتماعي هو ايضا احدى الأسباب التي تدفع الشباب من الذكور إلى تعليق مسارهم الدراسي أو التخلي عنه نهائياً. يقرر الكثيرون متابعة دراستهم وفق إيقاع بطيء بالتزامن مع مزاولة العمل، ويصف هؤلاء الدراسة بأنها «وظيفة بدوام جزئي». في نهاية المطاف، سيحصل هؤلاء الطلبة على شهاداتهم الجامعية ولكن ليس هذا المبتغى بالنسبة للكثيرين. وفق الكلمات التي استعملها أحد المشاركين «الهدف من الدراسة هو اكتساب المعرفة، والاحتفاظ بالشهادة لنفسي، فهي غير مفيدة إطلاقاً للعمل في العالم الحقيقي أو ايجاد فرص في سوق الشغل، فهذه الفرص غير موجودة أياً يكن مجال الدراسة». يمكن تفهم هذا الرأي فالعديد من الشباب ينتظرون عقود تشغيل حكومية منذ أكثر من سبع سنوات. «ما الفائدة من الشهادة الجامعية؟» هو سؤال مشروع يطرحه الطلبة الليبيون اليوم، خاصة عندما يرون أن الشهادة الجامعية لا تزيد حظوظهم في التشغيل.

لا تقتصر هذه الآراء على التعليم الرسمي في ليبيا، حيث عبّر المشاركون عن مواقف مشابهة بخصوص برامج التدريب وبناء القدرات، التي لا تفضي بدورها إلى العثور على فرص عمل.

«تابعتُ دروسي خلال آخر فصلَين سداسيين لي عبر الإنترنت خلال الحرب. ونتيجة انقطاع التيار الكهربائي وتدني جودة خدمة الإنترنت، لم أتمكّن من مواكبة الدروس أو حتى سماع المحاضرات» - مُشارِكة - المجموعة المركزة الثالثة.

«الهدف من الدراسة هو اكتساب المعرفة ثم الاحتفاظ بالشهادة لنفسي، فهي غير مفيدة إطلاقاً للعثور على فرص في سوق الشغل، فهذه الفرص غير موجودة أياً يكن مجال الدراسة» - مُشارِك - المجموعة المركزة الثالثة.

الأثر النفسي للبطالة

أظهر المشاركون والمشاركات في المجموعات المركزة الثلاث تردداً في الحديث عن الصحة العقلية وتأثير البطالة النفسي عليهم. كما هو متوقع، كان من الأسهل عليهم اعطاء أمثلة من محيطهم الاجتماعي. وخلال النقاشات، عاد المشاركون إلى وصف المشاكل التي تواجههم، الأمر الذي يشير إلى إحباطهم الشديد. قال أحد المشاركين الذكور إن المعنويات متدنية جداً. ولا يبدو ان هناك اختلاف في مدى تأثير البطالة على الصحة النفسية حسب الجنس، حتى وإن اشارت المشاركات إلى قضايا مثل العمل الغير مدفوع الأجر ومسؤولية العناية بالأطفال وغياب سبل للترفيه.

في المجموعة المركزة الثالثة، وصف الطلبة والخريجون المتخرجون من الجامعة الأثر النفسي بأنه هائل، وتطرقوا إلى انتشار المخدرات بين الشباب وكذلك الاجهاد النفسي المتزايد الذي يؤدي إلى تفاقم مشاكل الصحة العقلية التي يعانون منها. يجب أن نضع في اعتبارنا الأحداث الصادمة التي يعيشها الليبيون في السنوات العشر الأخيرة بالإضافة إلى غياب الاستقرار والعجز عن التخطيط للمستقبل.[140] إحدى المشارِكات وصفت الصعوبة التي تجدها في استيعاب هذا الوضع ذهنيا: «تخرجتُ ولم يحظى هذا الأمر بالتقدير. صدمني ذلك وترك لدي أثراً عاطفياً».

مع تقدم النقاشات، قال المشاركون إن الأثر النفسي للبطالة يختلف من شخص إلى آخر، واعتبروا ان وجود عائلة داعمة أو الانتماء إلى طبقة ميسورة، يوفر للشباب الإمكانيات المادية اللازمة لإطلاق مشاريعهم. وتبين من خلال شهادات الحاضرين أن المشاركات تتلقين دعماً مالياً ولوجستياً أكبر مقارنة بالمشاركين الذكور الذين لمّحوا إلى أنهم لا يتوقعون هذا النوع من الدعم. ولئن اتفق المشاركون في المجموعات البؤرية الثلاث على ضرورة مساهمة كلا الجنسين في الاقتصاد فإن الانتظارات المعلقة على الرجال أعلى، اذ يتوقع منهم العُرف الاجتماعي أن يكونوا هم من يوفر مدخول للأسرة ويشتري المنازل ويضطلع بدور رب العائلة. وعلى الرغم من ان الممارسة العملية تبين اختلافا في تقسيم وتوزيع العمل نظرا لعوامل اجتماعية اقتصادية متعددة، ما زال يُنتَظر من الرجال أن يتحملوا مسؤوليات أكبر في تلبية احتياجات الأسرة الليبية.

وهذا سلاح ذو حدّين في المجتمع الليبي، فهو من جهة أولى يمنح النساء بعض الدعم، ولكنه من جهة أخرى يعيق كليا استقلاليتهن المالية. وبالنسبة للرجال، حتى إذا اعتمدوا على الدعم العائلي، فهم يخشون نظرة المجتمع لهم إذا لم يتماثلوا مع الصورة النمطية لهم

140 (خليفة، 2022)

كمُعيلين. في الوقت نفسه، تؤدي الظروف الحالية إلى بعض التغيير في هذه الأعراف الاجتماعية الصارمة في ليبيا، حيث فرضت الحرب ذات الطبيعة الذكورية الطاغية اختلالا في تقاسم الأعباء والمسؤوليات، فهناك عدد متزايد من النساء صرن يتحملن مسؤولية قيادة الأسرة، الأمر الذي اضطر العديد منهنّ إلى العمل. يرى الطلبة والخريجون الشباب أن العثور على عمل واكتساب الخبرة والمهارات يعتمد على قدراتهم، ولكن توفر البيئة السياسية والاقتصادية الملائمة لدخولهم سوق العمل مسألة أخرى.

« غياب فرص العمل تنقص حتى في قدرتك على تحقيق الذات. الرزق يعني الحياة، إنها الحياة بشكل عام.»

«عندما لا يجد الشاب أو الشابة وظيفة حتى في القطاع الخاص، يترك ذلك أثراً كبيراً. أرى من حولي الشباب الذين يلجؤون إلى المخدرات، أو يعانون من ضغط نفسي هائل» - مشارِكة - المجموعة المركزة الثالثة.

استراتيجيات التعايش مع البطالة وتجاوزها

على ضوء الظروف الاقتصادية الصعبة وبيئة النزاع العنيفة، تراوحت النقاشات حول استراتيجيات المشاركين للتعايش مع البطالة وتجاوزها، من العثور على فرص عمل بديلة إلى الأنشطة الترفيهية. وفي هذا الصدد أشارت المشارِكات إلى غياب الأنشطة الترفيهية المتاحة للنساء خارج المنزل، عدا اللقاء في المقاهي والاشتراك في قاعات الرياضة خاصة، وهما خياران يتطلّبان إمكانية استخدام وسائل النقل وموارد مالية، الأمران اللذان لا يتوفّران لدى العديد من النساء الليبيات. أما المشارِكون من الذكور، فيتمتعون بحرية أكبر في الفضاء العام. وعبّر معظم الشباب الليبيين عن تفضيلهم ممارسة الرياضة، ولاسيما كرة القدم، في الهواء الطلق. وعلى الرغم من أن جلسات المجموعات البؤرية أُجرِيت في أكبر مدينة في البلاد، فإن الذكور يهيمنون على الفضاء العام بقوة.

توافق أغلب المشاركين على أن البديلين الأساسيين للخروج من حالة البطالة هما إطلاق مشروع تجاري والعمل في القطاع الخاص، ويتناول البحث هنا هذَين البديلَين بالتفصيل. يشكّل إطلاق مشروع تجاري وبعث المؤسسات الطريق المُحبّذ لدى الأغلبية، ولكن ذلك يحتاج إلى تمويل غير متوفر، حيث تفتقر ليبيا بشكل حاد إلى البنى التحتية وآليات تمويل القطاع الخاص. وليس امتناع البنوك عن تقديم قروض لتأسيس مشاريع تجارية هو العائق الوحيد، بل يُضاف إلى ذلك تعقيدات الاجراءات البيروقراطية المطلوبة لتسجيل مؤسسة جديدة والتي تنفر الكثير من الباعثين الشبان وتحبط عزائمهم.

> «بعد تخرجي من جامعة خاصة، بدأتُ العمل في المجال الإداري. كان الأجر متدنياً والعمل مرهقاً. شعرتُ بالإحباط والكآبة، لا بسبب الأجر المتدني فحسب، بل بسبب المعاملة التي لقيتها أيضاً. لم أُكلَّف بأعمال ترتبط بمجال دراستي، وكانت القشة التي قسمت ظهر البعير

أنه طُلِب مني تنظيف المكتبة. حين تقدمتُ لهذه الوظيفة، كنتُ أريد اكتساب خبرة مفيدة، ولكنني وجدتُ نفسي أعمل في بيئة فوضوية اضطررتُ فيها إلى اختراع عملي بنفسي لقاء أجر متدنٍّ» - مشارِكة - المجموعة المركزة الثالثة.

تحدثت مشارِكتان تمتلك كل واحدة منهما مشروعها التجاري الخاص عن تجاربهما والصعوبات التي واجهتاها للحفاظ على مشروعيهما التجاريين في زمن الحرب، والقيود التي فرضتها إجراءات احتواء وباء كوفيد - 19، حيث تأثّر العمل سلباً بانقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة وإجراءات حظر التجول وغلق الطرقات، إلى حد اضطرار إحدى المشارِكتين لتصفية مشروعها التجاري نظرا لأن الخسائر صارت تفوق الأرباح بكثير.

وبحسب المشاركين فإن عمل في القطاع الخاص له آثار معقّدة. شهدت ليبيا تغيرات هائلة في كل من قطاع التكنولوجيا وفرص الشغل. يرى أحد المشاركين أن القطاع الخاص يشغل أغلبية الشباب، وتبيّن دراسة أُجرِيت عام 2017 أن نصيب النساء من هذا التشغيل ضعيف جداً.[141] لكن من المؤكد أن ثقافة العمل في ليبيا قد تغيّرت. تناقش المشاركون في المجموعات البؤرية الثلاث حول الوظائف التي لم يكن الليبيون والليبيّات يقبلون العمل فيها مثل وظائف «الياقات الزرقاء والوردية» (اعمال لا تتطلب مؤهلات عالية) ومنها على سبيل الذكر لا الحصر العمل كنادلة أو في مجالات تحضير الطعام والتوصيل أو التنظيف. ويعتبر المشاركون ان العمل في هذه الوظائف أصبح أمرا عاديا، مما يمثل حسب آرائهم تطوراً إيجابياً.

توفر إحدى المشارِكات في الدراسة خدمة توصيل راكبات مستعملة سيارتها الخاصة، وذكَرت أن قيام النساء بهذا العمل، أو الاشتغال في مجال البيع بالتفصيل، كان يندرج ضمن مفهوم «العيب» قبل بضع سنوات، ولكنّه لم يعد كذلك. رغم تنوع ومرونة فرص العمل في القطاع الخاص، خاض المشاركون كافة، للأسف، تجارب تعرّضوا خلالها للاستغلال وتلقوا أجورا متدنية جداً، وفي بعض الحالات، عُملت نساء شابّات تعوزهن الخبرة بلا مقابل. وعندما سئلوا عن كيفية تعاملهم مع هذه المشكلة، قال المشاركون إنه لا توجد بدائل، فالمشغلين واصحاب الأعمال يستغلون الظرف الاقتصادي ويعلمون أن الباحثين عن العمل سيقبلون بظروف العمل السيئة والأجور المتدنية. كما أشار المشاركون مرة أخرى إلى انتشار المحسوبية، التي تعيق وصول أصحاب المؤهلات إلى مواطن الشغل المتاحة، في القطاعَين العام والخاص.

«فرص العمل في ليبيا موجودة.. تمام؟ لكن فرص العمل كيف بيجن الا بالواسطة، ياعندك حد معرفة باش تخش في العمل، قصدي حتى تتخرج مافيش فرص العمل ناقصة الامور ماتعرفش كيف. « - مشارِك - المجموعة المركزة الثانية.

«تقديم مطالب الشغل ليس بالأمر السهل. آلاف المطالب تتكدس عند وزارة العمل التي لم تقدم مساعدة لأحد في العثور على فرصة عمل. الفساد الإداري منتشر بشكل كبير» - مشارِكة - المجموعة المركزة الثالثة.

141 (بوغيجيس وتنتوش، 2017)

لاحظ كافة المشاركين أن هناك تغيرات في ثقافة العمل تحصل في محيطهم وعلى الإنترنت أيضاً. وعبّر المشاركون الذكور عن نظرة أكثر إيجابية بخصوص استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في البحث عن عمل. لا تتوفّر معلومات وافية حول بناء وتعزيز القدرات وفرص التكوين، حيث أكد المشاركون اضطرارهم إلى بذل جهود كبيرة في البحث عنها أو الانضمام إلى المجموعات التي لديها نفاذ إلى هذه المعلومات. وتشمل هذه الفرص المساعي والمشاريع المشتركة بين منظمات دولية من جهة، ووزارة العمل وغيرها من الوزارات من جهة أخرى.

من شأن هذه الفرص أن تقدم فائدة أكبر بكثير لو رافقتها عروض شغل جدية، وإلا فإنها بلا أفق كما أشار بعض المشاركين.

السياسات العمومية

لم تضع الحكومات الليبية المتلاحقة، حتى قبل سنة 2011، استراتيجيات واضحة لمكافحة البطالة. خلال فترة حكم نظام القذافي، شهدت المنظومة الاقتصادية الليبية تغيرات جذرية، من تفكيك القطاع الخاص في ثمانينيات القرن العشرين، إلى عقوبات اقتصادية استهدفت النفط بدايةً ثم اتّسع نطاقها واستمرت لأكثر من عشرين سنة.[142] استجابت الحكومات الليبية لهذه التغيرات بشكل مُرتَجَل، فدعمت السلع النفطية والغذائية والنسيج، وحاولت تعويض نقص المواد المستوردة بتوفير البضائع ودفع أجور للمواطنين. وظلّ هذا واقع معظم الليبيين حتى سنة 2004. بعد 2011، زادت الحرب الأوضاع سوءاً.

خلال النقاشات، طرح المشاركون في المجموعات البؤرية الثلاث أفكاراً واقتراحات لما يمكن للحكومة الليبية فعله لتحسين الظروف الاقتصادية في البلاد. أهملت الحكومات الانتقالية المتعاقبة ظاهرة البطالة المتنامية وتجاهلتها إلى حد كبير، حتى طرحت حكومة الوحدة الوطنية، التي عينتها الأمم المتحدة عام 2020، سياسة عمومية ذات طبيعة شعبوية. وكان رئيس الوزراء عبد الحميد الدبيبة أول سياسي يتحدث مباشرة إلى الشباب، فقطع وعوداً لم يفي بها. ولكن تناول المصاعب الأساسية التي يعاني منها المجتمع، وإن كان الهدف منه تحقيق مكاسب سياسية فحسب، سلط الضوء على حاجة الليبيين الملحة إلى الخروج من النفق المظلم الذي أُدخِلت فيه البلاد. أطلقت حكومة الدبيبة مشروع «إحياء ليبيا»، وهو على الورق مشروع ضخم يركز على إعادة بناء البنية التحتية. يتطلب تنفيذ المشروع تخصيص ميزانية قد تصل حسب البنك الدولي إلى 200 مليار دولار خلال العقد المقبل. وأعلن وزير العمل الليبي أن هذه المبادرة ستوفر فرص عمل للليبيين والأجانب.[143]

ولعل «منحة الزواج» هي أكثر مبادرات «حكومة الوحدة الوطنية» شعبية، وهي توفر للشباب مساعدة مالية ليتمكنوا من الزواج. وعلى الرغم من عواقبها غير المباشرة التي أدت إلى زيادة

142 (فانديفال، 2006)

143 (وكالة الأناضول، 2021)

كارثيـة فـي حـالات زواج القُصَّـر، تلقـى هـذه المبـادرة دعمـاً مـن الـرأي العـام الليبـي.[144] توافقـت الأهـداف المنشـودة مـن هاتيـن المبادرتيـن مـع تطلعـات بعـض الشـباب الليبـي. خـلال جلسـات المجموعـات البؤريـة، دار النقـاش حـول تطلعـات المشـاركين بخصـوص الأمـان الوظيفـي وإمكانيـة الاسـتقلال المـادي و»فتـح بيـت»، أي تأسـيس أسـرة. ولكـن، إذا مـا أرادت الحكومـة التمكّـن مـن تحقيـق أهدافهـا، فـلا بـد لهـا مـن التصـدي إلـى الفسـاد المالـي والإداري الكبيريـن المستشـريين فيهـا.

أشـار المشـاركون فـي هـذه الدراسـة إلـى الفسـاد كلمـا تـم اقتـراح أي فكـرة جديـدة، واعتبـروا أن المحسـوبية وغيرهـا مـن أشـكال الفسـاد هـي مـا يجعـل الحصـول علـى شـغل احتمـالا بعيـد المنـال إذا لـم تكـن للباحـث عـن العمـل علاقـات بأشـخاص متنفذيـن. أبـرز مثـال علـى ذلـك خرّيجـي كليـة الطـب الّذيـن لا يجـدون عمـلاً أو يعملـون مقابـل أجـور زهيـدة مقارنـةً بالشـباب الذيـن يتلقـون أجـورا مرتفعـة عنـد التحاقهـم بمجموعـات مسـلحة.

فـي المجموعـة المركّـزة الثالثـة تـم التطـرق إلـى مسـألة هامـة أخـرى وهـي غيـاب التواصـل والتنسـيق بيـن الـوزارات، وعلـى وجـه الخصـوص بيـن وزارة العمـل ووزارة التربيـة والتعليـم، حيث رأى المشـاركون أن هـذه مشـكلة كبيـرة يتوجـب حلهـا، فغيـاب اسـتراتيجيات قائمـة علـى دراسـة أوضـاع الطلبـة الليبييـن واحتياجاتهـم سـيزيد عـدد العاطليـن عـن العمـل وخريجـي الجامعـات المحبطيـن.

لا تقـدم وزارة العمـل الدعـم لـرواد الأعمـال الشـباب وللراغبيـن فـي انشـاء مؤسسـات صغـرى، بـل توفـر رواتـب صغيـرة للمُسـجَّلين كباحثيـن عـن عمـل. كل شـهر، تكبـر قائمـة الباحثيـن عـن عمـل أكثـر، وبعضهـم ينتظـر رد الـوزارة منـذ أكثـر مـن سـبع سـنوات. عـلاوة علـى ذلـك، هنـاك صعوبـات كبيـرة فـي إجـراءات التسـجيل التـي تسـتغرق شـهوراً مـن المعامـلات التـي قـد لا تجـدي نفعـا إذا لـم يكـن لطالـب الشـغل علاقـات بموظفيـن فـي الـوزارة. ومـع ذلـك يفضـل المشـاركون هـذا الخيـار علـى القطـاع الخـاص للأسـباب التـي أوضحناهـا فـي الأقسـام السـابقة.

طـرح المشـاركون بعـض المقترحـات لمـا يمكـن للحكومـة القيـام بـه لتعزيـز القطـاع الخـاص وجعلـه أكثـر تنوعـا، ومنهـا إعـادة النظـر فـي الإجـراءات البيروقراطيـة الحاليـة والعمـل علـى إصـلاح البيئـة السياسـية والاقتصاديـة بشـكل يتيـح المزيـد مـن الحريـات. واقتـرح المشـاركون أن تمنـح الحكومـات الليبيـة المسـتقبلية الأولويـة لوضـع سياسـة اقتصاديـة لا تأخـذ بعيـن الاعتبـار فقـط آثـار الحـرب الأهليـة المسـتمرة منـذ عشـر سـنوات، بـل تصـوغ ايضـا إطـاراً قانونيـاً وإداريـاً يتيـح تفعيـل المشـاريع التـي تحتـاج إلـى قـوى عاملـة، وذلـك عبـر إجـراء دراسـات اسـتراتيجية تهـدف إلـى إحـداث إصـلاح متعـدد القطاعـات.

العمل النقابي والانخراط في المجتمع المدني

رسـم حديـث المشـاركين عـن العمـل النقابـي والنشـاط ضمـن المجتمـع المدنـي صـورة قاتمـة عـن تقييـد الحريـات فـي ليبيـا فـي السـنوات الأخيـرة. لا توجـد نقابـات للعامليـن فـي القطـاع الخـاص، أمـا نقابـات العامليـن فـي القطـاع العـام فهـي حديثـة العهـد ولا تشـمل العاطليـن عـن العمـل. لـم يسـبق لأي واحـد مـن المشـاركين فـي المجموعـات البؤريـة أن تعامـل مـع هـذه النقابـات. اختلـف تجـاوب

144 (فيتزجيرالد، 2022)

المشاركين مع مسألة العمل النقابي والاحتجاج حسب جنس المشارك، حيث تحدّث المشاركون الذكور عن قضايا المواطنة بشكل أوضح، ولعل ذلك يعود إلى أن الرجال في ليبيا أكثر اطلاعاً على النقاشات العامة، وبالتالي، تتوفر لهم فرص أكبر للمشاركة والتفاعل.

عند سؤال المشاركين عما إذا كانوا قد نظموا بأنفسهم أو شاركوا في احتجاجات على الوضع الاقتصادي، كان الرد: من يستطيع الاحتجاج في ظل الظروف الأمنية الحالية؟ حيث يمنع الخوف من المواجهة مع المجموعات المسلحة والعواقب المحتملة للاحتجاج الشباب من تنظيم أنشطة مدنية احتجاجية. على الرغم من ذلك خرجت في آب/أغسطس 2020 مظاهرات كبيرة ضد الفساد في طرابلس، ثم امتدت إلى مصراتة والزاوية، واستمرت حتى شهر تشرين الأول/أكتوبر من نفس السنة. وأفاد «حراك الشباب»، الحركة الشبابية التي نظمت بعض هذه المظاهرات، باعتقال نحو 24 متظاهراً، وبأن المجموعات المسلحة التابعة لحكومة الوحدة الوطنية استخدمت العنف المفرط.[145]

عبّر المشاركون كافة عن خوفهم من التعبير عن آرائهم علناً ومن الاحتجاج على الوضع القائم. خلال الشهور التي تلت تحرير ليبيا في تشرين الأول/أكتوبر 2011، خرجت في طرابلس مظاهرات بشكل أسبوعي، وأحياناً أكثر من مرة في نفس الأسبوع، ولكن ثقافة حرية التعبير أخذت في التدهور منذ سنة 2014، حتى أصبح الصمت أعلى من أصوات الرصاص في ليبيا.

خاتمة

يُجمع العاطلون عن العمل من سكّان حي أبو سليم، سواء كانوا من المتخرجين حديثاً أم ممن ينتظرون التشغيل في القطاع العام الحكومي منذ سنوات، على الشك في إمكانية تحسن الوضع الاقتصادي في ليبيا، مع استمرار المأزق السياسي والإغلاق القسري لحقول النفط المترافق مع ارتفاع معدلات التضخم. تجد ليبيا نفسها مجدداً تحت إدارة حكومتَين منقسمتين وتتضاءل فيها احتمالات التغيير لتحقيق الاستقرار. لا يمكن رؤية البطالة كمشكلة معزولة عن مجريات النزاع في ليبيا، فهي من نتائجه، وانتشارها يساهم في إذكائه في الوقت نفسه.

تُظهِر المراجع والأدبيات التي استندت إليها هذه الدراسة، وكذلك جلسات المجموعات البؤرية، فجوة معرفية كبيرة في دراسة ظاهرة البطالة في ليبيا، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى المزيد من الدراسات حول هذه القضية في مناطق مختلفة من البلاد للتوصل إلى الصورة الكاملة، بما فيها الاختلافات والتشابهات بين مناطق إدارة الحكومتَين. فعلى سبيل المثال، لا يوجد اختلاف كبير بين الجنسَين من حيث آثار البطالة في حي أبوسليم، ولكن قد يُلحَظ اختلاف أكبر في المناطق الريفية، وثمة حاجة إلى دراسة ذلك.

العاطلون عن العمل في ليبيا لا ينشطون في تنظيمات سياسية، ولا توجد هيئات تدافع عن قضيتهم وتحمي حقوقهم، على عكس دول أخرى في شمال إفريقيا، المغرب وتونس تحديدا، حيث توجد مثل هذه الهيئات. ونظراً للهجوم المستمر على المؤسسات المدنية وحرية التجمع والتعبير، لاسيما في طرابلس، يبدو احتمال تغيّر هذا الواقع ضئيلاً.

145 (ليبيا: مجموعات مسلحة تقمع مظاهرات شعبية بعنف، هيومان رايتس ووتش، 2020) (بالإنجليزية)

أخيـراً، مـن الواضـح أن الآثـار الاجتماعيـة للبطالـة علـى الشـباب، ولاسـيما علـى الذكـور منهـم، تسـاهم فـي احتـدام التوتـر وتنامـي قـوة ونفـوذ المجموعـات المسـلحة، كونهـا تقـدم فـرص عمـل بديلـة بامتيـازات أكبـر وأجـور أعلـى مـن الوظائـف العاديـة، ولاسـيما وظائـف القطـاع الخـاص.

المراجع

وكالة الأناضول للأنباء. «وزير العمل الليبي: البطالة تختفي مع إعادة الإعمار». 16 تموز/يوليو 2021.
https://www.aa.com.tr/ar
التقارير/وزير-العمل-الليبي-البطالة-تختفي-مع-إعادة-الإعمار-مقابلة/2306382

أميني، عبد الرحمن. «الاقتصاد الليبي في العام 2021: توقعات بتزايد البطالة وارتفاع فواتير الاستيراد والتضخم». جريدة الوسط. 9 كانون الثاني/يناير 2021. http://alwasat.ly/news/libya/307000

العين الإخبارية. «البطالة في ليبيا...تأشيرة موت أو هجرة بلا عودة». 9 تشرين الأول/أكتوبر 2020.
https://al-ain.com/article/unemployment-libya-youth-fly-inout

بوغيجيس، هالة؛ تنتوش، محمد. النساء في سوق العمل في ليبيا: الواقع والتحديات. (بالإنجليزية).
https://docs.euromedwomen.foundation/files/ermwf-documents/7511_4.6.womeni .2017
nthelibyanjobmarket-realityandchallenges.pdf

الإسكوا. مقدمة لدراسة لوضع وتحديات وآفاق الاقتصاد الليبي، الجزء الأول من دراسة أساسية لمشروع الحوار الاجتماعي الاقتصادي الليبي، قراءة محسنة. د. ت. (بالإنجليزية).

فيتزجيرالد، ماري. «الشباب الليبي يحلم بالزواج»، أورينت 21. https://orientxxi.info/magazine/
libyan-youth-dream-of-marriage,5420

الحمودي، مصطفى؛ أيمر، نجمي. «أثر الاستثمار الأجنبي المباشر على النمو الاقتصادي في ليبيا».
النشرة الدولية للأدب الإنجليزي والعلوم الاجتماعية. 2 (6) (بالإنجليزية)، كانون الأول/ديسمبر 2017.
ص 144-154. https://doi.org/10.22161/IJELS.2.6.22

خليفة، أ. الشباب الليبي دون ضمانات: بلوغ سن الرشد في ظل النزاع (عدد «بلوغ سن الرشد في ظل النزاع»، سلسلة مسارات الشباب). 2022.

ليبيا، صندوق الأمم المتحدة للسكان (بالإنجليزية).
https://www.unfpa.org/data/world-population/LY .2021

هيومان رايتس ووتش. ليبيا: مجموعات مسلحة تقمع مظاهرات شعبية بعنف (بالإنجليزية). د. ت. قُرئت في 21 نيسان/أبريل 2022.
libya-armed-groups-violently-quell-protests/10/09/https://www.hrw.org/news/2020

ريليف ويب. الليبيون في خطر: قياس مستوى السلامة في الحياة اليومية لاستعادة السلام بكفاءة في ليبيا. د. ت. قُرِئت في 28 آب/أغسطس 2021.
https://reliefweb.int/report/libya/libyans-risk-measuring-daily-safety-effective-peacebuilding-libya

مؤمن، محمد. «البطالة في ليبيا: مأساة اقتصادية ومشكلة هيكلية». هنا ليبيا.
/https://hunalibya.com/economy/6505

أونيل، آرون. ليبيا - معدلات البطالة من 1999 إلى 2020. 2022.
https://www.statista.com/statistics/808770/unemployment-rate-in-libya/#statisticContainer

البنك الدولي. معدلات البطالة الإجمالية في ليبيا

(% من إجمالي قوة العمل) (تقديرات منظمة العمل الدولية)، بيانات. 2022.

فانديفال، ديرك. تاريخ ليبيا الحديث. 14 (4)، ص 1 - 246. (بالإنجليزية) منشورات جامعة كامبريدج، 2006. https://doi.org/10.1017/CBO9780511986246

موقع بلدية أبوسليم، الصفحة الرئيسية. د. ت.، قرِئت في 21 نيسان/أبريل 2022. https://mas.gov.ly/

الشغل =
حق دستوري
مطالبنا
التشغيل
حالا

حي التضامن، تونس

محمد رامي عبدالمولى

تقديم الدراسة

حرصت منظمة إنترناشونال ألرت-تونس منذ بداية عملها في تونس على استكشاف الهوامش الجغرافية والاجتماعية مع ايلاء العمل الميداني أولوية قصوى والتركيز على فئة الشباب. وأنجزت عدة دراسات كمية ونوعية لاستطلاع تقييمات المواطنين- خاصة الشباب منهم- لخدمات وسياسات الدولة في مجالات التعليم والصحة والوصول إلى الماء الصالح للشراب وغيرها، وتجاربهم مع ظواهر اجتماعية واقتصادية مثل التهميش السياسي والاقتصادي والبطالة التهريب والاقتصاد غير المهيكل والهجرة والعنف البوليسي والعنف الأسري، وكذلك تمثلاتهم للسياسة والدين والسلوكات/التجارب المحفوفة بالمخاطر مثل إدمان المخدرات والجريمة والسجن و»الحرقة» والإرهاب[14].

وكان حي التضامن من بين المناطق التي حظيت باهتمام كبير في أغلب المشاريع البحثية التي نفذتها المنظمة، لما تمثله، كوسط حضري مهمش ومفقر وموصوم بالجريمة والإرهاب يقع على تخوم مدينة كبيرة، من أرضية خصبة لدراسة مختلف الظواهر التي أشرنا لها. لذا وقع عليه اختيارنا لدراسة ظاهرة البطالة عند الشباب، لا بوصفها حالة اقتصادية/مادية فقط بل كذلك كوضع له استتباعاته الاجتماعية والنفسية والسياسية. وسعينا من خلال هذه الدراسة النوعية إلى تقديم عمل بحثي لا يكتفي بتحليل الأرقام والمعطيات «الباردة» ويحاول أن يستكشف كيف «يتعايش» الشاب العاطل عن العمل مع حالة العطوبة المزمنة. تركز البحث على أربعة محاور رئيسية. في المحور الأول تناولنا مسألتين أساسيتين، تتعلق الأولى بتأثيرات البطالة على الصحة النفسية للعاطل عن العمل وكيفية تعامل المستجوبين معها، والثانية بتمثل العاطل عن العمل لتأثير وضعه على روابطه مع العائلة المصغرة والموسعة والأصدقاء وحتى علاقاته العاطفية. وخصصنا المحور الثاني لتتبع مسارات الشباب العاطل في البحث عن عمل وتدبر نفقاته اليومية وتطوير قدراته لترفيع حظوظه في الشغل وكذلك المعوقات التي يصطدم بها. أما المحور الثالث فأردنا من خلاله استطلاع تقييمات العاطلين عن العمل للسياسات التشغيلية العمومية ومدى اطلاعهم عليها. المحور الرابع والأخير مخصص لدراسة مدى انخراط الشباب العاطل عن العمل في الحراك الاجتماعي ومواقفه من الحركات الاحتجاجية وعلاقته بالأحزاب والجمعيات.

منهجية البحث وتقديم العينة

لئن كانت البطالة ظاهرة متفشية بقوة في أوساط الشباب على اختلاف فئاتهم العمرية ومستوياتهم التعليمية ونوعهم الاجتماعي فهذا لا يمنع ان هناك خصوصيات لكل شريحة، وحرصا منا على الإلمام بها في هذه الدراسة النوعية اخترنا تقسيم المستجوبين إلى ثلاث

14 https://www.international-alert.org/locations/tunisia

مجموعـات بؤريـة. ضمـت المجموعـة الأولـى ثمانيـة مسـتجوبين مـن الذكـور العاطليـن عـن العمـل الذيـن لـم يسـتكملوا تعليمهـم، وتتـراوح أعمارهـم مـا بيـن 20 و29 سـنة. المجموعـة الثانيـة خصصـت للعاطـلات عـن العمـل اللاتي لـم يسـتكملن تعليمهـن: ثمانيـة مسـتجوبات تتـراوح أعمارهـن مـا بيـن 22 و29 سـنة. أمـا المجموعـة البؤريـة الثالثـة فلقـد ضمـت 6 عاطليـن عـن العمـل (3 ذكـور و3 إنـاث) مـن حاملـي الشـهادات الجامعيـة، تتـراوح أعمارهـم مـا بيـن 24 و29 سـنة.

دامـت جلسـات العمـل مـع كل مجموعـة علـى حـدة مـا بيـن سـاعتين وثـلاث سـاعات، واسـتندت المقابـلات مـع المسـتجوبين علـى اسـتبيان موحـد للمجموعـات الثلاثـة يتضمـن أسـئلة متوزعـة بيـن المحـاور الأربعـة التـي ذكرناهـا أعـلاه، بمعـدل خمسـة أو سـتة أسـئلة فـي المحـور الواحـد. ونظـرا لخصوصيـة بعـض المجموعـات طرحـت أسـئلة إضافيـة تتعلـق مثـلا بتأثيـر البطالـة علـى حريـة التنقـل بالنسـبة للمسـتجوبات ومـدى اقبالهـن علـى العمـل المنزلـي كحـل لوضعهـن الاقتصـادي، أو بمـدى نـدم المسـتجوبين فـي مجموعـة العاطليـن مـن أصحـاب الشـهادات علـى اسـتكمال دراسـتهم ومـدى مشـاركتهم فـي مناظـرات الانتـداب العموميـة.

ونذكـر هنـا ان اختيـار تركيبـة العينـات المسـتجوبة ومحـاور البحـث والأسـئلة وتحضيـر دليـل المقابلـة مـع المسـتجوبين تـم بعـد تنظيـم ورشـات عمـل مـع باحثيـن مختصيـن فـي قضايا الشـباب والسياسـات العموميـة. ونشـير أيضـا إلـى أن هـذه الدراسـة تنـدرج ضمـن مشـروع بحثـي أكبـر تحـت إشـراف منظمـة انترناشـونال الـرت وشـريكها منظمـة فريدريـش ايبـرت ، ويتمثـل فـي إنجـاز دراسـة ميدانيـة سوسـيولوجية نوعيـة حـول مسـألة البطالـة الشـبابية فـي ثـلاث مناطـق شـعبية فـي سـلا فـي المغـرب وحـي التضامـن فـي تونـس الكبـرى وطرابلـس فـي ليبيـا مـن اجـل فهـم وتفكيـك واقـع البطالـة الشـبابية فـي هـذه الفضـاءات الحضريـة المهمشـة مـن وجهـة نظـر الشـباب نفسـه.

تقديم حي التضامن

يقـع حـي التضامـن فـي ولايـة أريانـة ضمـن إقليـم تونـس الكبـرى (شـمال شـرق البـلاد)، ويعـد مـن أكبـر «الأحيـاء الشـعبية» فـي تونـس والمنطقـة المغاربيـة. ظهـرت النـواة الأولـى للحـي فـي أواسـط سـتينات القـرن الفائـت ببضعـة عشـرات مـن المسـاكن ومئـات السـكان ثـم تضخـم بشـكل سـريع وعشـوائي منـذ السـبعينات ليتضاعـف عـدد سـكانه عـدة مـرات دون أن توفـر لـه الدولـة البنـى التحتيـة الملائمـة ليشـكل حـزام فقـر علـى تخـوم العاصمـة يسـتقطب الفقـراء والمهمشـين الباحثيـن عـن عمـل وسـكن رخيـص مـن عـدة مناطـق تونسـية أهمهـا الشـمال الغربـي. وعلـى الرغـم مـن بعـض الاسـتثمارات العموميـة والتحسـينات التـي عرفهـا الحـي بعـد انتفاضـة جانفـي 1978 فـي إطـار امتصـاص الغضـب الشـعبي فـإن سياسـة الدولـة تجـاه هـذه المنطقـة بقيـت قائمـة علـى الاقصـاء الاقتصادي/الاجتماعـي والمراقبـة الأمنيـة. ومنـذ جانفـي 2011 صـار اسـم الحـي كثيـر الحضـور فـي الإعـلام، بشـكل سـلبي فـي أغلـب الأحيـان جعـل الكثيـر مـن التونسـيين يتمثلهـا كمعقـل للسـلفيين الجهادييـن ومسـتهلكي/ مروجـي المخـدرات و«المخربيـن» الـذي «ينهبـون» المحـلات التجاريـة والمؤسسـات العموميـة تحـت غطـاء الاحتجاجـات الليليـة. وهكـذا ينضـم الوصـم الاجتماعـي إلـى الفقـر والتهميـش ليشـكلوا مثلثـا يحاصـر أبنـاء حـي التضامـن.

ولنفهم أكثر مدى التهميش الذي تعيشه هذه المنطقة وسكانها نورد بعض الأرقام الواردة في الشريط الوثائقي الاستقصائي «حاسس بلي صاير» (2021، انتاج: إنترناشونال ألرت -تونس، اخراج ألفة لملوم وميشيل ثابت)[15] الذي يستعرض بعد عشر سنوات من ثورة جانفي 2011 إخفاقات السياسات العمومية الموجهة للشباب في منطقتي التضامن ودوار هيشر. يشهد حي التضامن كثافة سكانية كبيرة اذ يبلغ عدد قاطنيه 312 84 نسمة موزعين على 3،372 كيلومتر مربع، ويتميز بتركيبة سكانية يهيمن عليها الشباب فنسبة الذين تقل أعمارهم عن 29 سنة تبلغ 47،02%، وبنسب بطالة مرتفعة تصل 19،5% وتتجاوز بكثير المعدل الوطني: 14،82%. تتفاقم معضلة البطالة عندما يتعلق الأمر بأصحاب الشهادات الجامعية حيث تبلغ نسبة العاطلين منهم 27،88% أي أعلى بأكثر من سبع نقاط مقارنة بالمعدل الوطني: 20،06 %. فضلا عن البطالة يعاني جزء كبير من شباب الحي من ضعف الموارد المالية لعائلاتهم: 27،7 من آباء فئة 18-35 سنة هم عمال يوميون، و80% من الأمهات ربات بيوت. يضاف إلى كل هذا التهميش وضعف حضور الدولة وانفاقها العمومي، فعلى الرغم من الكثافة السكانية للمنطقة وتراكم مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية لم تتجاوز ميزانية الاستثمار البلدية 933 221 دينارا في سنة 2020 وهو مبلغ أكثر من ضئيل ويحمل دلالات كبيرة حول التفاوت والتمييز خاصة إذا ما قارناه بالميزانية المرصودة للاستثمار في منطقة أخرى تقع ضمن نفس الإقليم وعدد سكانها مقارب لعدد سكان حي التضامن: بلدية المرسى التي بلغت ميزانيتها في نفس السنة 000 171 5 دينارا. نفس الملاحظة فيما يتعلق بالميزانية المخصصة لدعم الأنشطة الرياضية: 938 10 دينار في حي التضامن مقابل 476 146 دينار في المرسى.

1. تأثير البطالة على نفسية العاطل عن العمل وعلاقته بمحيطه

التأثير النفسي للبطالة

تعرف تونس منذ أواخر القرن العشرين أزمة بطالة متفاقمة أكبر ضحاياها هم الشباب والشابات على اختلاف مستوياتهم التعليمية وبيئاتهم الاجتماعية-الاقتصادية مع وقع أقوى للأزمة على الشباب من حاملي الشهادات الجامعية التي أصبحت بطالتهم بنيوية والشباب عموما في الهوامش (الولايات الداخلية و»أحزمة الفقر» المحيطة بالمدن الساحلية الكبرى). استدامة الأزمة وتضاعف أعداد العاطلين عن العمل خلال العقدين الأخيرين صنع نوعا من «الاعتياد» لدى السلطات العمومية التي تتعامل مع هذه الأزمة المستدامة على انها مشكل عادي تتحدث عنه للراي العام باستعمال أرقام ونسب ورسوم بيانية باردة فيغيب الوجه الإنساني للبطالة ولا تحظى تأثيراتها على الحالة النفسية للشاب/ة العاطل/ة عن العمل. لذا حاولنا من خلال هذه الدراسة ان نستكشف هذا الجانب النفسي الذي لا يحظى بالاهتمام الكافي، ورصدنا من خلال إجابات المستجوبين والمستجوبات الآثار النفسية المشتركة في المجموعات البؤرية الثلاثة وكذلك الآثار التي قد تكون خاصة بكل مجموعة أو جنس.

15 Sentir ce qui se passe | Un docu sur la jeunesse en Tunise. Disponible sur Youtube: https://bit.ly/3k3VBM9

- العطوبة والإحساس باللاجدوى

كلما زادت فترة البطالة - خاصة ان لم تقطعها فترات من النشاط المهني حتى المؤقت والهش- كلما تولد لدى العاطل عن العمل الإحساس بأنه لا فائدة من وجوده وجهوده، وانه على هامش الحياة وكل ما يفعله انه يزيد من أعباء أسرته. يفقد تدريجيا تقديره لذاته وكذلك الأمل في تحسين أوضاعه ويحس ان لا قيمة له في حسابات المجتمع والدولة وسياساتها العمومية. طبعا هذا الإحساس ينمي الإحساس بالإحباط ويثبط عزيمة الشاب العاطل عن العمل وبفقده القدرة والرغبة في تطوير امكانياته ومعارفه وخبراته مما قد يديم حالة البطالة ذاتها ويجعل الخروج منها أصعب.

لسعد: نفس النهار, نفس العباد, نفس الحجات تبقى تعاود فيها كل نهار

جيهان: تحس ماكش فعال في المجتمع، ما عندكش موارد مادية باش تعمل حاجات، باش تطور روحك، ناقص برشا حاجات، باش تقعد ديما تاخوا فلوس من عند والديك، باش تحس روحك ديما كأنك حاجة زايدة ، قاعد تاخوا في فلوس، ماكش قاعد تنتج، قاعد تستهلك موش قاعد تنتج

- خيبة الأمل والندم

لا يخفى على الطلبة التونسيين ان البلاد تعيش أزمة بطالة خريجي الجامعات منذ سنوات طويلة وانه لا حلول جذرية في الأفق، لكن الانسان يحيا بالأمل وبفكرة «هذا يحدث للآخرين» وبفكرة الخلاص الفردي. هذا الأمل سرعان ما يصطدم بالواقع المعيش خاصة بالنسبة للمتخرجين من شعب جامعية ضعيفة الأفق التشغيلية و/أو المنحدرين من مناطق وبيئات اجتماعية-اقتصادية لا «ظهر» يسندها ولا موارد مالية تمكنها من إيجاد بدائل. وبعد فرحة التخرج والتخلص من تعب الدراسة والمواصلات وضغط الامتحانات يدخل أغلب المتخرجين في دوامة البحث عن الشغل ومقابلات التشغيل واجتياز المناظرات والمرور بعدة وظائف مؤقتة، الخ.

مروى: تبدا متوقع و انت تقرى الي انت باش تخدم ديراكت معناها. أنا وحدة مالناس في الباك حبيت ناخوا شعبة قصيرة على أساس باش نختصر الأعوام ونخدم يعني ياخي بالحق تتصدم بالواقع مبعد و باش تقعد بطال.

وكلما طالت فترة البطالة وصارت تحسب بالسنوات لا بالأشهر والأسابيع، كلما يبدأ الشاب المتخرج في التساؤل حول وجاهة اختياره وفائدة شهادته الجامعية، وفي الكثير من الأحوال يتحول هذا التساؤل إلى ندم صريح عبر عنه الكثير من المستجوبين الذين استكملوا تعليمهم العالي.

جيهان: تقعد تلوم أمك وبوك. كان هز عملك فورماسيون . تولي تلوموا: علاش هزيتني نقرى؟ خاطر ديما الأولياء يقلك امشي أقرى كمل قرايتك . يبدا هو يعرف الي موش باش توصل وتلقى فيها خدمة أما يقلك ال كمل أقرى وخوذ شهادة. أما هوما الآباء عندهم هوما عندك شهادة خير ملي ما فماش

محمد علي: كان ينجم يوجهك توجيه آخر . الحاجة الي انت تحبها . حاجة تكون متجهة ديراكت للخدمة . موش لازم عليك تقعد ثالثة سنين وتضيع الوقت.

مروى: أي ندمت كان مشيت عملت صنعة، فورماسيون خير . خير ملي مشيت للفاك . خاطر مافماش خدم.

هذه المشاعر السلبية تزداد حدتها عبر السنوات ولا يقتصر تأثيرها على الضغط النفسي والإحباط بل انها تتسبب تدريجيا في فقدان الشاب العاطل عن العمل لثقته في نفسه، فالمعارف التي اكتسبها خلال تعليمه تتبخر تدريجيا حتى انه في بعض الحالات يسائل نفسه ان كان قادرا حقا على ممارسة الوظائف التي تؤهله لها دراسته الجامعية.

حلمي: تتغير حتى القراية الي تقراها ولا كنت تقرى فيها بطول المدة تنساها ماعادش تعرف حتى كيفاش تخمم ، كيفاش تخدم.كل شي يحبس. معادش تفهم حتى شي.

مروى: حتى باش تمشي لخدمة أخرى تولي تقول زعمة انا مازلت نجم، زعمة نخدم ، خاطر حاس روحك نسيتها ديجا باش يعملك أنروتيان هو وباش يلقاك ناقص في برشا حاجات لازمك تعاود تقرى الكور من اول وجديد، وتحضر الي قريتوا و حفظتوا الكل باش ترجعلوا الكل وما ترجعش للنيفو اللي كنت فيه

-الإحساس بالوهن والمرض

التأثيرات النفسية للبطالة تتفاقم بطول المدة وانسداد الآفاق وقد تتطور - كما لا مسنا في عدة إجابات - إلى إرهاق واحساس بالضعف ونقص في الطاقة الجسدية و»توهم» الإصابة بأمراض.

خليل: ترصيلك بش تشد الدار, عبارة مرض, مال شنوة ، مرض .

سناء: تحس روحك أكبر من عمرك، أي قاعدة في الدار تحس روحك ماكش... تحس روحك ترزن ولا كيفاه.

بالمقارنة نلاحظ ان هذا الإحساس يحضر أكثر لدى المستجوبات خاصة في مجموعة العاطلات اللواتي لا يحملن شهادات جامعية، ويمكن تفسير هذا الأمر بأن هذه الفئة تقضي وقت أطول في المنزل (لأسباب ثقافية تتعلق بمدى تسامح الأسرة مع تواجد بناتها في الفضاء العام بدون مرافقة أو «سبب» عملي) مقارنة بالمستجوبين الذكور وحتى المستجوبات حاملات الشهادات العليا، فحالة العطوبة تزداد وطأة مع البطالة وعدم مواصلة الدراسة او متابعة دورات تكوينية.

غادة : انا كي مشيت مشا في بالي حكاية قلب والا حاجة، كل ما نمشي يقولولي ما عندك شي، حكاية نفسية وتتعدى.

مروى: البطالة والفلوس هي الحكاية الكل، اخر الشهر كي ما يبداش عندك فلوس تبدا تاعبة وفي حالة وما تخرجش من الدار، كي تبدا عندك فلوس باش تتحرك.

طبعا ليس هذا الإحساس بالمرض مجرد هلاوس أو تمثلات، فحالة العطالة والإحباط والتفكير الدائم في مخارج وحلول تؤثر على النوم والتغذية والحيوية الجسدية وحتى الوزن. كما ان حالة الفراغ والبحث عن طرق لتخفيف الضغط النفسي تجعل بعض المستجوبين يلجأ إلى استعمال مفرط للمهدئات والمخدرات والتدخين بشراهة، الخ.. وهذه سلوكات لها كلفتها الصحية الجسدية على مدى متوسط أو طويل.

- الخجل

المستجوبون في المجموعات البؤرية الثلاثة هم في مرحلة عمرية تفترض انهم نشطين اقتصاديا ومستقلين ماديا، لكن بطالتهم وحالة العطوبة التي يعيشونها تفرض عليهم تبعية مادية نسبية أو كاملة لعائلاتهم، خاصة وان الدولة لا توفر منح ومساعدات عينية للعاطلين عن العمل تحفظ كرامتهم وتمكنهم من البحث عن فرص جديدة. هذه الوضعية لا تمنع العاطلين عن العمل فقط من تحقيق ذواتهم وتلبية احتياجاتهم الخاصة وفق أذواقهم ورغباتهم، بل انها تخلق لديهم شعورا مستمرا بالخجل يصل إلى حد الإحساس بالعار في بعض الحالات. وهكذا تنزاح المسؤولية تدريجيا عن الدولة وسياساتها لتنتقل إلى العاطل عن العمل «الفاشل» الذي «لا يبذل جهدا كافيا» وتنقصه «روح المبادرة» التي تمكنه من «الخلاص الفردي» عبر بعث مشروعه الخاص.

ولنا ان نتخيل وطأة هذا الإحساس كلما طالت مدة البطالة وتقدم سن العاطل وزادت أسئلة المحيطين به وتناقص تفهم العائلة للوضع.

> كريم: خليني نحكيلك على روحي، بابا نقلو اعطيني ، يعطيني الفين ويقلي برى اخدم على روحك,يطيشهم راهو ألّلفين يذلك عليهم
>
> وائل: الواحد ما ترباش يمشي امي اعطيني دينار وّل اعطيني 20 الف,تخرج تجيب مصروفك وترّوح.
>
> حلمي: النظرة متاع العايلة للراجل من شيرة أخرى. راجل لازمك تتصرف خويا و تخرج تخدم مااال باش راجل انت..
>
> سناء: مثال تحب على حاجة متنجمش تطلب فلوس على خاطر انت ماكش تقرى ماكش تقرى ، ماكش تعمل في حتى شيء
>
> مروى : تحس روحك اللي انت مازلت عالة عليهم ، أمك و بوك ، معناها وصلوك و قروك و عملولك هاذاكا الكل ، تحس روحك كايني انت تتعسف عليهم ، يبقو يصرفو عليك ، كملت تخرجت نورمالمون راك لقيت خدمة و تخدم و تحاول ترجع الجميل اللي عملوه معاك

من خلال أجوبة المستجوبين نستشف ان هذا الشعور مشترك بين المجموعات البؤرية الثلاث لكن حدته قد تختلف حسب المستوى التعليمي والجنس. فمثلا نلاحظ ان تمثل هذا الشعور أقوى لدى المشاركين في مجموعة العاطلين عن العمل الذين لا يحملون شهادات مقارنة

بمجموعة العاطلين من المتخرجين من الجامعات، وهذا قد يفسر بكون حاملي الشهادات قد بذلوا جهدا إضافيا مقارنة بالمنقطعين عن الدراسة مبكرا مما يخفف وطأة الخجل ويزيد من تفهم العائلة للوضع.

ولئن لامسنا لدى أغلب المستجوبات نفس الشعور بالخجل فيبدو انه اقل وطأة مقارنة بالذكور فعلى الرغم من التغيرات الثقافية وتطور حضور المرأة في النسيج الاقتصادي والفضاء العام مازال جزء مهم من المجتمع التونسي يعتبر ان المرأة مهما كان عمرها ومستواها يتوجب على ذكور العائلة اعالتها في حالة لم تكن قادرة على التكفل بمصاريفها، في حين ان الذكور يجب ان يستقلوا ماديا ويساهموا في إعالة أسرهم وتحمل الجزء الأكبر من نفقات الزواج وما بعده. هناك أيضا تباينات في الإحساس بالخجل من التبعية المادية لدى المستجوبات، فهو عموما أقل عند حاملات الشهادات مقارنة بالمنقطعات عن الدراسة.

محمد علي: حتى العايلة ديما يقوللك طفلة ميسالش هو راجل لازم يخدم على روحوا يتصرف أمورك أما ديما الطفلة يعاملوها أكثر شويا خير شويا

سناء: هوما أصلا (تتحدث عن عائلتها) كي يشوفوك نفسيا ماكش مرتاح يوليو ما يحبوش يجبدهولك و الا يقولك ايا امشي شوف، فركس و اعمل

مروى: هوما يعرفوا ديجا ماعندك حتى حل. شنوة باش تعمل يعني، قاعدين يصرفو عليك هوما ديجا

غادة: انا قريت وقعدت في الدار، صحيح مأثرة فيا شوية اني نمد يدي لدارنا ونقلهم اعطيوني مصروفي أعطيوني باش نشري اما ماعنديش مشاكل مع العايلة .

مروى: أنا معرسة ، ناخوا مصروف من عند راجلي. ملي عرست ما عملت حتى حاجة اندخل الفلوس.

- العزلة

هذا الشعور بالخجل على اختلاف المستوى التعليمي والجنس يجعل الكثير من المستجوبين، بقصد أو بدونه، يحاولون «الاختفاء عن الأعين» والانسحاب من الحياة الاجتماعية وحتى العائلية. هذا الانسحاب قد يكون جزئي أو وقتي وقد يتحول في بعض الحالات إلى عزلة شبه كاملة. عبر الكثير من المستجوبين عن أسباب واشكال وتمظهرات هذا الانسحاب. هناك من يقضي أغلب الوقت في غرفته الخاصة أو في المنزل بصفة عامة (خاصة عند الإناث) أو في مقهى الحي لتفادي «اظهار» عطالتهم و»عيون الناس» والأسئلة المحرجة والمتكررة في محيطهم (عائلة، جيران، أصدقاء) وحتى لتجنب الاحراج الذي قد يسببه لهم الخروج مع الأصدقاء للفسحة أو التسوق بدون أن يكون لهم ما يكفي من مال. الرغبة في التواري على الأنظار قد تأخذ أشكالا أخرى مثل في الافراط في استهلاك المخدرات والمهدئات أو الاستعمال المكثف لمنصات التواصل الاجتماعي والانترنت عموما. هذه العزلة «الاختيارية» (الاضطرارية في الحقيقة) تفاقم من جهة الاثار النفسية للبطالة، ومن جهة أخرى تحد بشكل كبير من شبكة علاقات الشاب

العاطل مما قد يحرمه من معلومات هامة وفرص شغل وأفكار جديدة قد تساهم في فتح افاقه وتحسين وضعه.

سناء: تصور روحك تمشي تعمل شوبينغ و معندكش حتى فرنك في جيبك؟ باش تخرج مع صحابك تقطر وانت ما عندكش فلوس باش تخلص على روحك. تستنى في العباد تخلصلك .

رجاء: ديما في الدار ديما مسكرة على روحي، شادة التالفون

محمد: تدخل انت لداركم، يقلقوك. هاك تخرج من الصباح لليل ما تخدمش . كل مرة كيفاش بالله شنوة الفرق بين تقعد في الدار تتفرج في التلفزة وآل بش تخرج للقهوة كيف كيف

منذر: بش ما تقعدش حشومة حتّى بش ما توريش للعباد الي انت بطال واقف في راس النهج، تمشي للقهوة وتعّديلك 3 ،4 سوايع خير من تقعدها في الكيّاس. خاطر كان تقعد في الكيّاس لعباد باش يقولو شوف شادد البوطو خاطر بطّال.

سناء: فما حاجة أخرى خايبة إلى انت تقعد تخصص حياتك الكل للفايسبوك بطريقة يوليلك ادمان. عايش حياة أخرى معناها افتراضية. ماكش عايش الحياة الواقعية. ساعات تفيق تقول أنا موش عايش حتى شي في الدنيا، عايش الحياة االفتراضية . أكا البروفيل متاع الفايسبوك. تحس روحك عايش في خيال

أشكال الترفيه ومقاومة الضغط النفسي

إزاء التأثيرات النفسية لوضعه الاجتماعي-الاقتصادي يحاول كل عاطل عن العمل الترويح عن نفسه والخروج من دوامة العطوبة بوسائل واستراتيجيات مختلفة منها ما هو مشترك بين المجموعات الثلاثة ومنها ما هو مرتبط بمتغير الجنس و/أو المستوى التعليمي. لكن الأمر ليس بهذه البساطة فنحن نتحدث عن شباب وشابات عاطلين عن العمل ينتمي أغلبهم إلى عائلات ضعيفة أو متوسطة الحال تسكن في منطقة مهمشة تنمويا وتعاني من نقص كبير في أماكن الترفيه والنشاط الفني والرياضي، العمومية منها والخاصة. فضلا عن نقص الموارد المالية وأماكن الترفيه ورداءة خدمات النقل (التي تزيد من عزلة الشباب العاطل في حي التضامن) فهناك حاجز آخر يعترض الشابة العاطلة عن العمل ففي الكثير من الأحيان نجد ان بطالتها وعدم مزاولتها للدراسة يقللان من إمكانية ابتعادها من البيت «بلا سبب». كما عبرت بعض المستجوبات عن التمييز الذي يتعرضن له في مسألة مصروف الجيب اذ تعطي بعض العائلات الأولوية للذكور بما انهم -حسب تمثلها- يخرجون أكثر ولديهم مصاريف أكبر.

جيهان: الاكثرية يقلك طفلة أهيكا قاعدة في الدار حتى ولو كان موش باش تخرج موش باش تسهر كيما الطفل..

فيما يلي أبرز الأنشطة والممارسات التي يلجأ لها المستجوبون للتخفيف من الوطأة النفسية للبطالة والفراغ.

- الشعائر الدينية

اغلب المستجوبين اعتبروا ان الدين (الصلاة، الدعاء، تلاوة القرآن والاستماع له) له تأثير إيجابي على الصحة النفسية فضلا عن أهميته في إمكانية انفراج أوضاعهم. لكن هذا لا يعني ان اغلبهم يؤدون الشعائر الدينية بانتظام، ونلاحظ من خلال تدخلات مختلف المشاركين في المجموعات الثلاث ان المستجوبات على اختلاف مستوياتهن العلمية أكثر تدينا أو اعتقادا في أهمية الدين من الذكور.

> جيهان: اي تبدل من النفسية. برشا عباد كي تصلي تتفرهد. نرجع للصلاة ونتفكر ديني. تشد في ربي وهو موش باش يخليها بيك
>
> مروى: يخليك تخرج من الواقع إلي انتي فيه يعني معناها تمشي للدنيا االخرى . معناها تقول ربي يعوضني. يعني ثيقتك في ربي هي الي باش تخليك تصبر
>
> سناء: حط قرآن في كيت ما غير مهدئ لا حتى شي

- الرياضة

هناك اجماع في المجموعات الثلاثة على أهمية الرياضة للصحتين الجسدية والنفسية، ورغبة في ممارستها، لكن عدم توفر ملاعب ومسالك صحية وغيرها من البنى التحتية الرياضية العمومية المجانية يصعب ممارسة هذا النشاط، أما القاعات الخاصة فأسعارها تتجاوز بكثير إمكانيات أغلب العاطلين عن العمل. وأشار بعض المستجوبين - ذكور واناث- إلى ان الرياضة تتطلب أيضا معدات وملابس خاصة ونظاما غذائيا مناسبا مما يجعلها أحيانا نشاطا مكلفا ماديا. يضاف إلى كل هذا ما عبر عنه البعض من نقص الشعور بالأمن عند ممارسة الرياضة في الهواء الطلق في الصباح الباكر او الليل خوفا من الاعتداءات و»البراكاجات» خاصة بالنسبة للإناث.

> سناء: ما فماش *Entourage* إلي يشجعك. نحب قروب هكا نتشجعوا مالقيتش .
>
> حلمي: باش تدخل لصالة نترانا أقل صالة 80 دينار وانت بطال معندك ما تعمل حتى باش تاكل: سبور ؟؟؟ ههه
>
> أحمد: فما شكون يخرج الصباح يعمل مارش يبراكيوه والله أمي و بنت خالتي خرجوا نحوا تليفون بنت خالتي في الصباح

هناك اقبال من العاطلين غير الحاملين لشهادات على الرياضة خاصة كمال الأجسام والرياضات الفردية، والبعض منهم سبق له النشاط في جمعيات وحتى المنتخبات الوطنية لكن ظروفهم الصحية وقلة الإحاطة تجعل اغلبهم لا يكمل المشوار ولا يجد من يساعده على تطوير قدراته. كما أكدوا أن انتمائهم المناطقي والطبقي كانت له عواقب في تعطيل مسيرتهم: محسوبية، اقصاء، نقص إمكانيات، الخ.

علـى أسـاس بـش نخـرج ياخـي مـا خرجونيـش ياخـي خرجـو واحـد اخـر علـى خاطـر بيّـو فـي الفيديراسـيون.

خليـل: انـا مشـيت نترانـا فـي حمـام الأنـف كـي سـمعو بيّـا مـن حـي التضامـن، أنـا جيـت بـش نخـرج البـرة سـتاج بطلـو خاطرنـي مـن حـي التضامـن

- ارتياد المقاهي

بالنسـبة لارتيـاد المقاهـي فهنـاك فـرق واضـح فـي تمثـل طبيعـة هـذا «النشـاط» حسـب متغيـر الجنس، فلقـد لاحظنـا ان العاطـلات -جامعيـات وغيرهـن- يعتبرنـه ضربـا مـن الترفيـه يقمـن بـه فـي فتـرات متباعـدة نسـبيا، فـي حيـن انـه يمثـل لـدى أغلـب المسـتجوبين الذكـور جـزء مـن الروتيـن اليومـي وحتـى ضـرورة للتهـرب مـن العائلـة .

مـروى: أي تخـرج تبـدل الجـو وتقابـل العبـاد. تحـل آفـاق تحكـي مـع العبـاد أكيـد بـاش تحسـن نفسـيتي.

محمـد علـي: أحنـا فـي حـوم شـعبية كيمـا حـي التضامـن المـكان الترفيهـي الوحيـد إلـي نمشـيولوا هـو القهـوة. كل يـوم معناهـا يوميـا. معناهـا انـت تحـب تحسـب روحـك ت تفرهـد شـويا تمشـي للقهـوة. طريـح رامـي تتفـرج فـي الكـورة. أهـوكا تضيـع ثالثـة أربعـة سـوايع و تـروح . معناهـا انجمـوا نقولـوا إلـي هـي تبـدل المـود لفتـرة معينـة و أكهـو

منـذر : بـش مـا تقعـدش حشـومة حتّـى بـش مـا تـو ّيـش للعبـاد الـي انـت بطـال واقـف فـي راس النهـج، تمشـي للقهـوة وتعّديلـك 3 ،4 سـوايع خيـر مـن تقعدهـا فـي الكيّـاس. خاطـر كان تقعـد فـي الكيّـاس لعبـاد بـاش يقولـو شـوف شـادد البوطـو خاطـر بطّـال.

- وسائل التواصل الاجتماعي

مجموعـة العاطليـن عـن العمـل مـن أصحـاب الشـهادات هـي الأكثـر اسـتعمالا لوسـائل التواصـل الاجتماعـي، ليـس لغـرض الترفيـه وتجزيـة الوقـت فقـط بـل كذلـك للبحـث عـن عمـل وتطويـر معارفهـم فـي اختصاصاتهـم الأصليـة أو تعلـم أشـياء جديـدة او لمتابعـة مدربـي «التنميـة البشـرية». ومـن أهـم المنصـات المسـتعملة فيسـبوك ويوتيـوب وتيـك تـوك وإنسـتغرام. المسـتجوبات اللواتـي لا يحملـن شـهادات جامعيـة يقضيـن هـن أيضـا وقتـا طويـلا فـي منصـات التواصـل الاجتماعـي لكـن لغـرض الترفيـه ومـلء الفـراغ أساسـا. لا يبـدو مـن خـلال شـهادات عينـة الذكـور الذيـن لا يحملـون شـهادات جامعيـة ان وسـائل التواصـل الاجتماعـي تلعـب دورا هامـا فـي حياتهـم اليوميـة، بعضهـم لا يملـك هاتفـا ذكيـا أصـلا.

سناء: صحيح هو حاجة باهية وحاجة خايبة . حاجة باهية انوا انت تحب تستنفع تحب تتعلم حاجة أي حاجة تحب عليها تلقاها ، حلو أي حاجة باش تعمل وقت متاع كوتشينغ حتى نفسانيا . تعمل أبونومون لكوتش كبار يفيدوك في حياتك . حاجة تفيدك . أما فما حاجة أخرى خايبة إلي انت تقعد تخصص حياتك الكل للفايسبوك بطريقة يوليلك ادمان .

ولاحظنا ان هناك وعي لدى الكثير من المستجوبين (في مجموعتي المتخرجين والعاطلات بلا شهادات) بأنهم يقضون ساعات طويلة في هذه المواقع بشكل يشبه الإدمان وان ما يفعلونه هو بشكل أو بآخر احدى استراتيجيات الهروب من واقعهم المعيش. كما عبر بعضهم عن تاثير عكسي لهذه الوسائل التي يفترض انها ترفيهية، فهي قد تتسبب في زيادة تأزمهم النفسي لدى اطلاعهم على منشورات وصور وفيديوهات لأشخاص يعيشون حياة الترف ويظهرون سعادتهم وثرائهم (مناسبات، أنشطة ترفيهية، رحلات ملابس، اكسسوارات، سيارات جدية، الخ) في حين ان المستعمل يعاني من الفقر والبطالة وانسداد الآفاق وحتى العزلة الاجتماعية.

محمد علي: الناس حتى إلي نحكي معاهم والا أصحابي الإنستغرام إلي هو نشوفوا فيه حياة أخرى وانت تبدا بطال متنجمش توفر نفس العيشة أذيكا ونفس ريتم . التصاور و الستوريات والناس الكل تسهر واللبسة

- الكحول والمهدئات والمخدرات

هنا أيضا نلاحظ تفاوتات ذات دلالة حسب متغير الجنس والمستوى التعليمي في استهلاك هذه المواد. مثلا أغلب المستجوبات، سواء اللواتي تخرجن من الجامعة أم لا، لديهن موقف رافض لاستهلاك الكحول والمخدرات، والمهدئات بشكل أقل، أساسا لاعتبارات دينية، وكذلك لاعتقادهن بلا جدوى هذه المواد ومخاطر الإدمان التي قد تتسبب فيها. مواقف العاطلين الذكور تبدو أكثر تنوعا، فلئن أكد أغلبهم انهم لا يستهلكون المهدئات فإن بعضهم يستهلك الكحول و/أو «الزطلة» أو يتفهم الأسباب التي تدفع الآخرين لاستهلاكها، مع وعي أكثرهم بمخاطر الإدمان ومحدودية فعالية هذه المواد في الهروب من الوقع الصعب الذي يعيشه العاطل عن العمل. أما مجموعة الذكور العاطلين عن العمل من غير حاملي الشهادات الجامعية فهي الأكثر اقبالا على استهلاك المخدرات والمهدئات، ويرى الكثير من المشاركين فيها انها شبه ضرورية لتحمل ظروفهم المعيشية وعدم الانهيار تماما. أغلب المستجوبين في هذه المجموعة لا يستهلكون الكحول لأسباب لا تتعلق بالجانب الديني أو بالوعي بالمخاطر بل من منطلق اقتصادي بحت، اذ يرى بعضهم ان المال الذي ينفقونه على الكحول يمكن أن يوفر لهم متعة أكبر وأطول ان اشتروا به مخدرات ومهدئات.

تأثير البطالة على علاقات المستجوبين بمحيطهم

سعينا من خلال هذه الدراسة أن نفهم كيف تنعكس وضعية البطالة على علاقة الشاب العاطل عن العمل مع المقربين منه. نتحدث هنا عن العائلة -المصغرة والموسعة- والأصدقاء والعلاقات العاطفية. ماهي تمثلات المستجوبين لهذه العلاقات وهل تتأثر بمتغيرات المستوى التعليمي والجنس؟

- تأثير البطالة على العلاقة مع العائلة

ما من شك ان العائلة هي الرابط العلائقي الأكثر تأثيرا في الحياة اليومية للعاطل عن العمل، فهي الإطار الذي يقضي وسطه أكثر ساعات اليوم، والذي يوفر له مستوى تختلف درجته من الدعم المادي والمعنوي. كما انها تتأثر بالانعكاسات المادية والنفسية لبطالة أحد أفرادها خاصة عندما تكون ضعيفة الحال و/أو كثيرة العدد و/أو بدون معيل. هذا الاحتكاك اليومي المترافق مع عطوبة مزمنة بدون أفق واضح يخلق علاقة معقدة بين العائلة والشاب العاطل عن العمل. طبعا تختلف هذه العلاقة من أسرة إلى أخرى لكن هناك تشابه وتقاطعات في شهادات المستجوبين في كل واحدة من المجموعات البؤرية الثلاث، وهناك ايضا اختلافات ذات دلالة في تمثل كل مجموعة لتأثير البطالة على هذه العلاقة. نتلمس من إجابات أغلب المستجوبين إحساس قوي بأنهم يشكلون عبء ماديا على العائلة وان العلاقة تزداد توترا كلما زادت فترة البطالة وقد تتخذ أشكالا عنيفة ومهينة في حالات معينة. كما لا حظنا ان هناك فروقات كبيرة نسبيا في علاقة العائلة بالشاب العاطل عن العمل حسب مستواه التعليمي ونوعه الاجتماعي.

من خلال تحليل مختلف الشهادات يتبين بوضوح ان مجموعة الذكور غير الحاملين لشهادات جامعية هي التي تعاني أكثر من توتر العلاقات مع العائلة بسبب البطالة. ويمكن تفسير هذا التوتر الشديد في العلاقات بعدة عوامل : أغلب المستجوبين في هذه المجموعة هم من أبناء أسر فقيرة وفي كثير من الحالات لديها أكثر من فرد عاطل عن العمل مما يعني ان كل حالة بطالة تحرم العائلة من جزء من مواردها (أو كلها) وتضيف إلى أعبائها إعالة الفرد العاطل عن العمل، وربما تعتبر العائلة ان وضعية ابنها العاطل عن العمل الذي لم يتم دراسته الجامعية اخفاقا مزدوجا فلا هو حاصل على شهادة قد تمكنه من عمل «محترم» ولا هو استطاع تثبيت أقدامه في سوق الشغل بحرفة أو تجارة تدر عليه -وعلى عائلته- دخلا ثابتا، كما ان احتمال تعرض المستجوبين في هذه المجموعة للسلوكات المحفوفة بالمخاطر (مخدرات، انحراف، عنف، هجرة غير نظامية) كبير مقارنة بالمجموعات الأخرى مما قد يجعل العائلات تقلق من الفراغ الذي تتسم به حياة أبنائها العاطلين وتحثهم على البحث عن عمل حتى تبعدهم عن «التسكع» و»رفاق السوء».

هذا التوتر في العلاقات بين المستجوبين في مجموعة العاطلين بلا شهادات جامعية يدفع أغلبهم إلى البقاء أكثر ما يمكن من الوقت خارج منزل العائلة أو الانزواء في غرفهم لساعات طويلة لتفادي الاحتكاك مع باقي الأسرة قدر الإمكان.

وائل: علاقة، صباح الخير أمي، السلام من بعد تمشي. ترجع في الليل تمشي ترقد هذاك هو.

محمد: تدخل انت لداركم، يقلقوك. هاك تخرج من الصباح لليل ما تخدمش . كل مرة كيفاش بالله شنوة الفرق بين تقعد في الدار تتفرج في التلفزة وألّ بش تخرج للقهوة كيف كيف

حسني: انا بابا ما نقعدش معاه درجين على بعضهم سامحوني والله، يا انا يلزم نخرج، يا هو يخرج. بوك، ماذا بيه ما يحكيش معاك جملة.

وتبدو العلاقة مع الأب الأكثر توترا وتعقيدا وهي قد تصل إلى حد العنف الجسدي والإهانة اللفظية والمعنوية، في حين تظهر الأم أكثر تفهما للوضع وتلعب في كثير من الأحيان دور الحامي والوسيط مع الأب لتخفيف الضغط على الابن العاطل:

لسعد: الأم بش تقول لبوك راهو مشى وتبع ومالقاش و...خاطر بوك هو مش كيما أمك، بوك ديراكت يقلك اخرج عليا...االأم تحسها كي بش تخرج العشرة متاع الليل، التسعة متاع الليل بش تحسها تقول ولدي قاعد للشر في البرد، بش يصبح؟ ضربوه؟...لّابس؟ متغطي؟ بوك ما على بالوش.

محمد: تقلك تو ربي يفرجها، هذي الأم. البو يقلك برى اخرج، برى اتصرف، يقلك برى جيب الفلوس وما فماش خدم

كريم: خليني نحكيلك على روحي، بابا نقلو اعطيني، يعطيني الفين ويقلي برى اخدم على روحك، يطيشهم راهو الأفين يذلك عليهم

خليل : أنا بابا يسكر عليّا الكوجينة (...) ساعة على ساعة ما تعرفش عليه الكف منين يجيك, المشطة منين تجيك وراس خويا..

وربما تتأتى هذه القسوة الأبوية من كونه في أغلب الأحيان المعيل الرئيسي والوحيد للعائلة وثانيا بسبب التنشئة الاجتماعية التي ترى ان التعامل بقسوة مع الأبناء الذكور يصنع منهم «رجالا» مسؤولين وأشداء. عموما تبدو العلاقة متقلبة حسب وضع الإبن العاطل عن العمل، فعندما يتحصل على عمل وقتي ويساهم في مصاريف البيت تتحسن العلاقات بشكل ملحوظ، ولنا ان نتخيل تأثير تغير المعاملة حسب الحالة المادية على الفرد العاطل عن العمل:

منذر: ريتهم العلاقات مع الدار، كل نهار ونهارو. كيما الطقس نهار باهي ونهار خايب نهار مريقلين معاك ونهار تفيقك امك 6 متاع الصباح بر أخرج، بر فركس على خدمة.

سعد: كي عندي فلوس بابا يحطني فوق راسو، ما عندكش فلوس، تولي عايق وماكش عبد، وعاملها بالعاني وانت ما تحبش تخدم..

تأثير البطالة على علاقة العاطلين والعاطلات من أصحاب الشهادات العليا بعائلاتهم أقل وطأة مقارنة بغير الحاملين لشهادات. يمكن القول ان العائلة في هذه الحالة تأخذ بعين الاعتبار

الجهد الذي بذله ابنها خلال سنوات الدراسة الطويلة وان بطالة أصحاب الشهادات ظاهرة عامة وقديمة تتفاقم منذ قرابة ربع قرن، كما ان هناك قناعة وأمل بأن استكمال التعليم يبقى دائما نجاحا وأمرا جيدا يسهل الوصول إلى وظيفة مريحة وقارة. نتلمس هذا التفهم من خلال عدة شهادات وردت على ألسنة المستجوبين والمستجوبات في هذه المجموعة:

> سناء: هوما أصلا كي يشوفوك نفسيا ماكش مرتاح يوليو ما يحبوش يجبدهولك والا يقولك أيا فركس واعمل
>
> مروى: هوما يعرفوا ديجا ماعندك حتى حل. شنوة باش تعمل يعني، قاعدين يصرفو عليك هوما ديجا
>
> غادة: انا قريت وقعدت في الدار، صحيح مأثرة فيا شوية إني نمد يدي لدارنا ونقلهم اعطيوني مصروفي أعطيوني باش نشري اما ماعنديش مشاكل مع العايلة .

لكن هذا لا يمنع ان تقييم الآراء في العلاقة يختلف قليلا حتى صلب هذه المجموعة، فالعاطلون الذكور يحسون بحرج أكبر من تكفل عائلاتهم بمصاريفهم مما يخلق لديهم ضغط أكثر حتى وان لم تعبر العائلة عن ضيقها بهذا الوضع.

تعامل العائلة مع المستجوبات سواء ان كنّ صاحبات شهادات أم لا يبقى أفضل نسبيا من معاملة الذكور، وربما يعود هذا الاختلاف إلى العرف المجتمعي الذي يرى ان المرأة تبقى على الرغم من كل شيء من مسؤولة ذكور عائلتها (أب، اخوة، خطيب، زوج) وانه لا يمكن اجبارها على الخروج إلى العمل والإصرار على ذلك، فضلا عن القناعة التي ترى انه في «اسوء الأحوال» سيأتيها زوج يتكفل بنفقاتها. لكن هذه «المعاملة الخاصة» لها ضريبتها فالبطالة قد تجعل العائلة أقل «تسامحا» مع خروج الشابة العاطلة إلى الفضاء العام، كما ان قضاء أغلب الوقت في المنزل يقلل أو يحرم الشابة تماما من مصروف الجيب الذي كانت تتلقاه عندما كانت تدرس مثلا:

ماعادش تنجم تطلب كيما كنت تقرى. كي تقري تطلب باستحقاق أما كي تبدا بطال معادش تنجم تطلب حتى شي. تبدا ترى في الحاجة وتسكت.

> غادة: صارتلي طرفة، وقتها باش نخرج وحاجتي بفلوس وأمي تجل في خويا خاطرو طفل يمشي للقهوة قلتلها علاش تعطي فيه في مصروف وانا لا، قتلي لا خاطر هو يتكيف قلتلها حتى انا تولي نتكيف باش تعطيني مصروف هه..
>
> جيهان: الأكثرية يقلك طفلة أهيكا قاعدة في الدار حتى ولو كان موش باش تخرج موش باش تسهر كيما الطفل

في مجموعة العاطلين عن العمل من حاملي الشهادات العليا لاحظنا ان هناك اتجاه عكسي في مسألة اللوم، فعدة مستجوبين لاموا عائلاتهم (وكذلك المحيط العلائقي الموسع) لأنها اما

أصرت على استكمالهم لدراستهم عوض توجيههم نحو التكوين المهني والخروج في سن مبكرة إلى سوق الشغل أو لأنها لم توفر لهم النصح الكافي خلال مرحلة التوجيه الجامعي:

محمد علي: أنا كان جيت لقيت شكون كبير يوجهني راني مانيش في نفس الحالة.

جيهان: تقعد تلوم أمك وبوك. كان هز عملك فورماسيون . تولي تلوموا: عالش هزيتني نقرى؟ خاطر ديما الأولياء يقلك امشي أقرى كمل قرايتك . يبدا هو يعرف الي موش باش توصل وتلقى فيها خدمة أما يقلك ال كمل أقرى وخوذ شهادة. أما هوما الأولياء عندهم هوما عندك شهادة خير ملي ما فماش

الملفت للنظر انه وعلى اختلاف محتوى شهادات المستجوبين في المجموعات الثلاث فيما يخص العائلة المصغرة فهناك تشابه كبير يرقى إلى الإجماع عندما يتعلق الأمر بالعائلة الموسعة، التي يرى اغلب المشاركين انها لا تقدم يد العون بل تمثل عامل توتر وضغط على العاطل وعائلته المصغرة. فسؤال أفراد من العائلة الموسعة عن وضعية العاطل وتقييم اختياراته والاستشهاد بأمثلة لأفراد آخرين من العائلة تحصلوا على عمل بشكل سريع بشهادة أو بدونها وحققوا نجاحات مادية ومهنية يمثل احراجا للعاطل عن العمل ويزيد حسرة العائلة المصغرة وقد يصنع توتر بينهما، وقد يكون الأمر مجرد تمثل من العاطل وحساسية مفرطة تتنامى بمرور الوقت وطول فترة البطالة. ونلاحظ ان التقييم السلبي للعلاقات مع العائلة الموسعة أكثر حدة في مجموعة حاملي الشهادات وهو ما يعزز فرضية الحساسية المفرطة التي تخلقها البطالة لدى هذه الفئة.

سناء: بالطبيعة، فما ساعات يتلموا، آاا ولدك تخرج؟ آاا شنية لقاش خدمة؟ آاا بنتك صايا قداش عندها ملي كملت؟ لقاتش خدمة؟ ديما ولد فالن هوكا خدم فيسع. شبيك انتي ما قريتش أكاكا ؟ ديما تلقاها الحكايات هذيا في العايلات . بطريقة تولي اتأثر.

حلمي: يمكن الحاجات هذوما يزيدوا ما بين النساء أكثر. مثال يقلك وحدة ولدها ما قراش وخدم ووحدة ولدها قرى وما خدمش وهي كانت تغزل فيها تبدا ولدها يتخرج من هنا هه ولدي عندوا كرهبة ودار

رجاء: خاصة كي يبدا البو من النوع اللي يتعمر فيسع، هوما يقولوا ما قدمتش وهو يقلهم ما قدمتش ، هوما يقولو ما صبتش في بيرو الشغل وهو يقلهم ما صبتش ، هاو فما كونكورات ، هاو فما ندرا شنوة ، يا بابا راو مش صحيح راو الكونكور اللي تدخلو يبدا مسكر.. لا فما اما انت قرايتك مش باهية وما عرفتيش تختاري..

- العلاقة بالأصدقاء

يفترض ان الأصدقاء يشكلون أحد أهم عناصر المحيط العلائقي للشاب/ة وانهم يلعبون دورا في تخفيف اثار البطالة وما تخلقه من أزمات للعاطل عن العمل، لكننا نستشف من خلال إجابات أغلب المستجوبين والمستجوبات في المجموعات البؤرية الثلاث ان الأمر ليس بهذه البديهية. أولا، نلاحظ ان روابط الصداقة تتحلل تدريجيا -خاصة عند حاملي الشهادات العليا- كلما طالت

مـدة البطالـة. ثانيـا هنـاك خيبـة أمـل عامـة مـن الأصدقـاء واحسـاس بالتجاهـل. ثالثـا، هنـاك اعتقـاد قـوي لـدى اغلـب المسـتجوبين والمسـتجوبات بـأن الجانـب المـادي مؤثـر فـي شـكل العلاقـة ومتانتهـا مـع الأصدقـاء. لاحظنـا كذلـك ان الأصدقـاء بالنسـبة لمجموعـة العاطليـن الذيـن لـم يكملـوا تعليمهـم الجامعـي هـم أساسـا «أولاد الحومـة» (أبنـاء الحـي الواحـد) نظـرا لعـدم مواصلـة التعليـم خـارج المنطقـة والتعـرف علـى أصدقـاء جـدد وقلـة فـرص العمـل ممـا يعنـي نوعـا مـن العزلـة الجغرافيـة ومحدوديـة شـبكة العلاقـات، كمـا ان تشـابه الأوضـاع الماديـة المتردية للعاطليـن فـي نفـس الحـي يعنـي قلـة المـوارد وإمكانيـة تقاسـمها ممـا يصنـع نوعـا مـن الريبـة والشـك فـي نوايـا الآخـر (طمـع، «تخديـم مـخ»).

كريـم: مـا عندكـش فلـوس مـا تنجمـش تعمـل أصحـاب. واحـد يصاحـب واحـد بـش يسـتقات منّـو كي تبـدى أقـل منّـو ّعـلاش يصوحـب فيـك، صاحبـي كقصيـت عليـه العلفـة حتّى صبـاح الخيـر مـا عاتـش تسـمعها منّـو. صارتلي أكثـر مـن 5 ، 6 مّـرات ومـا نتربّـاش.

خليـل: تّـوة أنـا أبسـط حاجـة أنـا مـش ولـد حومتكـم نمشـي بحـذ صاحبـي فـي سـكرة مـا نخمـم فـي شـيء واحـد اخـر يقلـك هـذا جـاء طامـع فيّـا. انـا صاحبـي نمشـيلو 3 ولا 4 مـرات، المـرة الجايـة بـش يحسـبها يقـول هـذا جـاي مـا عنـدوش.

وفـي مجموعـة حاملـي الشـهادات العليـا نستشـف ان علاقـات الصداقـة اكثـر امتـدادا «جغرافيـا» بحكـم ان المسـتجوبين والمسـتجوبات درسـوا خـارج الحـي الـذي يسـكنونه وتواصلـوا مـع طلبـة مـن مناطـق أخـرى، لكـن متانـة هـذه العلاقـات نسـبية جـدا وتتأثـر كثيـرا بالوضـع المـادي والمهنـي، مثـلا عندمـا يكـون كلا الصديقيـن فـي نفـس الوضعيـة الاجتماعيـة-الاقتصاديـة (البطالـة أو العمـل المؤقـت والهـش) فـإن احتمـال اسـتمرار الصداقـة والتواصـل الدائـم أكبـر، لكـن كلمـا اتسـعت الفـوارق الاجتماعيـة-الاقتصاديـة بيـن الصديقيـن مـع حصـول أحدهمـا علـى فرصـة عمـل جيـدة ودخـل قـار تفتـر العلاقـة تدريجيـا، وهنـا لا يمكـن تحديـد سـبب الفتـور ، هـل هـو «ارتقـاء» أحـد الطرفيـن إلـى شـريحة اجتماعيـة-مهنيـة أرفـع وبالتالـي تكويـن شـبكة علاقـات جديـدة ام تنامـي حساسـية الطـرف الـذي بقـي عاطـلا عـن العمـل وتعمـق احساسـه بالإخفـاق خاصـة عندمـا يقـارن وضعيتـه بوضعيـة أصدقـاء فـي مثـل سـنه وخلفيتـه الاجتماعيـة ومسـتواه التعليمـي. قلـة فـرص العمـل يخلـق أيضـا نوعـا مـن التنافـس بيـن «الأصدقـاء» مـن حاملـي الشـهادات حتـى ان بعـض المسـتجوبين يتحدثـون علـى عـدم مشـاركة أصدقائهـم لمعلومـات حـول عـروض الشـغل والمناظـرات العموميـة وفـرص التكويـن حتـى لا ينافسـهم عليهـا الآخـرون.

جيهـان: الـي يلقـى خدمـة باهيـة يطفـي صاحبـو ههـه إلـي عنـدو فلـوس فـي جيبـوا يطفـي صاحبـو. حتـى كان فمـا انتروتيـان و لا حكايـة .. ماذابيـه هـو تمشـي حياتـو و يطفيـه هـو أكا العبـد أذاكا . حتـى صـاح بـك الانتيـم راو. ديمـا العبـاد الـكل تخمـم كان فـي روحهـا. يخمـم كان فـي روحـو وكـي يخـدم وتمشـي فـي جيبـو الفلـوس ي بـدا يفيـس عليـك. أنـا نخـدم وانـت بطـال.

حلمـي: عنـدي أصحـاب زوز ولاد. صحـاب أكثـر مـن الأهـل. كنـا نقـروا. هومـا يقـروا تكويـن وديمـا مـع بعضنـا. وكـي دخلـوا هومـا يخدمـوا حتـى الـكلام معـادش يكلمونـي. السـلار معـادش يقولوهـا.

أما في مجموعة الشابات غير الحاملات لشهادات جامعية فإن تقييم العلاقة مع الأصدقاء أكثر نسبية وتنوعا، فهناك من ترى ان البطالة لم تأثر كثيرا على العلاقة وأخريات تعتبرن ان الوضع المادي والاجتماعي مهم جدا على استمرارية الصداقات، مع وجود عامل آخر مهم لدى هذه المجموعة يتعلق بالصعوبة المزدوجة (الموارد المادية والنوع الاجتماعي) في التنقل خارج البيت والحفاظ على العلاقات غير العائلية:

> مروى: مش الصحاب الكل ما يتفهموش ، فما شكون يقلك ماعندكش فلوس ايجا نخلص عليك ومش ديما مرة باش يقلك
>
> غادة: انا نحشم باش نخرج مع عبد يخلص عليا
>
> رجاء: بالنسبة ليا انا الا، خاطر فرد génération و عايشين نفس الوضع
>
> رجاء: تلمنا الخدمة والا القراية ، كي تبعد سايي قليل وين تلقى حد يبقى..
>
> سارة: اي تنجم تبدى قعدتك ماعادش تحلالو ، تبدا انت في حي التحرير وهو يحب يعمل قهوة في اللاك ، انت تهبط للسنتر فيل باش تفطر وهو يفطر في المرسى

عموما هناك نوع من الاجماع على فكرة عدم صمود صداقات ما قبل البطالة وسرعة تأثرها بتغير الوضع الاجتماعي-المهني لأحد الصديقين. فضلا عن توتر العلاقات مع العائلة او فتورها فإن العاطل عن العمل يجد نفسه -أو هكذا يتمثل الوضع- بلا أصدقاء «حقيقيين» مما يعمق عزلته النفسية واثارها، وكذلك يقلل إمكانية التعويل على المحيط العلائقي في الحصول على فرص عمل.

- العلاقات العاطفية

المستجوبون في المجموعات البؤرية الثلاثة ينتمون إلى فئات عمرية يفترض انها تعيش فترة زاخرة بالعلاقات العاطفية «المفتوحة» منها و«الرسمية» لكن أغلب الإجابات فيما يخص هذا الجانب تؤكد ان الواقع مغاير تماما. فضلا عن كون شرائح واسعة من المجتمع التونسي ترفض العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج -على الأقل بشكل علني- فإن هناك عوامل أخرى تساهم بشكل قوي في «التصحر» العاطفي الذي عبر عنه اغلب المستجوبين. باستثناء ثلاث حالات نجد ان بقية المستجوبين في كل المجموعات ليسوا مرتبطين بعلاقة زواج أو خطوبة، وان العلاقات خارج هاذين الاطارين شبه معدومة. لم يتطرق المستجوبون والمستجوبات إلى الجانب الجنسي الذي لم يطرح في أسئلة الاستبيان بشكل مباشر. وعلى اختلاف المستوى التعليمي تشابهت إجابات المستجوبين بشكل كبير وأظهرت ان اغلبهم يعتبر حالة البطالة (وبالتالي نقص الموارد المالية او انعدامها تماما) عائق رئيسي أمام الدخول في علاقات عاطفية -باختلاف أنواعها- و/ أو استمرارها.

> لسعد: تبدا علاقة 3 أيّام النهار الرابع تسألك اش تعمل في حياتك، وحدك بش تجبد روحك تعمللها بلوكاج وتمشي تشوف وحدة أخرى.

كريـم: مـا عندكـش بـش تعمـل قهـوة، مـا عندكـش لبسـة بـش تقابلهـا مـا عندكـش تليفـون. أنـا عنـدي شـهر مـش حابـب نقابلهـا.

حسني: طفلة كانت معايا قعدنا مع بعضنا 6 سنين، شنّوة الفايدة بش نعرّس بيها

ونستشـعر مـن خـلال الإجابـات ان المسـتجوبين الذكـور يعتبـرون انهـم الأكثـر تضـررا مـن هـذه الوضعيـة فالتنشـئة الاجتماعيـة -حسـب تمثلاتهـم- تتطلـب مـن الرجـل ان يكـون الطـرف الـذي يتكفـل بأغلـب النفقـات والمصاريـف سـواء تعلـق الأمـر بالـزواج أو بالعلاقـات خارجـه.

وائـل: بطبيعـة تأثـر، شـبيك مـا جبتليـش شـبيك مـا عطيتنيـش بـاش نعمـل حمّـام كالنسـاء. أغـرز ولـد فـلان عنـدو سـبادري وولـدي سـبادريه مقطـع. تصّـور واحـد فـي راس النهـج وولـدو متعّـدي يقلـو بابـا اعطيني 500 شـنيّة تعمـل، شـنية تحـس. بابـا اشـريلي كـورة بـش نكّـور وّبابـا أعطيني مـع صحابـي. يحـس روحـو ناقـص برشـا حاجـات مـش قـد المسـؤولية

أحمـد: اغزرلي فمـا فتـرة معينـة ديمـا فـي مـخ الراجـل: انـت لازمـك تتصـرف وانـت لازمـك تصـرف. ديمـا راو العقليـة هـذي موجـودة و انـت راو كـي توصـل لعمـر معيـن انـت لازمـك تولـي تكـون روحـك وتعمـل دار وتعمـل مـورد رزق وكل شـي . بـاش تقلـم هـي مثـال أكثـر حاجـة بـاش تجيـب زهـاز .. بـاش تجيـب القـاز والتلفـزة أمـا انـت لازمـك تتحمـل مسـؤوليتك الكاملـة

لكـن إجابـات المسـتجوبات تبيـن نسـبية هـذا التمثـل «الذكـوري» وتظهـر أيضـا حجـم الضغـط والضـرر الذيـن يتعرضـن لـه، فأغلبهـن يـرى ان المجتمـع شـهد تغيـرات كبيـرة وانـه يجـب علـى المـرأة أن تحقـق اسـتقلاليتها الماديـة، وهـي مطالبـة أيضـا بالمشـاركة فـي الانفـاق علـى أسـرتها. بعـض المسـتجوبات أكـدن ان عمـل المـرأة أصبـح معيـارا هامـا جـدا -يـكاد يكـون شـرطا أساسـيا- عنـد بحـث الرجـل عـن زوجـة، ممـا يعنـي ان وضعيـة البطالـة قـد تؤثـر كثيـرا علـى إمكانيـة زواج الشـابة وتعقـد وضعيتهـا فـي مجتمـع مازالـت المبـادرة إلـى الخطوبـة والـزواج فيـه بيـد الرجـال.

غـادة : نحنـا فـي مجتمـع المـرا لازم تكـون عندهـا سـلطة ، تخـدم ، بـاش تقعـد تمـد فـي ايديهـا يعني

رجـاء: وصلنـا لمسـتوى لازم المـرا عندهـا شـهرية والراجـل شـهرية بـاش ينجمـو يقومـو بـدار وصغـار، خاطـر الراجـل وحـدو مـا ينجمـش ، مـش كيمـا أمـك وبـوك تنجمـو تعاونـوا بعضكـم ، امـا هـو يفـد يقلـك طلباتـك ياسـر اخـرج اخـدم..

سارة: يختارها الا ما تبدى تخدم خاصة كي يبدى في عمر انو لازم يعرس

رانيـة: بالطبيعـة تأثـر، هـو ملـول يسـمع بطالـة، يولي يجبـد فـي روحـو ، يقلـك فـك عليـا مسـؤولية اتـو نولـي اعمـل واصـرف وهات

سناء: مثال ما تنجمش تزهز وتعرس خاطر ماعندكش فلوس

2. كيف يتدبر العاطلون أمورهم؟

لا يمكننا القول بأن كل العاطلين يتدبرون أمورهم بنفس الشكل. تختلف الاستراتيجيات من شخص إلى آخر حسب ظروف عائلته ومستواه التعليمي ومهاراته ونشاطه وقدرته على التأقلم. لكن هذا لا يمنع وجود مشتركات بين المستجوبين حسب مستواهم التعليمي و/أو جنسهم. مثلا تبقى العائلة هي السند الأول في اغلب الحالات وتوفر حد أدنى من مصروف الجيب للشاب العاطل. وفي أغلب الأحيان لا يكون المبلغ الذي توفره العائلة كافيا فضلا عن الاحراج الذي يحس به معظم المستجوبين. ولا يعني عدم وجود شغل قار ان المستجوبين ليست لديهم أي تجارب مهنية أو خبرات أو مهارات، كل واحد منهم يحاول بطريقته ووفق ظروفه أن يقطع حبل البطالة ولو لمدة قصيرة وبمردود ضعيف.

استراتيجيات البحث عن عمل

قبل الحديث عن مختلف الاستراتيجيات تتوجب الإشارة إلى نقطة مهمة: جزء كبير المستجوبين والمستجوبات يعتبر ان العلاقات العائلية والمحسوبية والرشوة هي أسهل الطرق لفرص العمل الجيدة وأكثرها رواجا.

لا يعول أغلب المستجوبين على دعم مكاتب الشغل والعمل المستقل نظرا لقلة فرص الشغل التي توفرها وضعف إحاطتها بطالبي الشغل. مكاتب التشغيل الخاصة لا تحظى هي أيضا برضا المستجوبين وأكثرهم اعتبرها بمثابة عمليات تحيل تستنزف مواردهم الضئيلة دون مقابل حقيقي.

تبدو وضعية الذكور العاطلين بدون شهادات أصعب مقارنة بالذكور المتخرجين والإناث عموما، فهم مجبرون أكثر على القبول بفرص الشغل الهشة والخطيرة والمؤقتة المرهقة جسديا مع مردود مالي ضعيف ودون أدوات وتجهيزات السلامة المهنية أو تأمين من المخاطر (أشغال البناء والطلاء والبستنة، تعبئة وتفريغ حمولات، حراسة مؤسسات، الخ)، أو وظائف هامشية في القطاع الخدماتي كالمطاعم والمقاهي. كما ان المستجوبين في هذه المجموعة هم الأكثر «عشوائية» في البحث عن فرص عمل جديدة، اذ يعول أكثرهم على الصدفة وعلى الجيران والعائلة لضمان بضعة ايام عمل من حين لآخر.

ولئن كان المستجوبون والمستجوبات الجامعيين يلاقون صعوبات جمة في العثور على وظائف قريبة من اختصاصاتهم العلمية فإن فرص العمل التي يجدونها بشكل مؤقت ومتقطع تبدو أقل ارهاقا وخطرا وهشاشة: دروس خاصة، عقود مع جمعيات، تصوير فوتوغرافي، وظائف تقنية في مخابر ومصانع، الخ. كما انهم يمتلكون اطلاعا أكبر على فرص الشغل والدورات التكوينية وآليات التشغيل المتاحة بفضل تطور مهاراتهم في استعمال الانترنت وامتداد شبكات علاقاتهم مقارنة بالعاطلين الذين لا يحملون شهادات جامعية.

أما وضعية المستجوبات اللواتي لا يحملن شهادات جامعية فهي معقدة بعض الشيء، فمن جهة لا يمكنهن ممارسة الأعمال الجسدية الشاقة والهشة التي يمارسها الذكور اضطرارا -وحتى

ان أردن ذلك فمن الصعب جدا أن ينتدبهن صاحب العمل كما ان فرص الشغل هذه تكون في الكثير من الأحيان بعيدة جدا عن الحي وفي أماكن معزولة مما يطرح مسألتي التنقل والأمن- ومن جهة أخرى ليست لديهن الشهادات التي يمكن أن توفر لهن فرص شغل مريحة نسبيا. لكن هذا لا يعني انعدام الحلول تماما فبعض المستجوبات تحاولن كسب قوتهن عبر العمل في المنزل في مجال صناعة الحلويات مثلا.

معوقات البحث عن عمل

بالإضافة إلى الصعوبات «التقليدية» التي تعترض أغلب الشباب التونسي الباحث عن عمل فإن المستجوبين في حي التضامن -وفي المناطق المشابهة له - يعانون من معوقات أخرى تعقد أوضاعهم أكثر فأكثر. أولى المعوقات هي الوصم الاجتماعي والجغرافي. اغلب المستجوبين والمستجوبات يعتبرون ان وجود حي التضامن في خانة العنوان في بطاقة الهوية الوطنية يقلل حظوظهم في الظفر بفرص العمل التي يتقدمون لها ان لم يعدمها أصلا. تقاطع الشهادات ضمن المجموعة البؤرية الواحدة وتكررها في المجموعات الثلاثة يجعلنا نستبعد ان يكون الأمر مجرد احساس أو ثقافة «مظلومية». ويكفي التثبت من التناول الإعلامي للاحتجاجات والحوادث التي تحصل في حي التضامن بين الحين والآخر لنتأكد من مدى حدة وترسخ الوصم الذي يعاني منه متساكنو المنطقة التي يتمثلها الكثير من التونسيين كمعقل للعنف والإجرام والمخدرات. ويعتبر الذكور من غير حاملي الشهادات الجامعية الأكثر تضررا من هذا الوصم فهم لا يتمتعون بمستوى تعليمي عال «يشفع» لهم وليسوا اناثا مما قد «يخفف» التوجس منهم. حتى فرص العمل الأكثر ارهاقا والأقل أجرا تصبح أحيانا غير ممكنة بسبب هذا الوصم. العقبة الثانية تتعلق بغياب سياسات التنمية في المنطقة وهشاشة نسيجها الاقتصادي مما يعمق فقرها ويجبر متساكنيها من العاطلين على البحث عن فرص شغل في أماكن بعيدة عن سكناهم، وهذا ما يقودنا إلى العقبة الثالثة. التنقل إلى أماكن بعيدة في ظل تردي منظومات النقل العمومي أو غيابها تماما يجبر المتساكنين على دفع مبالغ كبيرة من أجل التنقل إلى المؤسسات التي يعملون بها وهذا يبتلع جزء كبير من أجورهم مما يجعل الكثير من العاطلين يفضل البقاء في المنزل على العمل بأجر بالكاد يغطي نفقات النقل والأكل.

كريم: مثال تمشي تخدم في حي النصر يعرفك من حي التضامن يتقلق منك ما يخدمكش. يوقفك (يتحدث عن الأمنيين) ويشوف بطاقة تعريفك من حي التضامن تقعد تستنى 3 سوايع وبعد كان نضيف تروح. كتمشي وسط البلاد يشوف وراقك يلقاك من حي التضامن يقلك اشتعمل هنا كأنّك مشيت لسويسرا..

وائل : والله خدمت في دار طبيب صارت إشكاليّة قالو اهوك خاطر من حّي التضامن، أقسم بالله. شنوة معناها؟

خليل : الواحد يحكمو عليه حتى من لبستو من وجهو يحكمو عليه البشر.

الهجرة

لا يخفى على أحد ان الرغبة في الهجرة أصبحت حاضرة بقوة لدى الشباب التونسي -وحتى الكهول- على اختلاف مستوياتهم التعليمية ووضعيتهم المهنية. وهذه ليست مجرد تخمينات أو إحساس عام بل واقع تؤكده عدة بحوث من بينها الدراسة الميدانية التي أشرفت عليها إنترناشونال ألرت تونس تحت عنوان «شباب في الهوامش: تمثّلات المخاطر والسياسة والدين في تطاوين الشمالية والقصرين الشمالية ودوار هيشر» حيث «تبلغ نسب من يفكرون باستمرار في الهجرة قرابة ال40% من أفراد العيّنة قي جميع المناطق في حين يفكر فيها أحيانا 28% من المستجوبين في القصرين الشّمالية، تليها تطاوين الشّمالية بنسبة 23،2% فدوار هيشر 21،4%.» أي ان قرابة ثلثي الشباب المستجوب يفكر جديا في الهجرة بشكل دائم أو من حين إلى آخر. وطبعا مع حالة البطالة ومحدودية الإمكانيات المادية التي نجدها عند أغلب المشاركين في المجموعات البؤرية الثلاث فإن الهجرة تحضر كواحدة من بين أهم الحلول التي يفكرون بها للخروج من حالة العطوبة وانسداد الأفق. وهذا ينطبق على الذكور كما الإناث، ممن يحملون شهادات جامعية أو لم يستكملوا تعليمهم. لكن هناك فوارق ذات دلالة فيما يتعلق بشكل الهجرة وتمثل مخاطرها. جزء كبير من المستجوبات لا يستبعد الهجرة كحل لتحسين الأوضاع لكن أغلبهن غير مستعدات للمخاطرة بحياتهن في رحلات «الحرقة» البحرية (الهجرة غير النظامية) بل يفضلن مغادرة البلد عبر الطرق القانونية بعقود عمل أوغيرها. الرغبة في الهجرة لدى العاطلين الذكور من حاملي الشهادات أقوى من الإناث في نفس المجموعة، وهناك استعداد أكبر للمخاطرة مع معرفة واسعة بمختلف الطرق والمسالك -القانونية وغير القانونية- التي قد تمكنهم من تجاوز أسوار الاتحاد الأوروبي. المستجوبون في مجموعة العاطلين غير الحاملين لشهادات جامعية هم الأكثر تفكيرا في الهجرة واستعدادا للمخاطرة، وهم كذلك أكثر مجموعة تحمل صورا «وردية» عن الهجرة وظروف العيش في بلدان الوصول.

سناء: كي تجي تشوف الظروف المادية. هي تلزك عاللخر أما من جهة العاطفية. كيفاش ياش يمشي للهلاك . الله أعلم يرجع ما يرجعش

أحمد: انا واحد مالناس نحب نعيش في عايلتي أما كان يجي واحد يقلي راو كي تحرق تولي تخدم وعندك فلوس وتنجم تعيش وتعمل الي تحب عليه الكل. بالطبيعة باش نمشي. نموت ولا نحيا المهم نعيش العيشة الي نحب عليها أنا.

محمد علي: أنا انجم نهزك لحوم في حي التضامن. طفل يبدا عمرو 14 سنة ويتكيف في الزطلة وتقلوا شنية تحب تعمل في المستقبل. يقلك راني باش نحرق. هاني قاعد نلم باش نحرق. رانا بالحق توا نشوفوا في بلاد ترونسبارون ما عندهاش مستقبل جملة مهما باش تعمل راك ماكش باش تقوملك قايمة

أحمد: أبسط حاجة تمشي ب15 مليون تعمل مشروع باش يطلب عليك باتيندا وحانوت وباش تخدم حتى باش تخدم كريدي حتى تقول باش نربح تقوم تخسر . يولي يحرق خير

- في تمثل الشباب العاطل لقانونية وأخلاقية العمل

أردنا أيضا ان نستكشف من خلال مواقف العينة المستجوبة مدى قبول الشباب العاطلين عن العمل بفرص الشغل التي قد تصنف دينيا كحرام أو قانونيا كاقتصاد موازي (غير مهيكل) . لاحظنا انه لا توجد عموما تحفظات عند المستجوبين فيما يتعلق بفرص العمل في قطاعات اقتصادية غير مهيكلة وبشكل لا يحترم القوانين والتراتيب الجاري العمل بها. نتحدث هنا على ما يسمى في قاموس الإدارة التونسية ب»الانتصاب الفوضوي» (تجار متجولون، وبسطات غير مرخصة) والعمل غير المصرح به سواء لدى الغير (بدون عقد عمل أو ضمان اجتماعي) أو في المنزل (صنع مواد غذائية، تجارة الملابس ومواد التجميل، الخ) أو عبر الانترنت (التسويق الهرمي، خدمات عن بعد، الخ). هذا التطبيع مع أشكال العمل غير المهيكل وغير القانوني يعود بالأساس إلى هشاشة وضع المستجوبين الذين ليس لديهم حلول كثيرة لكسب عيشهم وتوفير الحد الأدنى من مصاريفهم ، وكذلك لتغول الاقتصاد الموازي في العشريتين الأخيرتين بشكل جعله امرا شبه عادي. في دراسة بعنوان «مؤشرات حول العمل غير المنظم لسنة 2019»[16] أصدرها المعهد الوطني للإحصاء نجد ان « عدد المشتغلين 3566.4 ألف مشتغل خلال الثلاثي الرابع لسنة 2019، يتوزعون الى 1967.7 ألف مشتغل في عمل منظم و1598.7 ألف مشتغل في عمل غير منظم. وبالتالي تكون نسبة الذين يشتغلون في عمل غير منظم 44.8% من بين مجموع المشتغلين». يتوزع المشتغلون في عمل غير منظم حسب الجنس بما نسبته 81.2% ذكور (1297.6 ألف) و18.8% اناث (301.1 ألف). وحسب دراسة أخرى أصدرها «المكتب الدولي للعمل»[17] فإن نسبة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و29 سنة (أي الشريحة التي ينتمي لها أغلب المستجوبين) العاملين في قطاعات الاقتصاد غير المهيكل تبلغ 77 % (أجراء بدون عقود، مشغلين بدون تراخيص، عاملين في مشاريع عائلية دون أجور، عمال مستقلين). كل هذه المعطيات تجعل اغلب المستجوبين لا يمانعون في الانخراط في مسالك الاقتصاد غير المهيكل وربما لا يتبادر إلى أذهان بعضهم حتى انه غير قانوني.

> حسني : ما عندكش شكون يدز معاك. ما نتصّورش كان واحد فينا بش يلقى خدمة بالشهرية حتى مش مترسم وتقول لا، حتى موش يصبو عليك.
>
> محمد: انا عملت نصبة قلت خلي ندبر راسي نبيع شوية غلة. جاو طردوني من الكياس، ما تبقاش غادي,برى روح. برى امشي اخدم بعيد برى للمرشي.

عند مقاربة فرص الشغل ومصادر الدخل من باب «الحرام والحلال» تتنوع المواقف أكثر وتبرز فروقات واضحة بين المجموعات حسب المستوى التعليمي والوضعية الاقتصادية والجنس. مثلا لاحظنا في مجموعة العاطلين عن العمل من غير حاملي الشهادات الجامعية تقبل أكثر -مقارنة بالمجموعتين الأخريين- للأعمال وطرق الحصول على المال التي قد تصنف دينيا ك»مال حرام». نتحدث هنا أساسا عن السرقة والسطو. ويبرر المستجوبون في هذه المجموعة اللجوء للسلوكات التي تجمع بين الجانب «الاجرامي» و»الحرام» بظروفهم الاقتصادية المتردية وبطالتهم

16 https://bit.ly/3uP5T8U

17 La jeunesse Tunisienne et l'économie informelle. Organisation internationale du Travail 2015. https://bit.ly/3M8Bt7p

التي تدفعهم لتوفير احتياجاتهم الأساسية بأي طريقة ممكنة، كما ان فرص العمل القليلة التي يتحصلون عليها أحيانا لا توفر أجرا لائقا ولا استمرارية ولا أمنا اجتماعيا ولا ظروف عمل تحفظ كرامتهم. هناك شبه قناعة لدى اغلب المستجوبين في هذه المجموعة ان العمل «الحلال» صعب المنال وان توفر فهو لا يسد الاحتياجات:

محمد: ما عندك منين بش تصرف إنت تولي تعمل أيّ طريقة، تولى تعمل أي حاجة باش تدبر عشرة لاف وتعرف الي هي باش تعدي خمس سنين وتعملها عادي..

أحمد: أنا نحب نسعى نجيب فرنك بالحلال، تجي انت معناها، كيفاش بش نفسرهالك، تهز في خشمك عليا، اعمل هذيكة ,هز هذيكة ، يكبرن عليك.

لسعد: ريت *à la fin* متاع الكلام هذايا الكل، البشر بش يتلز يا بش يعمل حاجات ما تساعدوش,مش راضي عليهم بش يلقى ما يصرف، يا بش يتلز بش يعمل مش حلال. في حي التضامن ما عندك حتى حل بش تجيب حتى دورو تولي تمشي تسرق، تهز متاع الناس..

وائل: أسمعني كل واحد وظروفو كل واحد أش عندو من خو أش عندو من أخت، الي اختو مريضة والي خوه مريض والي بوه ربي يعلم بيه والي امه..فما الي يلقاها بالحلال وفما الي يلقاها بالحرام وربي يسترو خاطر أمه وبوه راضين عليه.

لسعد: بالله سامحني انت تعيش في تونس والا لا، اعطيني واحد ريتو عمل حاجة وطلع بالحلال.. هذه راهي مستحيل.. حسني: كي تلوم كي تتجم ما تلومش.. كي مش تشوف ظروفو على عينيك... انت من بعيد مش تقول شبيه اذايا ناقص حاجة وشو كيفاه يعمل ويحب يمشي للحبس وكي تشوف انت ظروفو كيفاش تولي تعاونو باش ينجم يدخل مصروفو.. وتولي حلال وحرام معاش تعنيك...

لا يعني ذلك ان المستجوبين تصالحوا تماما مع الكسب «الحرام» أو لا يكترثون ل»عواقبه»، فلقد لاحظنا ان الكثيرين منهم يشعرون بتأنيب الضمير ويتمنون لو كانت ظروفهم أحسن حتى لا يضطروا لذلك، هناك حتى إحساس بالعار.

منذر: من بعد كنحط راسي على المخدة نقول علاش عملت هكاكة....نقول مسكين ومن باعد يغيضني أما الله غالب وقتها مش بش تخمم فيه يلزمك تجيب الفلوس.

لسعد: أمي باش ناخذلها جبّة ب15 الف مانجمش ناخذلها بفلوس حرام، نضحك على أمي ولا على ربّي. تقلي هاو عندك فلوس وما جبتليش نقّلها فلوس حرام ما نجيبلكش منهم.

حتى في مجموعة العاطلين عن العمل من حاملي الشهادات الجامعية لاحظنا ان الذكور عموما أكثر تقبلا لمصادر الدخل التي قد تعتبر حراما لكن مع رفض قطعي للأفعال الحرام ذات الطابع الإجرامي التي تلحق الأذى بالآخرين (السرقة والسطو). مثلا هناك من لا يرى مشكلة في القمار (الرهانات الرياضية) ويعتبره مصدر دخل. كما لا يمانع بعضهم الاشتغال في وظائف قانونية لكن تحيط بها شبهة الحرام مثل العمل في الحانات أو في المقاهي التي تفتح أبوابها

نهارا خلال شهر رمضان. هذا القبول نسبي ويبرر بالضرورة الملحة، كما نلاحظ نوعا من الصراع الداخلي والشعور بالذنب في كلام بعض المستجوبين.

> محمد علي: أنا تحطيت مرة في محط خايب عاللخر في رمضان. نخدم في قهوة في الالك بالنهار والدار قالولي لا وما لا. مشيت للإمام قتلوا راني أنا صايم أما ما عندي حتى حل كان باش نخدم قتلوا نخدم ولا؟ قالي اخدم. واضح قتلوا. بقيت نخدم. الي يجيو يكونسوميو في النهار أكثر ملي في الليل فهمتني؟ أما ما عندك حتى حل كان أنك تخدم و أكهو ومرة أخرى نخدم في أوتيل في قمرت نسربي في الشراب عالبحر وكذا. سألت عالها زادا قالي منجمش نقلك حلال والا حرام أما تو نسأل ونقلك.

أما بالنسبة للمستجوبات العاطلات، بشهادات جامعية أو بدونها، فنلاحظ بشكل جلي ان هناك رفض أكبر وأكثر صرامة لمصادر الدخل الحرام او التي يشتبه في كونها كذلك.

> مروى: أنا الرأي هذايا نرفضوا . كان ينجم يخدم أي حاجة أخرى حتى أبسط حاجة يلم الدبابز ويدخل فلوس موش باللازم نسربي الشراب ولا نوكل ولادي فلوس الحرام. باش نجم نعيش أنا. كنت انجم نموت في اللحظة هذيكا . مبعد عند ربي شنية باش نقول..
>
> سناء: أنا أي حاجة فيها شبهة راني ضد عاللخر
>
> غادة: هه نعرف برشا اكاكا ، كيدخلو في الحرام ولت كراهب وشيخات، اللي تصوروا انت في شهر هو يصورو في نهار والا نهارين
>
> طبعا هناك مستجوبات عبرن عن آراء أكثر «مرونة» وتفهما للأسباب التي قد تدفع العاطل عن العمل إلى القبول بالكسب الحرام، لكنها تبقى أقلية في المجموعتين:
>
> فاتن: هو ما عمل هكاكا يعني ما ل قاش بيها وين، فما انسان كي تشوف كيفاش كان عايش و كيفاش وال ما تلقى ما تحكي
>
> جيهان: أنا كي الظروف تلزوا يخدم. الظروف تلز راو. يجيك المالك عالكراء، ما عندكش باش تشري خبز. مازالت انت تخمم في الحلال و لا الحرام

هذه الفوارق بين الذكور والإناث في التعامل مع المعطى الديني التي تظهرها هذه الدراسة تتقاطع مع نتائج دراسة أخرى أشرفت عليها إنترناشونال ألرت تونس في 2020 تحت عنوان «شباب في الهوامش: تمثلات المخاطر والسياسة والدين في تطاوين الشمالية والقصرين الشمالية ودوار هيشر»[18]، فلقد أظهر ربط الاهتمام بالشأن الديني بمتغير الجنس «دلالة إحصائية حيث نجد ان الإناث أكثر اهتماما مقارنة بالذكور مثل ما هو ظاهر في دوار هيشر التي سجّلنا فيها 73،7 % للإناث في خانة مهتم لحد ما مقابل 57،4 % للذكور، وسجلنا نفس الأمر في القصرين الشمالية 70% للإناث في خانة مهتم لحد ما مقابل 58،1 للذكور وفي تطاوين نلاحظ الفرق في خانة مهتم جدا التي سجلنا فيها 34 % للإناث مقابل 15،3 % للذكور.». تفاوت الاهتمام بالدين

18 شباب في الهوامش. تمثلات المخاطر والسياسة والدين في تطاوين الشمالية والقصرين الشمالية ودوار هيشر، تحت إشراف محمد علي بن زينة وألفة لملوم ومريم عبد الباقي. إصدار إنترناشونال ألرت، تونس، نوفمبر 2020.

لا يقتصر طبعا على العاطلات او التونسيات فهو منحى شبه عالمي[19] وعابر للثقافات والأديان، ويرى البعض أن هشاشة وضع المرأة وعدم الإحساس بالأمان قد يكون أحد التفسيرات الأساسية لهذا التفاوت.

ليس من باب المصادفة ان الاقتصاد غير المهيكل بدأ يزدهر منذ تسعينات القرن الفائت وانتعش مع مطلع القرن الحالي وازدهر في العشرية الأخيرة، فهو ليس المرض بحد ذاته بل أحد أعراض أمراض الاقتصاد التونسي. تطور الاقتصاد غير المهيكل تزامن مع متغيرات سياسية واجتماعية-اقتصادية كبيرة: الانتقال من عهد الدولة «الراعية» التي تلعب دورا مركزيا في مختلف قطاعات الاقتصاد إلى عهد السياسات النيوليبرالية والدولة المنسحبة والمتقشفة، تراجع القطاع الفلاحي وعدد المشتغلين فيه، تنامي الهجرة الداخلية نحو أحزمة الفقر في المدن الكبرى، تصلب السياسات الهجرية الأوروبية، تفاقم أزمة البطالة، تراجع تشغيلية قطاعات كبرى مثل النسيج والجلود وغيرها، تدهور القدرة الشرائية للطبقات الوسطى، سيطرة عائلات وامبراطوريات على قطاعات اقتصادية بأكملها، تبني الدولة لأشكال العمل الهش وقوانين الشغل «المرنة» في اطار «التشجيع على الاستثمار» (أجور متدنية، سهولة «التخلص» من العمال، التساهل فيما يخص المساهمات الاجتماعية لأصحاب المؤسسات، مقاولة ساندة)، الخ...

في ظل أزمة البطالة وصعوبة الحصول على عمل «قانوني» في القطاعات «المهيكلة»، مكافحة الاقتصاد «غير المهيكل» أو «الموازي» يعني بكل بساطة تجويع مئات آلاف التونسيين والدفع بهم نحو الجريمة و/أو الهجرة بأي ثمن. الدولة التونسية تعي هذا جيدا وحتى خطابها الرسمي حول ضرورة التصدي للاقتصاد الموازي وحماية «المهيكل» لا يقنع أحدا تقريبا بما في ذلك المسؤولين فهم يدركون انه احدى قنوات تصريف الغضب الشعبي ودعائم «السلم الأهلي» كما انه «يريحهم» قليلا من ضرورة وضع سياسات فعالة لمكافحة البطالة والفقر. طبعا تتحرك أجهزة المراقبة الاقتصادية وقوات الأمن من وقت لآخر لتنظيم حملات تستهدف الحلقات الأضعف في سلاسل الاقتصاد الموازي لكنها تقوم بذلك لتخفيف ضغوط بعض رجال الأعمال والتجار «الشرعيين» وكذلك لاستعراض قوتها وقدرتها على التحكم، وأحيانا يتلخص الأمر في مجرد ابتزاز حتى يدفع العاملون في الاقتصاد الموازي «اتاوات» أكبر ليغض المراقبون الطرف.

كلمة «موازي» تفقد معناها في بعض المناطق التونسية، بل وتثير السخرية، فالاقتصاد المهيكل يصبح هو «الموازي» أحياناً. وهو ليس اختيارا بل ضرورة لعدد كبير ومتزايد من التونسيين (وكذلك المهاجرين غير النظاميين المقيمين في البلاد) يعتبرونه الحل الوحيد لضمان بقائهم وحفظ كرامتهم. مقاربة الاقتصاد الموازي -وكذلك الجريمة- في المناطق الفقيرة وعند الفئات الأكثر هشاشة من منظور القانوني/ غير القانوني أو الأخلاقي/غير الأخلاقي أو الحلال/ الحرام هو أولا «ترف» لا يتوفر للجميع خاصة عندما تجتمع البطالة بالفقر والتهميش وانسداد الأفق، وثانيا يتجاهل ان «المنظومات الأخلاقية» ليست ثابتة ولا منعزلة عن الوضع الاقتصادي-الاجتماعي. تجريم الاقتصاد غير المهيكل والتحليل «الأخلاقوي» للانحراف والجريمة لا يمكن من فهم هذه الظواهر ولا تدبر الحلول الممكنة لها، كما انه يعفي الدولة والنخب الحاكمة والطبقات المهيمنة من مسؤوليتها عن الوضع.

19 https://oxford.universitypressscholarship.com/view/10.1093/acprof:oso/9780199608102.001.0001/acprof-9780199608102 | www.cairn.info/revue-travail-genre-et-societes-20121–page-33.htm | www.pewresearch.org/religion/201622/03//the-gender-gap-in-religion-around-the-world/

3. السياسات العمومية للتشغيل وتقييم المستجوبين لها

«شغل، حرية، كرامة وطنية»، هذا واحد من أبرز شعارات الثورة التونسية التي ربما نسي البعض أو تناسوا ان جذورها كانت اجتماعية-اقتصادية بالأساس: بطالة، فقر، تفاوت جهوي، سياسات تنموية فاشلة، الخ. عدد كبير ممن قتلوا أو جرحوا خلال أحداث الثورة والأسابيع القليلة التي تلتها كانوا من الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 و30 سنة أي الفئة العمرية الأكثر تضررا من أزمة البطالة الهيكلية التي تعيشها تونس منذ عقود. في الأشهر والسنوات التي تلت 14 جانفي 2011 أعطت النخب التونسية الأولوية لما يسمى «مسار الانتقال الديمقراطي» والحقوق السياسية والمدنية على حساب تحقيق «أهداف الثورة» الاقتصادية-الاجتماعية وأبرزها التشغيل.

12 وزيرا تداولوا على وزارة التشغيل والتكوين المهني منذ 18 جانفي 2011 إلى اليوم، ثلثهم من حركة النهضة (وربما أكثر اذا احتسبنا الوزراء «المستقلين» المقربين منها) وأغلبهم من أحزاب ومرجعيات اقتصادية ليبرالية. هذا العدد الكبير للوزراء الذين كلفوا بحقيبة التشغيل يدل من جهة على حالة التخبط السياسي (التي عرفتها كل الوزارات تقريبا) التي تعيشها البلاد منذ أكثر من عشرية، ومن جهة أخرى على ضعف أهمية هذه الوزارة في حسابات النخب الحاكمة التي عادة ما تختار المكلف بها على أساس المحاصصة والترضيات. وهو يثبت أيضا ان ازمة البطالة بنيوية لا يمكن معالجتها ببعض السياسات التشغيلية أو بتغيير المسؤولين بل ضمن سياسات واختيارات سياسية-اقتصادية شاملة.

وفي حين انتظر التونسيون ان تقطع النخب الجديدة مع سياسات ما قبل 14 جانفي وتعيد النظر في النموذج الاقتصادي والمنوال التنموي اللذان أثبت فشلهما، فإن الحكام الجدد آثروا السير في نفس المسالك التي أوصلت البلاد إلى طريق مسدود. هذا على الأقل ما يظهر من خلال السياسات التشغيلية «الجديدة». وهي في الحقيقة قديمة أريد تشبيبها وإعادة تسويقها من جديد. في السنوات الأولى بعد الثورة 2011-2014 تلخصت السياسة التشغيلية للدولة في «شراء السلم الاجتماعي» وتمظهر ذلك في انتداب الآلاف من الموظفين والعمال في القطاع العمومي بشكل شبه عشوائي لا يراعي الاحتياجات الحقيقية والقطاعات ذات الأولية، مما اعتبره البعض اغراقا للوظيفة العمومية واثقالا لكاهل الدولة وحتى اختراقا لدواليبها وأجهزتها من قبل الحكام الجدد. هذه المسألة وظفت سياسيا من قبل عدة أطراف اما عبر تضخيم الأرقام أو عدم الدقة في تحديد الفئات التي شملها الانتداب. وفي هذا الصدد قدم عبيد البريكي، وزير الوظيفة العمومية والحوكمة في حكومة يوسف الشاهد بين 27 أوت 2016 و25 فيفري 2017، أرقاما مفصلة خلال مداخلة إعلامية[20]: عدد منتسبي القطاع العام كان في حدود 510 ألف سنة 2011 ثم زاد قرابة 200 ألف ما بين 2012 و2016 شملت تسوية وضعيات 70 ألف من عمال المناولة و16 ألف شخص كانوا يعملون وفق «الآلية 16» و10 آلاف من عمال «الحظائر» و9 آلاف شخص من بين المنتفعين بالعفو العام وجرحى الثورة وعائلات الشهداء.

20 خلال برنامج عرض على قناة «التاسعة» بتاريخ 14 أكتوبر 2016: https://bit.ly/3xuBEpz

وبخصوص العفو العام ومراسيم الانتدابات الاستثنائية في الوظيفة العمومية، يخلص تقرير لدائرة المحاسبات حول مهمّة رقابيّة خصّت الانتدابات الاستثنائية بوزارتي التربية والشباب والرياضة بين 2011 و2015 [21] إلى انه «قد نتج عن مختلف الامتيازات الاستثنائية التي تمّ إسنادها تطبيقا للأمر المذكور وضعيات إدارية لا تكرس مبدأي الإنصاف والمساواة بالوظيفة العمومية. كما ان تواصل الانتدابات المنجزة في هذا الإطار دون ضبط قيد زمني لها من شأنه إثقال كاهل الوظيفة العمومية وميزانية الدولة وذلك بغض النظر عن تحميل المساهمات الاجتماعية المستوجبة بعنوان فترات انقطاع المعزولين سابقا عن العمل على ميزانية الدولة».

على مستوى الهياكل والبرامج والتوجهات، حافظت جلّ حكومات ما بعد الثورة على إرث وزارة التشغيل.

أغلب برامج التشغيل المعمول بها سابق للثورة بسنوات. مثلا آلية «العمل في الحظائر» انطلقت في السنوات التي تلت استقلال البلاد، وهي آلية هشة تهم أساسا المناطق الأكثر فقرا والفئات الاجتماعية ذات المستوى التعليمي المتدني، ومازالت قائمة إلى حدود اليوم. «شركات البيئة والغراسة والبستنة» التي أنشئت سنة 2008 في إطار تخفيف الإحتقان الاجتماعي عقب انتفاضة الحوض المنجمي، مازالت إلى اليوم قائمة وتشغل الآلاف في عدة ولايات دون قانون أساسي، وهي موجهة أساسا للفئات الأكثر هشاشة. حتى البرامج الموجهة أساسا للعاطلين من حاملي الشهادات الجامعية أغلبها قديم، بعضه يعود إلى أواخر الثمانينات وأخرى أقرت في سنوات 2000 أهمها التي وردت في الأمر عدد 349 لسنة 2009 مؤرخ في 9 فيفري 2009:

- تربص الإعداد للحياة المهنية،
- عقد إدماج حاملي شهادات التعليم العالي،
- عقد التأهيل والإدماج المهني،
- عقد إعادة الإدماج في الحياة النشيطة،
- برنامج مرافقة باعثي المؤسسات الصغرى،
- عقد التشغيل والتضامن.

أغلب هذه الآليات تصب في مصلحة أرباب العمل لأنها تمكنهم من تشغيل موظفين متخصصين مع تكفل الدولة بجزء من الأجر الشهري -أو كله – إضافة الى اعفاء مؤسساتهم من المساهمة الاجتماعية لفترة معينة، وكل هذا دون اجبارهم على انتداب الشاب العاطل عن العمل بصفة دائمة بعد فترة التربص. أي ان الدولة تتجاهل واقع دينامية العرض والطلب في سوق الشغل -عدد العاطلين عن العمل مقابل فرص الشغل المتاحة- التي تصب منذ سنوات طويلة في صالح أرباب العمل (وفرة طالبي الشغل واضطرارهم لقبول عقود هشة وأجور متدنية)، فتدعم الطرف الأقوى وترسخ هذا الوضع عبر خلق مواطن شغل هشة ومؤقتة بأموال دافعي الضرائب.. تم تعديل بعض هذه الآليات بعد الثورة اما بتغيير اسمها، أو مضمونها أو شروطها، مثلا «تربص الإعداد للحياة المهنية» أصبح اسمه «عقد الإعداد للحياة المهنية» بغاية -نظريا- ضمان حقوق أكثر لطالب الشغل وتحميل أصحاب المؤسسات مسؤولية

21 رابط التقرير: https://bit.ly/3EnRFyV

اجتماعيـة أكبـر، وتـم احـداث آليـة خاصـة بالعامليـن صلـب الجمعيـات والمنظمـات: «عقـد الخدمـة المدنيـة». فـي سـنة 2011 تـم إقـرار منحـة «أمـل» للعاطليـن مـن أصحـاب الشـهادات الجامعيـة (200 دينـار) لكنهـا لـم تصمـد إلا بضعـة أشـهر قبـل الغائهـا تمامـا. وفـي 2016 أعلنـت حكومـة يوسـف الشـاهد عـن «برنامـج فرصتـي»[22] والهـدف منـه تمتيـع طالـب الشـغل ب»مرافقـة مشـخّصة فـي تحديـد المشـروع المهنـي المسـتقبلي ومسـاعدته علـى تحقيقـه و توفيـر تكويـن تكميلـي فـي اللغـات، تكنولوجيـا المعلومـات، الاتصـال، المهـارات الحياتيـة أو فـي اختصاصـات تقنيـة أخـرى وذلـك حسـب المشـروع المهنـي والحاجيـات المشـخصة بغايـة «التأقلـم مـع حاجيـات سـوق الشـغل والمؤسسـات لتيسـير النّفـاذ الـى عمـل مؤجّـر أو عمـل مسـتقل»، ثـم أطلقـت فـي 2017 برنامـج «عقـد الكرامـة» الـذي يوفـر لطالـب الشـغل منحـة شـهرية قدرهـا 600 دينـار تدفـع منهـا الدولـة 400 دينـار فيمـا تدفـع المؤسسـة الخاصـة 200 دينـار وذلـك لمـدة سـنتين. فـي بدايـة سـنة 2018 أعلنـت نفـس الحكومـة عـن نيتهـا تجميـد الانتدابـات العموميـة باسـتثناء خريجـي مـدارس التكويـن العليـا وبعـض القطاعـات (وزارتـي الدفـاع والداخليـة أساسـا)، وذلـك فـي إطـار تقليـص كتلـة الأجـور وتخفيـض عجـز الماليـة العموميـة تماهيـا مـع «نصائـح» صنـدوق النقـد الدولـي وشـروطه لمنـح الدولـة قرضـا جديـدا. وعلـى الرغـم مـن احتجـاج العاطليـن عـن العمـل مـن حاملـي الشـهادات الجامعيـة ورفـض الاتحـاد العـام التونسـي للشـغل ومنظمـات أخـرى للقـرار فهـو عمليـا شـبه قائـم ونافـذ إلـى حـد اليـوم، فأغلـب الانتدابـات التـي حصلـت فـي السـنوات الأخيـرة هـي أساسـا فـي القطاعـات الأمنيـة أو تسـوية وضعيـة لموظفيـن وعمـال فـي القطـاع العـام كانـوا يعملـون بعقـود وقتيـة وصيـغ هشـة أخـرى. حتـى القانـون عـدد 38 المـؤرخ فـي 13 أوت 2020، والمتعلـق بالأحـكام الاسـتثنائية للانتـداب فـي القطـاع العمومـي الـذي أصـدره البرلمـان بهـدف تشـغيل حاملـي الشـهادات الجامعيـة ممـن تجـاوزت بطالتهـم 10 سـنوات لـم يـرى النـور فعليـا، فبعـد أن صـادق عليـه فـي 16 أوت 2020 أعلـن رئيـس الجمهوريـة فـي نوفمبـر 2021 -أي بعـد جمعـه السـلطتين التشـريعية والتنفيذيـة- انـه لـن يفعـل هـذا القانـون لأنـه «وُضـع فـي تلـك الفتـرة كأداة للحكـم ولاحتـواء الغضـب وبيـع الأحـلام وليـس للتنفيـذ»!

وعلـى الرغـم مـن تعاقـب أكثـر مـن عشـرة حكومـات علـى السـلطة باختـلاف مكوناتهـا الحزبيـة وتوجهاتهـا السياسـية-الأيديولوجية فـإن سياسـاتها التشـغيلية كانـت تعتمـد بالأسـاس علـى الإعـلان عـن «تشـجيع المبـادرة الخاصـة» لـدى العاطليـن عـن العمـل والتعويـل علـى القطـاع الخـاص -المحلـي والأجنبـي- فـي امتصـاص أزمـة البطالـة فـي تجاهـل لمحدوديـة السـوق التونسـية وضعـف تنافسـية منتجاتهـا وقدرتهـا علـى التشـغيل، ودون أن يترافـق ذلـك مـع مشـاريع عموميـة تشـغيلية أو اسـتثمارات ضروريـة فـي شـبكات النقـل والبنـى التحتيـة، أو تغييـر فـي السياسـات التنمويـة يحسـن أوضـاع المناطـق الأكثـر تهميشـا ويمنحهـا حـدا أدنـى مـن الجاذبيـة للاسـتثمار. حتـى الهيـاكل العموميـة المعنيـة بالتشـغيل أصبحـت وكأنهـا مجـرد وسـيط بيـن طالبـي الشـغل ومؤسسـات القطـاع الخـاص، يتجلـي ذلـك فـي تعـدد البرامـج المخصصـة للتشـجيع علـى العمـل المسـتقل وبعـث المؤسسـات وحتـى فـي أسـماء هـذه الهيـاكل: الوكالـة التونسـية للتشـغيل والعمـل المسـتقل، فضـاءات المبـادرة والنهـوض بالمؤسسـات الصغـرى. وتواصـل الدولـة المراهنـة علـى تشـجيع بعـث مؤسسـات صغـرى عبـر توفيـر آليـات دعـم وتمويـل مـن عـدة هيـاكل عموميـة مثـل: البنـك التّونسـي للتّضامـن، الصّنـدوق الوطنـي للنّهـوض بالصّناعـات التّقليديّـة والمهـن الصّغـرى، برنامـج التّنميـة الحضريّـة المندمجـة، الجمعيـات التّنمويّـة

22 تقديم البرنامج: https://bit.ly/3MsU923

(في إطار القروض الصّغرى)، الصّندوق الوطني للتّشغيل، الخ. حتى على المستوى التشريعي هناك توجه قوي نحو التعويل على «العمل المستقل» و»المبادرة الفردية»، نلمسه مثلا في القانون عدد 20 لسنة 2018 المتعلق بالمؤسسات الناشئة (STARTUP ACT) وقانون «تحسين مناخ الاستثمار» (القانون عدد 47 لسنة 2019) ومشروع قانون عدد 81 / 2020 المتعلق بنظام المبادر الذاتي (auto-entrepreneur) الذي قدمته حكومة الياس الفخفاخ لكن لم تتم المصادقة عليه إلى حد اليوم.

كل هذه الهياكل والبرامج والتمويلات والقوانين لا يبدو انها أحدثت تغييرا فارقا في أرقام البطالة وخارطتها في تونس خاصة بالنسبة لحاملي الشهادات الجامعية. مثلا عدد العاطلين عن العمل في تونس كان أواخر سنة 2011 في حدود 738،4 ألف شخص (منهم 223،7 ألف من حاملي الشهادات) وفي 2019 انخفض هذا العدد إلى 623،9 ألف (منهم 255،5 ألف من حاملي الشهادات)[23]. وهذا على الرغم من الزيادة الكبيرة في عدد المؤسسات الخاصة الذي ارتفع من 597597 مؤسسة أواخر سنة 2010 إلى 782115 مؤسسة أواخر سنة 2019 ،[24] ودون احتساب عدد التونسيين الذين هاجروا في السنوات العشر الأخيرة.

تقييم المستجوبين لسياسات التشغيل

الملاحظة الأولى التي نستنتجها من شهادات المستجوبين والمستجوبات ان هناك شح كبير في المعلومات حول سياسات التشغيل العمومية والمنح والمساعدات الاجتماعية لاحظناه خاصة عند المستجوبين والمستجوبات ذوي المستوى التعليمي المتوسط أو المتدني. بالإضافة إلى السبب الرئيسي وهو قلة فرص العمل المعروضة، فإن هذا الشح يمكن تفسيره من جهة بتقصير الدولة في الجانب التواصلي وعدم توحيدها للأطر والمنصات التي توفر المعلومة والإرشاد، ومن جهة أخرى بعدم قدرة الكثير من العاطلين عن البحث عن المعلومة والوصول اليها.

الملاحظة الثانية هي إحساس المستجوبين بأن الدولة ليس لها سياسات تشغيلية حقيقية وان اغلب الحلول المعتمدة اما فاشلة تماما أو محدودة الفعالية هدفها تسكين وجع البطالة لا معالجة الداء. وهذا التقييم السلبي يشمل البرامج والآليات المقترحة وكذلك أداء الهياكل العمومية المعنية بمرافقة العاطلين عن العمل وتشغيلهم.

لاحظنا في المجموعات الثلاثة عموما تذمرا كبيرا من مكاتب التشغيل والعمل المستقل التي يرى اغلب المستجوبين انها لا تقدم اضافة فضلا عن اتهام موظفيها بالمحسوبية والاستهانة بأسئلة العاطلين عن العمل والاستخفاف بمعاناتهم. كما تسائل الكثير منهم عن الجدوى من وجودها إذا كان عملها يقتصر على توفير نفس عروض الشغل التي قد يجدونها منشورة في مواقع الانترنت أو لدى مكاتب التشغيل الخاصة. هذا التقييم السلبي نجده أكثر حدة في المجموعة الأكثر تهميشا أي الذكور العاطلين الذين لا يحملون شهادات جامعية، وبشكل أقل عند المتخرجين من الجامعة، ذكورا واناثا.

23 أرقام المعهد الوطني للإحصاء

24 STATISTIQUES ISSUES DU RÉPERTOIRE NATIONAL DES ENTREPRISES. Edition 2020. Institut National de la Statistique (INS). https://bit.ly/3xzioqM

خليـل: انـا حاجـة وحـدة نتمناهـا يـا ربـي ان شـاء هلـلا تـاكل بعضهـا.. انـا اول حاجـة ال نمشـي لبانكـة ال «عزيـزة» ال «مونوبـري» نحـب نمشـي كان لبيـرو الشـغل.. راو غلـب عليـا... والله عنـدي مشـكل معـاه ديمـا مسـكرها فـي وجهـي..

منـذر: مـا يعـاون فـي شـيئ .. كان ينحـوه خيـر.. مـا فمـاش حـد مشـى لبيـرو الشـغل وقضـى قضيتـو.. قاعديـن ياخـذو فـي شـهرية.. وهلـلا صحـة ليهـم..

مـروى: أنـا ماللـول كنـت نمشـي وكنـت نتبـع وكل يـوم ندخـل عالسـيت ونشـوف أمـا حكايـة فارغـة أيسـنا. حتـى بيـرو الشـغل فيـه معـارف زادة. تجيـه خدمـة باهيـة يطلبـوا شـكون مـن معارفهـم بـاش يمشـيلها حتـى حاجـة بسـيطة، جمعيـة والا حاجـة.

محمـد علـي : كـي تمشـي لبيـرو الشـغل متـاع الدولـة تشـوفو مـا فاهـم حتـى شـي هـو، ثانيـا بـاش نمشـي نسـألو علـى حاجـة تـو ماهـوش فاهمهـا، مـا يعطيـك حتـى معلومـة، و مـا ينجـم يعطيـك حتـى خدمـة

أمـا فـي مجموعـة العاطـلات غيـر الجامعيـات فنلاحـظ ان التقييـم أكثـر إيجابيـة نسـبيا خاصـة فيمـا يتعلـق بالـدورات التكوينيـة ومرافقـة الراغبـات فـي بعـث مشـروع خـاص.

غـادة: خاصـة بيـرو الشـغل تلقـى، تفـرا دراسـة مشـروع وكل شـي وبعـد يعطيـوك كيفـاش تعمـل ال investissement و تخمـم فيهـا

أميمـة: نمشـيو كان لبيـرو الشـغل اكهـو..و بيـرو الشـغل خيـر امـا كيـف مـا قلـت لازم تحضـر عامليـن مشـاريع و يجيبولـك بعـد البانـكا وتقـدم البروجـي، مـش حاجـة مضمونـة يعنـي..

وفيمـا يتعلـق برامـج التشـغيل فهنـاك قناعـة لـدى جـلّ المسـتجوبين بأنهـا غيـر فعالـة وان معاييـر الانتفـاع بهـا ليسـت موضوعيـة بـل تقـوم أساسـا علـى العلاقـات والزبائنيـة وحتـى الرشـوة. العاطلـون عـن العمـل مـن غيـر حاملـي الشـهادات الجامعيـة، ذكـورا وإناثـا، هـم الأقـل حظـا فـي هـذه البرامـج والأقـل وصـولا لهـا. لا توفـر لهـم الجماعـات والسـلط المحليـة المعلومـات الكافيـة حـول هـذه البرامـج وحتـى فـي صـورة تقديـم ملفـات للحصـول علـى موطـن شـغل فإنهـا تهمـل لسـنوات. وضعيـة العاطلين المتخرجيـن أفضـل نسـبيا فبعضهـم انتفـع بآليـة «تربـص الإعـداد للحيـاة المهنيـة» أو «عقـد العمـل المدنـي» بالإضافـة إلـى دورات تكوينيـة.

امـا بخصـوص تشـجيع الدولـة علـى بعـث المشـاريع الخاصـة فـالآراء متباينـة. مجموعـة الذكـور المعطليـن تبـدو غيـر معنيـة بالمـرة، لا الدولـة تتوجـه لهـا ولا هـي تمتلـك الحـد الأدنـى مـن التمويـل والعلاقـات والدعـم والتكويـن فـي بعـث وإدارة مشـاريع خاصـة. فـي مجموعـة حاملـي الشـهادات وكذلـك مجموعـة العاطـلات غيـر المتخرجـات هنـاك مـن جهـة رغبـة لـدى عـدة مسـتجوبين فـي بعـث مشـروع خـاص، ومـن جهـة أخـرى تـردد وتخـوف كبيـر مـن إمكانيـة الفشـل. هـذا الخـوف لـه عـدة مبـررات موضوعيـة: ضعـف الإمكانيـات الماديـة، والخـوف مـن المخاطـرة باسـتثمار متأتـي مـن القـروض والعجـز عـن السـداد فـي حالـة الفشـل، ومحدوديـة آليـات المرافقـة التـي توفرهـا الدولـة للباعثيـن الشـبان، والبيروقراطيـة والتعطيـلات، والوضـع الاقتصـادي المتـأزم للبـلاد، الـخ.

فاتن: ما فماش خدم، اصال كي تمشي تلقى االجراءات ديما طويلة وبليدة، ترعب ، يعجزوك اصلا، وبعد شوف يعجبهم المشروع و شوف ال و شوف يعطوك و شوف ما يعطوكش..

حلمي: المشكلة تو في ظروف البلاد، ماعادش تعرف شنوة المشروع اللي باش تعملو

احمد: إذا كان انا في المستقبل نحب نعمل مشروع نشالله ، هل انو باش نلقى تكوين؟ انا مثال ما نحبش مجالي نحب نتعلم مجال مربح نمشي فيه، هل انو الدولة تعملي تكوين، هاذايا ما يتسماش تقصير انها تأطرني وتخليني ننجح! شنية الافكار متاع المشاريع، شنية المجالات الناجحة، شنية يلزمك تعمل شنية لازمك ما تعملشمش، اكاكا برا راو شباب اعملوا مشاريع خاصة، اي هاو انا ما عنديش االمكانيات المادية، ما عنديش افكار، ما عندي حتى شي، كيفاش تطيشني في هاوية انت؟

مروى: كي تبدا مازالت في الليسي تنجم تعمل مشروع ولا حاجة أما كي توصل للفاك تلقى روحك باش ترجع تخدم حجامة، تلقى روحك في ثيبة لاك منجم توخر لا تقدم.

4. المقاومة والتنظم

يعاني الشباب في حي التضامن بشكل مضاعف من فشل السياسات الاقتصادية للدولة التونسية في محوري التنمية والتشغيل، على المستوى المحلي وكذلك على المستوى الوطني فهم ينتمون إلى أجيال تعيش بطالة بنيوية ويقطنون منطقة مهمشة منذ عشرات السنين. لذا حاولنا استكشاف ردود فعل المستجوبين على هذا الوضع ومدى انخراطهم في الحراك الاجتماعي المناهض لهذه السياسات وأشكال تنظمهم في مواجهتها.

حي التضامن كان من بين المناطق التي انتفضت في جانفي 2011، وشهدت في السنوات الموالية عدة حراكات احتجاجية لعل أكثرها حدة حراك جانفي 2021 الذي جوبه بعنف بوليسي شديد وعدة حملات تشويه في بعض وسائل الإعلام. العديد من المستجوبين خاصة في مجموعة العاطلين غير الحاملين لشهادات جامعية شاركوا في بعض هذه التحركات أملا في تغيير أوضاعهم لكن نستشف من خلال بعض الإجابات ان هناك نوعا من الإحساس بلا جدوى هذه النضالات التي تتكرر دون أي جديد. زد على ذلك، عبر بعض المستجوبين عن مخاوفهم من ان يجتمع عليهم الفقر والسجن والعنف البوليسي اذا ما اعتقلوا خلال الاحتجاجات. هذه المخاوف تؤكد مرة أخرى ان الحريات السياسية والحقوق والحرمة الجسدية مازالت غير مضمونة في تونس خاصة عندما يتعلق الأمر بالهوامش والفئات التي لا «ظهر» يسندها.

خليل: هوما يلزونا باش نضربو بالحجر.. انت هابط تحتج على روحك هوما يستفزوك يلزوك باش تضرب بالحجر وبعد يضربوك بالغاز... حسني: في الاحتجاجات اللي فاتت في شارع الحبيب بورقيبة يضربوا فيهم بالغاز والماء السخون توة عباد ولا حيوانات اذوكم..

-منذر: انت في «السيفيل» ميت بالشر فمابالك بالحبس.. ريت العيشة لهنا يلزم عنك فلوس.. انت ما عندكش باش تقاومهم لا في البر ولا في البحر.. معناها حكاية زايدة

عموما هناك نفور لدى أغلب المستجوبين من العمل السياسي التقليدي والمؤسساتي القائم على الانخراط في الأحزاب والمشاركة في الانتخابات، مع ميل أكثر إلى الحركات الاحتجاجية والنضالات الفئوية والمناطقية. لكن هذا لا يعني ان كل المستجوبين يعقدون امالا كبيرة على الاحتجاجات والتحركات الميدانية فبعضهم عبر عن عدم اعتقاده في جدوى التحركات الجماعية التي أصبحت متكررة في الشكل والمضامين. هذا الاعتقاد بأن النضالات الجماعية «حكاية فارغة» يجعل بعض المستجوبين يبحث عن الخلاص الفردي على الرغم من ان الأزمة وطنية وجماعية ومشتركة.

مروى: خرجنا في الثورة كهو ، انا تو حاليا وليت نحس فيها حكاية فارغة يخرجو يعيطوا يعيطوا و بعد يروحوا..

أميمة : توة حكاية فارغة هوكا اعتصموا على قرارات الرئيس متاع االنتدابات ، اعتصموا اعتصموا ،حكاية فارغة ، هو قيس صحيح قال مش موجود خدم ما تقلقوش رواحكم 5سنين القدام ، عبد يقلهم راو مافماش فلوس و ما فماش خدم و هوما خارجين نشوفها انا حكاية فارغة و ما فيها حتى حل

حلمي : السؤال هذا مربوط بلي قبلوا . أنا كي نعمل احتجاج و نبدا عارف إلي موش باش يتبدل شي . زايد يعني نشوف حل وحدي

الملفت للنظر في شهادات المستجوبين من حاملي الشهادات الجامعية ضعف انخراطهم في حركات الاحتجاج الجماعي والهياكل التي تدافع عن حقوقهم على الرغم من مستواهم التعليمي ووعيهم المفترض واحتكاكهم بهذه المنظمات خلال سنوات التعليم العالي. لم يخض أي مستجوب ضمن هذه المجموعة تجربة صلب النقابات الطلابية أو تنسيقيات العاطلين عن العمل أو الأحزاب السياسية بالرغم من انهم درسوا في الجامعة وتخرجوا بعد ثورة 2011 أي بعد سقوط حاجز الخوف من التبعات الأمنية للعمل السياسي والنقابي، مما يدفعنا للتساؤل أولا عن دور ونجاعة المنظمات والنقابات الطلابية والتيارات السياسية في الجامعة، وثانيا عن أسباب نفور الشباب المتعلم من النشاط الاحتجاجي المنظم والعمل السياسي التقليدي (ضمن أحزاب وتنظيمات). هذه الفئة هي أيضا الأقل حماسا فيما يتحرك بالنضالات الميدانية والاشتباك في الشارع مع أجهزة السلطة، ولربما ينبع هذا الموقف من النجاح النسبي لسياسات الاحتواء الحكومية عبر وعود التشغيل وبرامج التكوين والمنح الظرفية وتسهيل استكمال الدراسة في مراحل ما بعد الإجازة والاستفادة من ديناميكية المجتمع المدني لتشغيل بعض العاطلين، الخ. هذه الفئة وعلى الرغم من بطالتها وتردي أوضاعها الاقتصادية تبقى -مقارنة بفئات العاطلين الأخرى- الأكثر قدرة على الحصول على منافع ضئيلة من النظام الاقتصادي القائم والأكثر أملا في تحسين أوضاعها لذا لا تميل كثيرا إلى تغيير الأوضاع بالقوة والنضالات الجماعية. في حين تبدو مجموعتي العاطلين غير الحاملين لشهادات جامعية أكثر استعدادا للنزول إلى الشارع والمشاركة في الاحتجاجات حتى التي توجبه بعنف بوليسي شديد، خاصة في مجموعة الذكور الذين توضح شهاداتهم انه ليس لديهم ما يخسرونه وانه لا ثقة لهم تماما في السلطة ولا أمل في تحسين أوضاعهم.

تبدو علاقة الشباب العاطل بالجمعيات أفضل، فهناك نوع ما اقتناع بدورها كهيكل وسيط بين المواطن والسلطة وكذلك كمدخل للاندماج في المجتمع، ربما لأن النشاط صلب المجتمع المدني أكثر مرونة وأفقية وأقل هرمية وجمود من الأحزاب. كما انها استفادت من الغياب شبه الكلي للأحزاب وتملص الدولة من واجباتها الاجتماعية وتقصيرها الكبير في توفير البنى التحتية وأسباب الحياة الكريمة والحد الأدنى من سبل الترفيه. أغلب الجمعيات التي ذكرها المستجوبون هي ذات طابع «خيري» توزع الإعانات بشكل دائم أو متقطع أو ظرفي، أو تنموي وترفيهي/رياضي. ولم يأتي المستجوبون على ذكر الجمعيات والمنظمات ذات الطابع الحقوقي و»السياسي». بعض المستجوبين يتعامل معها ببراغماتية أي الاستفادة من المنح المالية أو الدورات التكوينية التي يمكن أن توفرها بعض الجمعيات. لاحظنا هذا التقييم الإيجابي خاصة في مجموعة خريجي الجامعة ومجموعة النساء اللواتي لا يحملن شهادات جامعية. علاقة المستجوبين في مجموعة العاطلين بدون شهادات بالمجتمع المدني أضعف من البقية وتقتصر أساسا على الجمعيات «الخيرية» التي توفر معونات غذائية وأمور مماثلة.

أحمد : الجمعيات ساعات يعملولك فورماسيون ينفعوك. تمالك وقتك . تخليك تتجم تعمل حاجات و تندمج و تعرف العباد

محمد علي: الجمعيات عندهم موقع مهم ياسر. تحاول تقرب العالقات بين المواطن والسلطات المحلية. لازمك تتعلم تنشط و هذا حسب قيمة الجمعية أحمد: تملالك وقتك. تخليك تتجم تعمل حاجات وتندمج وتعرف العباد

هناك اجماع في المجموعات الثلاثة على عدم الثقة في الأحزاب السياسية بمختلف توجهاتها، وأكد جلّ المشاركين انهم لم ينخرطوا سابقا في اي حزب. وحسب أجوبة بعض المستجوبين نجد ان هذه الأحزاب اما غائبة تماما عن محيطهم المباشر أو حاضرة لتستغل فقرهم في المواسم الانتخابية والأزمات وفق منطق «زبائني» لا يختلف كثيرا عن شراء الأصوات. ويرى جزء كبير من المستجوبين ان الأحزاب لا تكترث لأوضاعهم وليس لديها ما تقدمه لهم. وتقريبا كانت حركة النهضة الحزب الوحيد الذي أتى ذكره على ألسنة بعض المستجوبين مما يبعث على التساؤل حول غياب الأحزاب اليسارية والاجتماعية عن منطقة تفترض أوضاعها الاجتماعية-الاقتصادية انها بيئة حاضنة لمثل هذه الأحزاب. هذا الموقف السلبي المعمم يبعث على القلق فيما يخص مستقبل الديمقراطية والعمل السياسي فالأحزاب السياسية هي هياكل وسيطة يفترض انها تلعب دورا هاما في النقاش العام وفي إدارة الشأن العام كسلطة أو سلطة مضادة. هذا «اليأس» من الأحزاب ينعكس أيضا على تمثل الشباب للعملية الانتخابية ومشاركته فيها.

كريم : خاطر الاحزاب يخدموا بينا.. سامحني الحزب بعد ما يطلعوه الناس ينساها العباد اذيكا الكل .. اللي ضرب معاك.. معناها انت مش تخدم بيا عاد هاني قاعد...

فاتن : يجي باش يقضي بيك اموروا و اكهو في وقت االنتخابات ، يجي يمدلك ورقة فيها مشاريع ما فماش منها ، نعملولك و نعملولك ، بعد ما تعاودش تشوفوا ، اما نحنا ما نمشوش و هو ما عاودوش رجعوا ، ما يخرجوش على عين المكان و يشوفوا شفما و شمافماش،

> حسب رايي انا في االنتخابات الرئاسية الجديدة ما ينتخب حد ، اللي ينتخب عامين تالتة لتالي ما يمشيش
>
> سناء : انا كرهتها اكا الانتخابات

لا يمكن تحليل علاقة الشباب في حي التضامن، خاصة العاطلين منهم، بالشأن السياسي والعمل المدني بمعزل عن انتمائهم الطبقي والمناطقي. تشرح الباحثة ألفة لملوم في دراستها المعنونة «السياسة على هامش الدولة والمؤسسات: حالة شباب دوار هيشر وحي التضامن»[25] هذا الترابط فتقول «يفترض ألا نحلل العلاقة بين شبان دوار هيشر وحي التضامن والسياسة دون الأخذ في الاعتبار موقعهم المخصوص «على هامش المدينة والدولة». وتفسر كيف يعاني أبناء المنطقتين من ظلم مزدوج، أولا اللامساواة الاجتماعية بمعنى «الانتماء لطبقة فقيرة، وامتلاك رأس مال اجتماعي ضعيف، والتعرض المستمر للهشاشة والبطالة»، وثانيا اللامساواة الحضرية «التي تحيل إلى نفاذ غير متساو للموارد، وللخدمات التي يتيحها فضاء حضري مستبعد (فضاءات الترفيه والثقافة والاستهلاك والتمازج الاجتماعي والجندري) والتي تترابط زيادة على ذلك مع تأثيرات الوصم، والتمييز على أساس عنوان المسكن الذي يشكل الشبان ضحاياه».

هذا «الموقع المخصوص» يؤثر بشكل كبير في تقييم الشبان لثورة 2011 وما بعدها، ليس من منطلق الحريات والديمقراطية «المجردة» بل ما تحقق من تغيير في واقعهم المعيش:

«ولكن إذا كان البحث الكيفي قد بيّن أن البعض من الشبان، خاصة من بين حاملي الشهادات، يثمنون حرية التعبير الجديدة المكتسبة مع الثورة مستخدمينها للمطالبة بحقوقهم أمام السلطات فإن البحث الكمي قد كشف ان 44% من الشبان يعتقدون أن حياتهم اليومية لم تتغير منذ 14 جانفي 2011. بل حتى زادت سوء. حيث يدعم 46% من بينهم فكرة أن ظروفهم المعيشية قد تردت ويصل أكثرهم بؤسا إلى حد الندم على عهد بن علي.

ولا عجب أن يكون التفسير الأكثر تواترا لهذا التماثل ذا صبغة اقتصادية، وهو حصيلة استمرار البطالة، والصعود السريع لأسعار المواد الأساسية. وأثناء المقابلات، ذكرت الكثير من الفتيات لتفسير هذا الشعور تراجع الإحساس بالأمان، الذي يعيق حريتهن في التنقل، دافعا البعض منهن إلى ترك عملهن نتيجة الغياب المؤكد لوسائل النقل عند المساء».

عدم ترافق حرية التعبير والتداول على السلطة بتحسن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، واستبعاد الشباب والهوامش من دائرة القرار كلها مؤشرات تقول بأن غالبية الشباب في حي التضامن والمناطق المشابهة له ظلت «مستبعدة من مقتضيات المواطنة الاجتماعية، (التأمين على المرض، الحماية الاجتماعية، والتجهيزات الجماعية) ومحرومة من النفاذ للبنية التحتية الثقافية والترفيهية».

25 نشر ضمن مؤلف جماعي بعنوان «في سوسيولوجيا الهوامش في تونس، دراسات في المناطق الحدودية والأحياء الشعبية»، اشراف محمد علي بن زينة- مريم عبد الباقي- ألفة لملوم. إنترناشونال ألرت تونس. الصفحات 153-181. الطبعة الأولى: مارس 2018، دار محمد علي الحامي للنشر.

هـذا الاسـتبعاد لا يعنـي بالضـرورة يـأس الشـباب مـن إمكانيـة التغييـر وانعـدام اهتمامهـم بالشـأن السياسـي ومحاولـة التأثيـر فيـه، لكنـه يـؤدي إلـى ضعـف ثقتهـم -أو انعدامهـا تمامـا- فـي المؤسسـات السياسـية الرسـمية والحزبيـة وبشـكل أقـل فـي منظمـات المجتمـع المدنـي ذات الطابـع الحقوقـي. هـذا النفـور هـو كمـا تشـير ألفـة لملـوم «سـمة مـن سـمات الانفصـال أو البعديـة عـن السياسـة الممأسسـة» التـي «لا رقابـة لهـم عليهـا».

تجـدر الإشـارة إلـى أن الدراسـة المذكـورة أنجـزت سـنة 2015، أي ان مـا عبـر عليـه المسـتجوبون فـي هـذا التقريـر المنجـز فـي 2022 مـن ضعـف ثقتهـم فـي الدولـة ونفورهـم مـن العمـل السياسـي المؤسسـاتي لـم يأتـي مـن فـراغ بـل هـو احتجـاج «صامـت» ونتـاج طبيعـي لإخفـاق الطبقـة السياسـية التـي حكمـت البـلاد فـي العشـرية الأخيـرة فـي توفيـر أسـباب الشـعور بالمواطنـة لسـكان الهوامـش والفئـات الهشـة عمومـا.

لا يمكـن لأحـد أن ينكـر الـدور الكبيـر الـذي لعبـه الشـباب، خاصـة مـن الفئـة العمريـة 18-25 سـنة وبشـكل أقـل مـن فئـة 26-35 سـنة، فـي وصـول الرئيـس الحالـي للجمهوريـة، قيـس سـعيد، إلـى الـدور الثانـي مـن رئاسـيات 2019 ثـم إلـى قصـر قرطـاج بعـد انتصـاره الكاسـح أمـام منافسـه نبيـل القـروي. ومثـل هـذا الانتصـار -خاصـة فـي الـدور الأول- صدمـة للعديـد مـن القـوى السياسـية وحتـى المثقفيـن والمختصيـن فـي العلـوم السياسـية، ربمـا بسـبب ضعـف صلتهـم بالشـباب وبالواقـع الميدانـي خاصـة فـي المناطـق المهمشـة. نتيجـة رئاسـيات 2019 لـم تكـن مفاجئـة تمامـا، مثـلا أظهـرت الدراسـة الميدانية «شـباب فـي الهوامـش» التـي أشـرنا لهـا سـابقا (أجريـت مـا بيـن 15 أفريـل و5 مـاي 2019) ان قيـس سـعيد «كان يحتـلّ المرتبـة الأولـى فـي صفـوف الشـباب. فـي دوار هيشـر والقصريـن الشـمالية بينمـا احتـل المرتبـة الثانيـة فـي تطاويـن الشـمالية. ولا تختلـف هـذه النتائـج حسـب المسـتوى التعليمـي أو النشـاط الاقتصـادي.» فسـر عـدة محلليـن انتصـار قيـس سـعيد بعـدم انتمائـه إلـى المنظومـة الحزبيـة، التـي لا يثـق فيهـا الكثيـر مـن التونسـيين، وإلـى النخبـة (الحاكمـة والمعارضـة) المتصـدرة للمشـهد السياسـي بعـد 14 جانفـي 2011 والتـي تراهـا عـدة فئـات مـن الشـعب -علـى رأسـها الشـباب- كتلـة واحـدة منسـجمة ومسـؤولة عـن أزمـة البـلاد الاقتصاديـة والسياسـية، وربمـا أرادت معاقبتهـا. كمـا ان صـورة المرشـح «الفقيـر» و»نظيـف اليـد» الـذي يجـوب البـلاد ويذهـب إلـى تخومهـا وهوامشـها بـلا صخـب ولا بهـرج فـي حملـة انتخابيـة غيـر تقليديـة لـم تسـتعمل التمويـل العمومـي ولـم تتكلـف إلا «سـيقارو واكسـبراس» (سـيجارة وقهـوة) كمـا يقـول مناصـروه، خدمـت كثيـرا قيـس سـعيد وأعطـت ترشـحه مصداقيـة وبعـدا «أخلاقيـا» فـي فتـرة بلـغ فيهـا الفسـاد (أو شـبهاته) مسـتويات كبيـرة وخطيـرة. لهـذا ربمـا علـق الكثيـر مـن الشـباب العاطـل والمفقـر آمـالا كبيـرة علـى فـوز قيـس سـعيد «المختلـف» عـن الآخريـن و»المتديـن» بـلا «أيديولوجيـا» والعـازم علـى «مكافحـة الفسـاد» والراغـب فـي «إعـادة بنـاء النظـام السياسـي» حتـى يغيـر الأوضـاع الاجتماعية-الاقتصاديـة و»ينقـذ البـلاد». بالإضافـة إلـى هـذه العوامـل «الموضوعيـة» هنـاك عامـل ذاتـي يفسـر المسـاندة التـي حظـي بهـا الرئيـس فـي حـي التضامـن فهـو يقطـن فـي منطقـة «المنيهلـة» التـي كانـت تشـكل فـي السـابق دائـرة بلديـة واحـدة مـع حـي التضامـن، أي ان قيـس سـعيد «ولـد حومـة» كمـا يـراه الكثيـر مـن المسـتجوبين.

لكن هذه العلاقة بالحي التي قد تكون خدمته في الانتخابات لم تشفع له كثيرا في تقييمات أغلب المستجوبين والمستجوبات لفترة حكمه. هناك عموما خيبة أمل كبيرة من أداء الرئيس على المستوى الاقتصادي الاجتماعي.

هذا التقييم السلبي أكثر حضورا لدى مجموعة العاطلين الحاملين لشهادات جامعية، الذين عبروا صراحة انهم فقدوا الأمل تماما وانه ليس للرئيس ما يقدمه خاصة بعد تعطيله القانون عدد 38 لسنة 2021 والقاضي بالانتداب الاستثنائي لحاملي الشهادات الجامعية ممن طالت بطالتهم وكذلك تصريحه أكثر من مرة ان الدولة ليس إمكانيات لانتداب أصحاب الشهادات العاطلين.

مروى: هو انتخبوا الشباب و فيبالنا هو الأمل باش باش نقدمو .

الباحث: هل تحسوا أو حسيتوا أنوا فما تغيير مع الرئيس قيس سعيد ؟

الكل قالوا «زدنا فقدنا الأمل»

أما في مجموعة العاطلين من غير حاملي الشهادات الجامعية فخيبة الأمل واضحة من «ولد الحومة» الذي انتظروا منه أن يغير واقع المنطقة التي يعرفها جيدا فلم يتغير شيء. لكن على الرغم من خيبة الأمل فهناك قناعة لدى الكثير من المستجوبين في هذه المجموعة بأن الرئيس مازال بإمكانه أن ينهض بالمنطقة لو أراد ذلك. وهنا نفهم أن صورة الرئيس في المخيال الجمعي لم تتأثر كثيرا بتغيرات النظام السياسي بعد الثورة الذي أعطى سلطة أكبر لمجلس نواب الشعب ورئاسة الحكومة على حساب سلطة رئاسة الجمهورية، وربما قد تنتعش الصورة القديمة بعد عودة «سطوة» رئاسة الجمهورية اثر «إجراءات 25 جويلية 2021 الاستثنائية» وانفراد قيس سعيد بالحكم.

منذر: نقلك حاجة صغيرة شكون توة اللي شاد البلاد.. ماو الرئيس والرئيس شكون اللي نخبلو ماو اوالد حي التضامن ياخي يتسمى ولد حومتنا .. هو جاء قال اريانة ومنوبة مش نقدملهم اشغال واندرا شنوة.. فرحنا احنا قلنا هذا نعرفوه خير من اللي ما نعرفوشو..

حسني: قيس سعيد يعمل مشاريع..

لسعد: قيس سعيد كان يحب يعمل المشاريع يعمل المشاريع

في مجموعة العاطلات من غير خريجات الجامعة لاحظنا تنوعا أكبر في تقييم أداء رئيس الجمهورية، خيبة الأمل حاضرة بقوة لكن هناك في بعض الشهادات تفهم من المستجوبات للظروف التي قد تكون «منعت» الرئيس من القيام بمبادرات ومشاريع لامتصاص البطالة:

امنة: هو ما ينجمش يبدل كل شي فيسع في ليلة ونهار، برشا خرم..

رجاء: الاقتصاد طايح، باش باش يوفرلك ، اك الوعود الزائفة مجرد حبر على ورق...

خلاصة

شهادات المستجوبين على اختلاف جنسهم ومستوياتهم التعليمية سمحت لنا ب»تكبير الصورة» حتى نرى تفاصيل ما يعيشه العاطل عن العمل في مختلف مناحي حياته: حياته اليومية، تدبر نفقاته، تواصله مع محيطه وانعزاله عنه، بحثه عن عمل وتحايله على «الفراغ»، هواجسه وآماله، احباطه من سياسات الدولة ومقاومته لها، الخ.

البطالة ليست حالة اقتصادية فقط، فالعاطل عن العمل يعاني أيضا من «عطالة» اجتماعية تؤثر على موقعه في محيطه العلائقي وروابطه به، بعض هذه العلاقات يتوتر بتتالي سنوات البطالة وقد يأخذ منحى عنيفا (العائلة) وبعضها يتحلل بمرور الزمن واختلاف المسارات (الأصدقاء) أو يموت «في المهد» او يقطع بعد سنوات بسبب ضيق الحال (علاقات عاطفية).

البطالة ليست حالة مادية فقط، بل هي أيضا عناء نفسي شاق يرهق العاطل عن العمل ويتحول أحيانا إلى عناء جسدي. كلما طالت فترة البطالة زاد شعور المستجوبين، ذكورا وإناثا، بوطأة عطالتهم وتبعيتهم المالية و»ثقلهم» على محيطهم فيتولد لديهم إحساس بالخجل وحتى العار في بعض الحالات، نلاحظه أكثر عند الذكور الذين يعتبرون ان الضغط الواقع عليهم أكبر مقارنة بالإناث نظرا لتقبل المجتمع فكرة بقاء المرأة في البيت وتكفل ذكور عائلتها بمصاريفها. لكن شهادات العديد من المستجوبات تبين كيف تزيد البطالة هشاشة وضع المرأة ويتركها تحت «رحمة» الآخرين، فالتمكين الاقتصادي والاستقلالية المالية يضمنان للمرأة حد أدنى من الحماية ويمنحها -نسبيا- حرية تنقل أكبر كما انه يوسع «هامش الاختيار» عندما يتعلق الأمر بالعلاقات العاطفية والارتباط.

عبر الكثير من المستجوبين عن سأمهم من حالة العطوبة التي تتسبب في ركود حياتهم في حين يتحرك العالم من حولهم بسرعة. ولمقاومة هذه الحالة النفسية يلتجأ كل واحد منهم إلى طرق مختلفة لتجزية الوقت وتناسي وضعه الاقتصادي الاجتماعي. لكن قلة أماكن الترفيه وضعف الموارد المالية وعزلة الحي النسبية تقلل الاختيارات: منصات التواصل الاجتماعي، المسلسلات، المقهى، قاعات الرياضة الخاصة، الملاعب، والسلوكات المحفوفة بالمخاطر مثل استهلاك مهدئات بدون اذن طبي أو الإدمان على المخدرات (أساسا الزطلة وخاصة عند الذكور من غير حاملي الشهادات الجامعية).

يحاول كل عاطل تدبر أمره بشتى الوسائل لكن تبقى العائلة هي «المعيل» الأول والأعمال الهشة والمؤقتة هي «الحل» الرئيسي. وفي منطقة مثل حي التضامن تعاني فضلا عن ارتفاع نسب البطالة من الفقر والوصم الاجتماعي والأمني (الجريمة، الإرهاب، الإدمان) وتردي البنى التحتية وضعف الربط بشبكات النقل تتزايد عزلة العاطل عن العمل وتتناقص فرص حصوله على شغل لائق يوفر له الأمن الاقتصادي ويحفظ كرامته. المستجوبون الذكور الذين لم يستكملوا تعليمهم وليست لديهم شهادات تكوين مهني او مهارات حرفية هم الأكثر تضررا من حالة البطالة «المستدامة» ففي كثير من الأحيان تغلق أمامهم كل الأبواب حتى قطاعات الاقتصاد غير المهيكل بسبب المضايقات الأمنية ولا تبقى أمامهم حلول كثيرة: سلوكات إجرامية أو الهجرة غير النظامية «الحرقة». طبعا لا ينحصر التفكير في الهجرة على هذه المجموعة، فأغلب المستجوبين

-خاصة الذكور- يعتبرونها حلا جديا لوضعهم، لكن مع اختلاف في مدى تقبل مخاطر الهجرة غير النظامية خاصة لدى المستجوبات.

بعض المستجوبين من أصحاب الشهادات الجامعية، ندم على استكماله التعليم العالي أو عدم «توفقه» في اختيار شعبة جامعية لها أفق تشغيلية، يعتبون على محيطهم الذي لم يساعدهم في القيام بالاختيار الصائب ويلومون الدولة على عدم توافق عروضها التعليمية والتكوينية مع واقع البلاد الاقتصادي و»احتياجات السوق» وعلى ضعف المهارات العملية التي توفرها لهم خلال مرحلة الدراسة. حتى المعارف التي اكتسبوها خلال مراحل تعليمهم أصبحوا يخافون أن تتبدد بالنسيان أو تفقد قيمتها بالتقادم. وأشارت بعض المستجوبين -خاصة الإناث- إلى ان الشهادة الجامعية قد تمثل عائقا في الحصول على بعض فرص الشغل لأن المستوى التعليمي لطالب الشغل أعلى من المطلوب في شروط صاحب العمل أو مناظرة الانتداب في القطاع العمومي.

هناك توافق في المجموعات البؤرية الثلاث فيما يخص تقييم السياسات التشغيلية للدولة فجلهم يعتبرون انها غير ناجعة أو لا يمتلكون عنها معلومات كثيرة (بتاتا). يجمع أغلبهم أيضا على ان الخطاب الرسمي-وحتى الحزبي- حول البطالة والتشغيل ليس إلا مجرد أوهام تزدهر تجارتها في المواسم الانتخابية. لا تحظى «مكاتب التشغيل والعمل المستقل» برضا المستجوبين، الكثير منهم يعتبر انها مضيعة للوقت وأورد بعضهم شهادات عن تجارب سيئة مع هذه الهياكل. العاطلون الذكور الذين لا يحملون شهادات جامعية هم الأقل معرفة بسياسات الدولة التشغيلية والأضعف علاقة بمكاتب الشغل. في مجموعتي المخرجين الجامعات والعاطلات الإناث نلاحظ ان الاطلاع أكبر وان البعض انتفعوا بدورات تكوينية أو عقود وقتية أو منح ضمن برامج التشغيل العمومية خاصة المتعلقة ببعث المؤسسات والمبادرة الخاصة والعمل المستقل.

إزاء وضعية البطالة والتهميش والنتائج الهزيلة لبرامج الدولة التشغيلية وسياساتها يسعى جزء هام من المستجوبين إلى التحرك من أجل حقوقه والضغط على السلطات المحلية والمركزية. لكن هذا النضال الاجتماعي-الاقتصادي لا يمر كثيرا من بوابة «المؤسسات» الحزبية والجمعياتية فهناك انعدام ثقة طاغي في الموقف من الأحزاب وميل نحو الجمعيات «غير المسيسة»، ويفضل الحركات الاحتجاجية «العفوية» و»المستقلة» عن الأحزاب. الذكور العاطلين من غير حاملي الشهادات الجامعية هم الأكثر مشاركة في الاحتجاجات الميدانية والاشتباكات مع أجهزة الأمن، وكذلك الأكثر تعرضا للقمع.

عموما لا يثق غالبية المستجوبين في الطبقة السياسية التونسية -حاكمين ومعارضين- المهيمنة على المشهد في العشرية الأخيرة ولا يرجون منهم خيرا كثيرا فيما يخص امتصاص البطالة ومقاومة الفقر والتهميش. حتى رئيس الجمهورية، قيس سعيد، الذي حظي بدعم كبير من الشباب في حي التضامن -من بينهم الكثير من المستجوبين- وخارجه خلال الانتخابات الرئاسية في 2019 وعلقوا عليه آمالا عريضة لم يستطع أن يغير هذا الموقف من الطبقة السياسية اذ يرى جزء كبير من المستجوبين (خاصة في مجموعة العاطلين من حاملات الشهادات الجامعية) ان أدائه في السلطة -فيما يخص ملفات البطالة والتنمية- مثل خيبة أمل إضافية ولم يكن في مستوى التطلعات.

مراجع

كتب ومؤلفات جماعية

BONO Irene, HIBOU Béatrice, MEDDEB Hamza et TOZY Mohamed. L'État d'injustice au Maghreb : Maroc et Tunisie. Karthala, 2015.

BOUSNINA, Adel. Le chômage des diplômés en Tunisie. L'Harmattan 2013

GAIED, Cyrine. Le chômage et l'insertion professionnelle des femmes en Tunisie. Editions universitaires Europeennes, 2021.

بـن حمـودة، حكيـم. الاقتصـاد السياسـي للثـورة. ترجمـة: عبـد العزيـز الجربـي، دار محمـد علـي الحامـي للنشـر، 2016.

الصالحـي، الصغيـر. الاسـتعمار الداخلـي والتنميـة غيـر المتاكفئـة- منظومـة التهميـش فـي تونـس. الشـركة التونسـية للنشـر، 2019.

«في سوسـيولوجيا الهوامـش في تونـس، دراسـات فـي المناطـق الحدوديـة والأحيـاء الشـعبية»، اشـراف محمـد علـي بـن زينـة- مريـم عبـد الباقـي- ألفـة لملـوم. إنترناشـونال ألـرت تونـس. الصفحـات 153-181. الطبعـة الأولـى: مـارس 2018، دار محمـد علـي الحامـي للنشـر.

تقارير ودراسات

ALRIZA, Fadil, "L'impact et l'influence des institutions financières internationales sur le moyen-orient et l'afrique du nord". Etude éditée par la Friedrich Ebert Stiftung en 2013

BEN AMOR, Mouldi. Le chômage des jeunes :
déterminants et caractéristiques. Notes et Analyses de L'ITCEQ. 2012

http://www.itceq.tn/files/emploi/chomage-des-jeunes-determinants-caracteristiques.pdf

La jeunesse Tunisienne et l'économie informelle. Organisation internationale du Travail 2015. https://bit.ly/3M8Bt7p

Rapport national sur l'emploi, IACE, Fondation FRIEDRICH Naumann pour la liberté, septempre 2018. http://www.iace.tn/wp-content/uploads/201903//Rapport-National-sur-lEmploi-2018.pdf

Inclusion sociale en Tunisie : Les enjeux de l'emploi, de l'éducation et de la répartition des revenus, Institut Tunisien de la Compétitivité et des Etudes Quantitatives (ITCEQ), Mars 2017.

http://www.itceq.tn/files/politiques-sociales/inclusion-sociale.pdf

L'inventaire de l'emploi des jeunes en Tunisie : Trente ans de politiques de l'emploi (IEJ) / Bureau international du Travail. - Genève: BIT, 2015

https://www.ilo.org/wcmsp5/groups/public/---ed_emp/documents/publication/wcms_444914.pdf

La Révolution Inachevée Créer des opportunités, des emplois de qualité et de la richesse pour tous les Tunisiens, Banque Mondiale, Mai 2014

https://www.banquemondiale.org/content/dam/Worldbank/document/MNA/tunisia_report/tunisia_report_the_unfinished_revolution_fre_synthesis.pdf

البدوي، عبد الجليل. أي برنامج إنقاذ عاجلا واي بديل تنموي آجلا. المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2018

https://ftdes.net/rapports/crise.alternatives.pdf

شباب في الهوامش. تمثلات المخاطر والسياسة والدين في تطاوين الشمالية والقصرين الشمالية) ودوار هيشر، تحت إشراف محمد علي بن زينة وألفة لملوم ومريم عبد الباقي. إصدار إنترناشونال ألرت، تونس، نوفمبر 2020.

مقالات وورقات بحثية

الحاج سالم، جهاد. مسارات التطرف الجهادي وتجارب الإقصاء اليومي عند شباب الأحياء الشعبيّة: محاولة في الفهم. اصدارات مركز دعم التحول الديمقراطي وحقوق الإنسان، تونس 2020. https:// PDF-jihed-haj-salem.pdf/09/daamdth.org/wp-content/uploads/2020

بوسنينة، عادل. بطالة الشباب وإشكالية التشغيل في تونس. مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد 1، أفريل 2021. جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس- الجزائر.

عبد المولى، محمد رامي. الاقتصاد التونسي تحت حكم بن علي: ريوع وزبائنية بمباركة دولية. مجلة المفكرة القانونية، العدد 24، ديسمبر 2021. https://bit.ly/39fQq9s

غربالي، فؤاد. سوسيولوجيا المعاناة من خلال المعيش اليومي لشباب الأحياء الشعبية. مجلة «عمران»، العدد 15 (ربيع 2016). المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات.

لملوم، ألفة. الهوامش رافعة الحراك الاحتجاجي في تونس ألفة لملوم، موقع السفير العربي، 14 / 04 / 2016. https://assafirarabi.com/ar/4905

BLAVIER, Pierre. SOCIOGENÈSE DE LA RÉVOLUTION TUNISIENNE : EXPANSION SCOLAIRE, CHÔMAGE ET INÉGALITÉS RÉGIONALES. Le Seuil | « Actes de la recherche en sciences sociales » 20161/ N° 211212- https://www.cairn.info/revue-actes-de-la-recherche-en-sciences-sociales-20161--page-55.htm

ZAIRI, Mouna. L'ambiance comme enjeu politique. Etude sensible d'un quartier populaire de Tunis lors du processus révolutionnaire. Ambiances, tomorrow. Proceedings of 3rd International Congress on Ambiances. Septembre 2016, Volos, Greece, Sep 2016, Volos, Grèce. p. 725 - 730. hal-01409714

حي سلا القديمة، المغرب

فوزي بوخريص

مقدمة

يتعلق الأمر بدراسة كيفية تبحث في مسارات شباب عاطل عن العمل وتستكشف مسارات البطالة والهشاشة في إطار الحياة اليومية لهؤلاء الشباب. يمكن صياغة سؤال انطلاق الدراسة كما يلي:

كيف يعيش الشباب ويعاني ويتعاطى مع البطالة؟

هذا السؤال يؤول إلى الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هو وقع البطالة على الشباب؟
- ما هي الاستراتيجيات التي يتبعها الشباب لدرء تأثيرات البطالة والهشاشة؟
- ما هي تصوراتهم وتجاربهم حول السياسات العامة في هذا المجال؟
- ما هي تجاربهم في التنظيم الجماعي وفي مقاومة هذا الوضع؟

تسعى الدراسة إلى معالجة هذه الأسئلة الفرعية، عبر أربعة مداخل هي:

- تأثير البطالة على الصحة النفسية وعلى علاقات الشباب بمحيطهم العائلي والمباشر.
- استراتيجيات الشباب في العيش وسبل مواجهتهم للبطالة ومسارات هشاشتهم، من خلال البحث عن عمل ومحاولات تحسين شروط العمل.
- السياسات العمومية المحلية في مسارات الشباب.
- الحراك الاجتماعي والنسيج الجمعياتي وتجارب الشباب.

تكمن أهمية البحث في أنه لا يكتفي فقط باستجلاء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لشباب الاحياء الشعبية، مثل حي المدينة العتيقة بسلا، بل يحاول معاينة تأثير البطالة عليهم واستقراء ما يفعلون في خضم وضعية البطالة. هذا علاوة على رصد الآراء التي يبديها المشاركون والمشاركات من الشباب إزاء السياسات العمومية المعتمدة في مجال التشغيل بدرجة أولى، وفي علاقتها بالسياسات العمومية ذات الصلة (التربية والتكوين)، وبالحياة الحضرية والسكن في الأحياء الشعبية عموما..

بروتوكول البحث

تعتمد الدراسة مقاربة نوعية، تركز على الإنصات الجيد إلى ثلاث مجموعات بؤرية من الشباب والشابات ذوي مواصفات Profils متمايزة، من أجل استكناه تجاربهم وانتظاراهم وتطلعاتهم

والبدائـل الممكنـة التـي يقترحونهـا، ومـن خـلال ذلـك الكشـف عـن تمثـلات ممارسـاتهم وسـجلات تبريرهـم Registres de justification .

انجـزت الدراسـة فـي «المدينـة القديمـة» بسـلا، باعتمـاد أدوات بحـث كيفيـة، وهـي: الملاحظـة الاثنوجرافيـة؛ والمقابلـة الفرديـة؛ وبشـكل خـاص المجموعـات البؤريـة.

الملاحظـة الاثنوجرافيـة: تـم إنجازهـا علـى امتـداد عشـرة أيـام فـي الفتـرة الممتـدة مـن 26 يناير إلـى 4 فبراير 2022، وقـد أتاحـت معرفـة أوليـة حـول عالـم «المدينـة العتيقـة» وأحـوال النـاس فـي شـكلها الأولي والخصائـص العامـة المميـزة للحيـاة هنـاك، كمـا سـمحت لفريـق البحـث بالتواصـل مـع المشـاركين والمشـاركات المفترضيـن للحضـور فـي المجموعـات البؤريـة فيمـا بعـد، هـذا مـع العلـم أن هـذه الاتصـالات واللقـاءات لـم تركـز علـى فئـة الشـباب بشـكل حصـري، بـل همـت أيضـا فئـات أخـرى مـن سـاكنة «المدينـة القديمـة»، مـن النسـاء والرجـال..

المقابـلات الفرديـة: يتعلـق الأمـر بتسـع مقابـلات فرديـة تـم إنجازهـا بشـكل أساسـي مـع شـباب مـن الجنسـين (5 شـابات و4 شـباب)، تتـراوح أعمارهـم مـا بيـن 18 سـنة و30 سـنة. أنجـزت المقابـلات بالمـوازاة مـع الملاحظـة الاثنوجرافيـة، وذلـك مـن أجـل التعـرف الأولـي علـى تجاربهـم مـع وضعيـة البطالـة داخـل المدينـة القديمـة، واستكشـاف آرائهـم حـول السياسـات العموميـة ذات الصلة...وقـد تفاوتـت مـدة إنجـاز كل واحـدة بيـن 45 دقيقـة علـى الأقـل و90 دقيقـة علـى الأكثـر..

وتجـدر الإشـارة إلـى أن إجـراء المقابـلات مـع هـؤلاء الشـباب لـم يكـن يسـتهدف معرفـة أحـوال «الشـباب العاطـل» وكل التفاصيـل ذات الصلـة فقـط، بـل كان يـروم انتقـاء بعـض هـؤلاء الشـباب مـن أجـل المشـاركة فـي المجموعـات البؤريـة التـي تمثـل محـور إجـراء البحـث الميداني الخـاص بهـذه الدراسـة...

المجموعـات البؤريـة: يتعلـق الأمـر بثـلاث مجموعـات بؤريـة، أنجـزت يـوم الأحـد 6 فبرايـر2022، اسـتغرقت كل واحـدة منهـا مـا بيـن 2 إلـى 3 سـاعات. وصـل عـدد المشـاركين فيهـا 25 فـردا (13 شـاب و12 شـابة)، تراوحـت أعمارهـم مـا بيـن 18 سـنة و31 سـنة. وقـد شـملت الفئـات الآتيـة:

المجموعـة البؤريـة الأولـى: تضـم شـبابا ينتمـون إلـى المدينـة العتيقـة بسـلا، عاطلـون عـن العمـل، ويتميـزون بوضـع اجتماعـي واقتصـادي غيـر مسـتقر.

المجموعـة البؤريـة الثانيـة: تتكـون مـن شـابات يعشـن فـي المدينـة العتيقـة بسـلا، عاطـلات عـن العمـل، ويتميـزن بوضـع اجتماعـي واقتصـادي غيـر مسـتقر.

المجموعـة البؤريـة الثالثـة: مختلطـة مـن الشـباب والشـابات، الذيـن يعيشـون جميعـا فـي المدينـة العتيقـة بسـلا، هـم خريجـون عاطلـون عـن العمـل يتميـزون بوضـع اجتماعـي واقتصـادي غير مسـتقر..

اعتمـد إنجـاز المجموعـات البؤريـة علـى دليـل تنشـيط، يتضمـن الأسـئلة الأساسـية الموجهـة لإشـكالية الدراسـة، والتـي تتـوزع إلـى أربـع محـاور رئيسـية، هـي:

الآثار النفسية والاجتماعية للبطالة على الشباب.

استراتيجيات الشباب لمقاومة تأثيرات البطالة والهشاشة.

تصورات الشباب وتجاربهم حيال سياسات التشغيل.

الشباب والفعل الجماعي: أي تجارب المقاومة؟

وتطلبت عملية تنشيط المجموعات البؤرية العمل بمعية فريق من الباحثين المساعدين، من أجل تقاسم الأدوار بين الذي ينشط والذي يلاحظ ويقوم بأخذ النقط والذي يقوم بالتسجيل الصوتي، بعد أخذ موافقة المشاركين[26].

فضاء البحث

فضاء البحث هو حي «المدينة العتيقة» بمدينة سلا، أحد المراكز الحضرية المهمة بجهة الرباط-سلا –القنيطرة.

أنجز هذا البحث الميداني على مدى عشر أيام من الاستكشاف والاستطلاع الأولي للمدينة القديمة بسلا، وهي بطبيعة الحال مدة غير كافية لإجراء استطلاع سوسيولوجي وأنثروبولوجي معمق على غرار ما قام به مثلا الأنثروبولوجي كنيت براون (K. Brown) الذي قضى سنتين من البحث الميداني أو ما يزيد بين ظهراني «أهل سلا»[27] . إلا أن جولاتنا ولقاءتنا مع بعض الأشخاص الموارد personnes ressources داخل «المدينة القديمة» طيلة أيام البحث، مكنتنا من تسجيل جملة من الملاحظات.

إذ، ليس صعبا على الزائر في الحقيقة ألا يعرف «المدينة القديمة». فكما هو حال باقي المدن القديمة بالبلاد، بصرف النظر عن بعض مظاهر الاختلاف، فهناك بعض الخصائص المشتركة؛ لعل من أبرزها السور الذي يحيط بكل جنباتها وواجهاتها، إلى جانب الأبواب بطبيعة الحال. يتعلق الأمر بمداخل للحي، على شكل أبواب كبيرة مثل «باب لمريسة» و«باب الخميس» و«باب سبتة» و«باب بوحاجة» و«باب شعفة»، «باب دار الصناعة»...

من الناحية الجغرافية، تقع» المدينة القديمة» بمقاطعة باب لمريسة بالشمال الغربي لمدينة سلا، يحدها شمالا مقاطعة لعيايدة، وجنوبا نهر أبي رقراق، وشرقا مقاطعتي تابريكت وبطانة، وغربا المحيط الأطلسي.

قبل دخول «المدينة القديمة»، يلاحظ الزائر القادم من مدينة الرباط، مثلا، وهو يعبر قنطرة الحسن الثاني تواجد ساحة كبيرة تمتد من مارينا إلى «باب الخميس»، وهي ساحة تتواجد فيها ملاعب القرب وساحات مهيأة للعب يستفيد منها أبناء المدينة من الجنسين عموما (خصوصا الشباب)، فضلا عن حدائق صغيرة مخضرة وبطبيعة الحال المركز الرقمي للتلقيح الذي ملأ الساحة مؤخرا...

26 يتطلب تنشيط المجموعات البؤرية العمل في إطار فريق، أكثر من أي أداة أخرى. أنظر للمزيد:
Sophie Duchesne et Florence Haegel, L'entretien Collectif, éd Armand Colin, Paris, 2009.

27 Kennth L. Brown « Les gens de Salé. Les Slawis : Traditions et changements », éd Eddif, Casablanca, 2001.

لما نلج المدينة القديمة يتبين أن عالما جديدا في انتظارنا مختلف تماما عن العالم الذي كنا نتحرك فيه قبل لحظات من ولوجنا. كل شيء يتغير: الروائح والأشكال والأصوات وإيقاع الحياة. معروف أن المدينة القديمة، مثل خلية نحل، ما تفتأ تعرف فيها حركة الناس الهدوء، إلا أن إيقاع الحركة يتغير حسب فترات النهار وحسب الأيام كذلك. وشيئا فشيئا يتأكد هذا الانطباع لدينا ويصير أكثر وضوحا، كلما تقدمنا في السير.

وإذ كان واضحا أن هناك خصائص عامة تنسحب على المدينة القديمة، فهذا لا يعني أن هذا المجال متجانس ومتناغم، فهو يجمع ساكنة متمايزة ومتفاوتة على مستوى الدخل والظروف الاقتصادية والاجتماعية، وفي نمط العيش والمعيشة والإقامة ونوع الأنشطة على اختلاف أشكالها (الأنشطة التجارية والحرفية والخدماتية...)، وحتى على مستوى نوع المرافق العمومية المتوفرة...

عرفت المدينة العتيقة، مثلها مثل باقي أحياء مدينة سلا، تدفقات هجروية مكثفة[28]، أدت إلى ارتفاع الساكنة الحضرية، حيث تقطن نسبة % 93,2 من ساكنة سلا، البالغة أزيد من 500.000 نسمة، في الوسط الحضري، وتبلغ الكثافة السكانية بالمدينة 1462 نسمة في الكلم^2. كل ذلك جعل مدينة سلا أول قطب في جهة الرباط-سلا –القنيطرة لاستقبال المهاجرين[29]، القادمين من المدن والقرى الداخلية. وعلى الرغم من أن هؤلاء المهاجرين غادروا مدنهم وقراهم بعد أن ضاقت بهم السبل، وجاؤوا إلى مدينة سلا، وغيرها من المدن الساحلية، يحركهم أمل العثور على عمل لم يعد متاحا بمدنهم وقراهم الداخلية، إلا أنهم اصطدموا عند بلوغهم وجهتهم، بوسط حضري صار أقل فأقل خلقا لفرص العمل، بل وأدى تدفقهم بأعداد كبيرة إلى تفاقم ظاهرة البطالة وانتشار مدن الصفيح والسكن العشوائي وإلى تنامي أنشطة العمل غير المهيكل..

وعلى مستوى واقع البطالة بالمدينة، يلاحظ أنه في الوقت الذي وصل معدل نشاط السكان البالغين 15 سنة فأكثر بالمدينة 39,7 % سنة 2016، سجل معدل البطالة بها أعلى نسبة بالجهة، إذ وصل إلى 13,5 %. وتتميز البطالة بسلا بكونها ظاهرة حضرية، تمس النساء أكثر من الرجال، والشباب الحاصل على الشهادات أكثر من غيره[30]...

وما يعمق الوضعية الصعبة لشباب مدينة سلا، ولأحيائها الشعبية، ومنها «المدينة العتيقة»، هو أن مدينة سلا، تحولت بكل أحيائها، خصوصا الهامشية منها (مثل المدينة العتيقة) إلى «مدينة-مرقد ville-dortoir تابعة للعاصمة الرباط، ومدينة أشبه بمتحف للماضي»[31]، أي مدينة رهينة للماضي أكثر مما هي متطلعة للمستقبل. فالتمثل المهيمن حول المدينة هو أنها مدينة

28 بدأت هذه التدفقات الهجروية مبكرا، وبالضبط منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، عندما بدأت تبرز مدن الواجهة الأطلسية –ومنها مدينة سلا- على حساب شبكة المدن والقرى الداخلية، بفعل اختيارات السياسة الاستعمارية. حيث لم تكن ساكنة الرباط وسلا مجتمعتين، تتجاوز في بداية القرن العشرين 50.000 نسمة، لكنها تضاعفت سنة 1951 أربع مرات، لتبلغ 203.000 نسمة، ولتصل سنة 2019 (أي ستة عقود بعد استقلال البلاد) حوالي 1,6 مليون نسمة. وقد عرفت الزيادة الاجمالية للساكنة الحضرية لمدينة سلا، بفعل الهجرة من المدن والقرى الداخلية، ارتفاعا متسارعا بين سنوات الستينيات وبدايات سنوات الثمانينيات، متجاوزة عتبة % 50 ...
أنظر على سبيل المثال:
Abdellatif Lafrakh, Croissance démographique et dynamique urbaine au Maroc, in Actes du colloque de Rabat, mai 1990, Publication de l'Association internationale des démographes de langue française,1993 p167-176.
Publication de la Direction Régionale du ministère de l'Aménagement du Territoire National, de l'Urbanisme, de l'Habitat et de la Politique de la Ville, Monographie Régionale sur le secteur de l'habitat, REGION DE RABAT-SALE-KENITRA Année 2019.-

29 منوغرافية جهة الرباط سلا القنيطرة، منشورات المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية الرباط سلا القنيطرة، 2017. ص 25.

30 منوغرافية جهة الرباط سلا القنيطرة، نفس المرجع. ص73.

31 Kennth L. Brown « Les gens de Salé. Les Slawis : Traditions et changements », éd Eddif, Casablanca, 2001.

عريقة وجميلة ومحبوبة، لكنها مع ذلك متخلى عنها، على مستوى السياسات العمومية التي تهم التشغيل والتربية والتكوين، لا سيما بالنسبة للشباب، الذي يمثل مستقبل المدينة. هذا الاهمام للمدينة ولأحيائها الشعبية بشكل خاص، أدى إلى تفشي عدد من الظواهر السلبية، لا سيما في صفوف الشباب، وعلى رأسها ظواهر الجريمة والجنوح والعنف.

وباستقراء إحصائيات المندوبية السامية للتخطيط، ووزارة التشغيل والتكوين المهني، ووزارة التعليم - قطاع التعليم العالي وغيرها من الهيئات ذات الصلة بالموضوع، يتضح بأن أكبر مشكل يعترض الشباب بالمغرب يتمثل في الولوج إلى الشغل. ويمثل الشباب من فئة 15-34 سنة 11,7 مليون نسمة، أي 37 بالمائة من مجموع السكان، ويبلغ عدد النشيطين من هذه الفئة العمرية 5.6 ملايين، أي ما يمثل نسبة نشاط تصل إلى 48 %، وهي نسبة أدنى بقليل من المعدل الوطني (49,6 %) [32]..

أما بنية الساكنة النشيطة حسب الشهادات المحصلة، فتبين هيمنة فئة «دون شهادة» على المستوى الوطني، التي تمثل 62,3 % من المجموع، مقابل 25,7% من الذين يتوفرون على شهادة متوسطة، و 12 % من حاملي الشهادات العليا. كما يتبين بأن الشباب أكثر الفئات عرضة للبطالة، فعلى سبيل المثال، بلغ عدد الأشخاص الذين يعانون من البطالة في سنة 2010 مليون شخص، 80 % منهم شباب، تبلغ أعمارهم ما بين 15 و34 سنة (و 39 % من الفئة العمرية 15-24 سنة، و41 % من الفئة العمرية 25 34- سنة) ...

ورغم أن نسبة البطالة قد عرفت تحسنا ملموسا على العموم، إلا أنها تظل مرتفعة بالنسبة إلى كثير من فئات الساكنة، وخصوصا الشباب ما بين 15 و24 سنة في الوسط الحضري. ويعود هذا الوضع في جزء منه إلى ضعف قدرة الاقتصاد الوطني على إحداث مناصب شغل. فعلى سبيل المثال، لم يحدث الاقتصاد الوطني ما بين 1999 و2010 سوى 1,6 مليون منصب شغل إضافي، في حين انتقل تعداد الساكنة النشيطة خلال الفترة ذاتها من 8,8 إلى 10,4 ملايين[33]....

كما يظهر من الإحصائيات الرسمية، بأن الشباب حاملي الشهادات أكثر تضررا من البطالة، ذلك أن نسبة البطالة بين حاملي الشهادات من المستوى العالي مرتفعة بالمقارنة مع نظيرتها لدى غيرهم من الفئات. ولعل الوضعية المفارقة هنا أن منحى النجاة من البطالة يمضي في تناسب عكسي مع منحى مستوى الحصول على شهادات عليا، فالشهادة لا تضمن الشغل، ولا تتيح الحراك الاجتماعي La mobilité sociale كما يتبين من خلال الإحصائيات بأن الشباب أكثر عرضة للبطالة طويلة الأمد، التي صارت خاصية مميزة لسوق الشغل الوطنية، كما المحلية. ومعلوم أنه كلما طالت مدة البطالة يصبح الإدماج أصعب. ولعل هذا ما يفسر أن تشغيل الشباب يظل غير مستقر، ويتميز بهشاشة كبيرة وبانعدام الاستقرار، فالمناصب التي يشغلها الشباب غالبا ما يكون أجرها ضعيفا، وقلما تكون تعاقدية، وقليلا ما تحظى بتغطية من نظام للحماية الاجتماعية: فأكثر من 40% بالمائة من الشباب يمارسون أعمالا غير مؤدى عنها، إذ يشتغلون

32 تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، تشغيل الشباب، 2011، ص 21.
أنظر التقرير على موقع المجلس على الانترنيت: www.ces.ma.

33 نفس المرجع، ص 22.

بالأساس في أنشطة المساعدة العائلية. كما أن أقل من 10 % من الشباب يتمتعون بتغطية صحية، إضافة إلى أن أكثر من 8 أجراء شباب من أصل عشرة (وحوالي نصف حاملي الشهادات العليا) يشتغلون دون أي عقد عمل، كما تبلغ نسبة العمالة الناقصة في صفوف الشباب 17,3 % بالمائة[34].

ولا بد من الإشارة هنا إلى صعوبة الحصول على معطيات إحصائية خاصة بالشباب في مجال دراستنا هذا (حي المدينة العتيقة بسلا) وبوضعيتهم السوسيو-اقتصادية. فرغم أهمية المعطيات الإحصائية المتضمنة في مختلف إحصاءات، وخرائط وبحوث المندوبية السامية للتخطيط، إلا أن ما يتم نشره وتعميمه منها يبقى مركزيا جدا وغير محين، ولا يستحضر المستويات الترابية المحلية(الجهة-الجماعة-المدينة) إلا بشكل محدود وجزئي، إذ يظل أدنى مستوى ترابي، يتم تغطيته إحصائيا، هو الجماعة (الحضرية أو القروية) أو المركز الحضري: يتعلق الأمر في حالتنا هذه بالجماعة الحضرية «باب لمريسة» التي تحتضن حي «المدينة العتيقة». وحتى في هذه الحالة، فما تشير إليه معطيات المؤسسة الاحصائية الوطنية (المندوبية السامية للتخطيط)، بخصوص موضوع دراستنا يظل محدودا وجزئيا، حيث تكشف معطيات الاحصاء العام للسكان والسكنى الأخير(2014)، على سبيل المثال، بأن ساكنة جماعة باب لمريسة تبلغ 174.934 نسمة، يمثل فيها الشباب البالغ من العمر ما بين 20 و29 سنة، نسبة 16,3 % (والشباب البالغ من العمر ما بين 15 و34 سنة، نسبة % 32)، وأن نسبة البطالة في جماعة باب لمريسة تبلغ عموما18,8% ، وأن هذه النسبة تتأرجح بحوالي الضعف بين الرجال(14,6 %) والنساء (27,0 %)..

والواقع أن قلة الأنشطة والخدمات والمؤسسات الكفيلة بتوفير فرص الشغل للشباب، في حي»المدينة القديمة» وبعده عن الأحياء والمدن التي تتوفر على فرص حقيقية للشغل، تلك التي تحتضن مناطق صناعية وإدارية وخدماتية ...الخ، هذا إضافة طبعا إلى ما يتميز به حي المدينة القديمة، على غرار باقي الأحياء الشعبية بسلا (حي سيدى موسى، حي الانبعاث، حي القرية...)، من انتشار لظواهر الجريمة والجنوح والعنف والشعور بغياب الأمن والتحرش بالنسبة للإناث، ظواهر تحولت بفعل تكرارها واستمراريتها، إلى علامات وصم للحي ولساكنته، تؤثر على حظوظ شبابه في ايجاد شغل خارج أسوار حيهم، وتفاقم بالتالي من احتمال ارتمائهم في براثن الجريمة والجنوح والعنف، كما سنرى لاحقا..

وتجدر الإشارة إلى أن كل ما أشرنا إليه بخصوص وضعية الشباب عموما، وشباب المدينة العتيقة بسلا بشكل خاص، ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار مسألة الحركية المجالية mobilité spatiale للساكنة الحضرية اليوم، وخصوصا الشباب. ومعنى ذلك، أنه لا يمكن اعتبار الشباب، شبابا لحيهم أو لجماعتهم الحضرية فقط، وبشكل حصري، فحياتهم اليومية أكبر من أن تحصر بين جنبات مرافق الحي وفضاءاته وساحاته، فهي تجري بفضل حركيتهم المكثفة، في مختلف أحياء وفضاءات المدينة، لا سيما عندما يتعلق الأمر بمدينة ذات نزوع ميتروبولتاني[35]، مثل مدينة الرباط...

34 نفس المرجع، ص 24.

35 Authier Jean-Yves. Le quartier à l›épreuve des « mobilités métapolitaines ». In : Espace, populations, sociétés, 19992-. Les mobilités spatiales. pp. 291306-.

الدراسات السابقة

يبدو البحث العلمي الحقيقي مثل لبنة في بناء. فهو ليس ابدا قفزا في الفراغ، إنه غالبا اعادة صياغة لسؤال طرح من قبل أو استعادة لمعطيات اشكالية مفتوحة، ساهم في بلورتها وتدقيقها عدة باحثين. وبخصوص الدراسات السابقة حول الموضوع، نشير على الخصوص إلى أن الأبحاث حول الشباب، خصوصا تلك التي تنطلق من أبحاث سوسيولوجية ميدانية، قليلة نسبيا. وهذا يؤكد ما سبق أن لاحظه عدد من الباحثين المهتمين بالموضوع، «فوضع الشباب مفارق في مجال الأبحاث السوسيولوجية بالمغرب، فهو كفئة اجتماعية مهيمن في الواقع، لكن يتم التعامل معه كموضوع مهمل في مجال البحث في حقل العلوم الاجتماعية» [36]...

البحث الميداني الأقدم أنجزه أندري أدم André Adam سنة 1962، تناول فيه واقع الشباب المغاربة، وبالتحديد فئة تلاميذ التعليم الاعدادي والثانوي المتراوحة أعمارهم ما بين 15 و22 سنة، في كل من الدار البيضاء، باعتبارها نموذجا للمدينة الحديثة الكبرى بالمغرب، غير مثقلة بالتقاليد، وحيث التطور سريع وعميق، وفي فاس بوصفها نموذج المدينة التقليدية، التي يمكن اتخاذها شاهدا لفهم ما يجري في الدار البيضاء[37]. شمل البحث 418 تلميذا، يتوزعون إلى: 293 تلميذ (184 فتى و109 فتاة) من الدار البيضاء (70 %) و 125 تلميذا (72 فتى و53 فتاة) من فاس (30%). اعتمد البحث تقنية الاستمارة، تتضمن 90 سؤالا، تتوزع إلى محاور تشمل الوضعية الدراسية، والاسرية والاجتماعية للتلاميذ ومسارهم الدراسي ومسألة التوجيه، ثم محور الترفيه والذوق في مجال الموسيقى والسينما والقراءة، ومسألة الزواج وتربية الاطفال وغيرها من الاسئلة، التي تنوعت حسب الجنسين[38]..

قبل بحث أندري أدم، سبق «لروبير مونتين» (Robert Montagne) أن تناول في عشرينيات القرن الماضي، موضوع الشباب في كتابه «ثورة بالمغرب Révolution au Maroc »، والذي حاول فيه فهم السبب الذي يجعل الشباب الحضري بالمغرب ينزع إلى المقاومة العنيدة لمؤسسات الحماية، ويتجه بالمقابل إلى التضامن كليا مع القومية العربية وإلى احتضان أفكارها القادمة من المشرق[39]. هذه الدراسة، هي ترجمة لرغبة المقيم العام ليوطي من أجل استباق الصعوبات التي سيطرحها الشباب المغاربة المتمدرسين[40].

البحث الميداني الموالي حول الشباب أنجزه فريق من الباحثين، تحت إشراف بول باسكون والمكي بن الطاهر سنة 1969، وانصب بشكل أساسي على الشباب القروي ما بين 14 و18 سنة[41]. ويتعلق الأمر بشباب ذكور، وبالأحرى مراهقين ذكور، كما أوضح أصحاب الدراسة. وتمحور البحث حول رصد آراء المبحوثين حول مواضيع عديدة ومتنوعة تشمل: المدرسة، الترفيه، الصداقات، الشغل، الجنسانية، المخزن، المال، الأسرة، المرأة، الماضي والمستقبل.

36 R. Bourqia et autres, Les jeunes et les valeurs religieuses, éd Eddif-Codesria, Casablanca, 2000.p9

37 André Adam, une enquête auprès de la jeunesse musulmane au Maroc, Aix-En –Provence, Annales de la Faculté des Lettres, 1962.p.11

38 Ibid.p7.

39 Robert Montagne, Révolution au Maroc, éd France Empire, Paris, 1953.p301.

40 Hassan Rachik, Jeunesse et changement social, in 50 ans de développement humain, Perspectives 2025, Rapports thématiques, Société, Famille et Jeunesse, pp. 193215-.

41 Paul Pascon et autres, Ce que disent 266 jeunes ruraux, in Bulletin Economique et social du Maroc, Janvier-Juin, 1969, p1144-.

والواقع أنه، باستثناء بحث محمد الطوزي الذي أنجز سنة 1982-1983، والذي هم 400 طالبا، فإن باقي البحوث أنجزت خلال سنوات التسعينيات.. حيث يلاحظ تزايد نسبي للأبحاث الميدانية السوسيولوجية حول الشباب، مع مستهل هذا العقد. ففي سنة 1992، أنجز فريق من الباحثين، يضم عددا من علماء الاجتماع المغاربة مثل رحمة بورقية، والمختار الهراس، وادريس بنسعيد، بحثا ميدانيا كميا هم 500 طالبا بالرباط، وانصب على دراسة علاقات الطلبة بالجامعة، والأسرة والقيم.[42]

وخلال سنوات التسعينيات أنجزت الباحثة «مونية بناني الشرايبي» (Mounia Bennani-Chraibi) بحثا هاما حول الشباب والاحتجاج بالمغرب[43]، يتقاطع إلى حد كبير مع دراستنا هذه. ولا شك أن دراسة الشرايبي التي صدرت سنة 1994، مهمة منهجيا، لاعتمادها بحثا ميدانيا، يوظف الملاحظة بالمشاركة، وحكايات الحياة وتأمل الحياة اليومية، بما يفيد استكشاف تمثلات وسلوكات الشباب حول الموضوع المدروس. والدراسة هامة أيضا بموضوعها المنصب على الشباب الحضري la jeunesse urbaine المتعلم غير المندمج في المجتمع، والذي يجد نفسه في وضعية سوسيو-اقتصادية وثقافية صعبة، لا تتلاءم مع تطلعاته وانتظاراته...

في زمن الدراسة، أي في سنوات التسعينيات، كانت الساكنة الحضرية تقارب عتبة 50 في المائة، أي أن الضغوطات والتوترات بدأت تنتقل إلى المدن. وكما أوضحت البحثة في متن الدراسة، فانطلاقا من الاستقلال، تمكنت الملكية من ضبط الجبال والقرى والتحكم فيها، بينما تميزت المدن بانفلاتها الدوري وتمردها على السلطة، وتحولها إلى مسرح للاحتجاجات والانتفاضات التي يغذيها الشباب: حدث ذلك مثلا في منتصف الستينيات وبداية الثمانينيات، ومستهل التسعينيات..... الخ.

اختيار الشرايبي التركيز على الشباب الحضري المتمدرس، راجع لسببين أساسيين: أولا، لأن الأمر يتعلق بفئة اجتماعية متعلمة، تمكنت من اكتساب رأسمال ثقافي، يتيح لها الولوج إلى الثقافة المكتوبة، ويسمح لها كباحثة جمع المعطيات والتحقق من الفرضيات بيسر أكبر. وثانيا، لأن المشكل المحوري في مغرب ما بعد الاستقلال، هو مشكل اندماج الشباب: مشكل هذه الفئة من الساكنة، التي بقدر ما نشأت تحتضن الحلم الجماعي لما بعد الاستقلال (الحلم بمغرب)، بقدر ما اصطدمت بواقع محبط لتطلعاتها ومخيب لانتظاراتها، بفعل أزمة التعليم، الذي لم يعد يمثل محركا أو مصعدا للارتقاء الاجتماعي، وبسبب ضيق سوق الشغل واتساع دائرة البطالة، التي مست أصحاب الشهادات أكثر مما طالت الساكنة النشيطة غير المتمدرسة...

في سنة 1996، أنجز فريق من الباحثين، تحت إشراف رحمة بورقية ومحمد العيادي والمختار الهراس وحسن رشيق، بحثا ميدانيا حول الممارسات والقيم الدينية لدى الشباب، هم أكثر من 800 طالب وتلميذ في الرباط. وينطلق أصحاب هذا البحث، من أن أهمية تناول موضوع الشباب، وقيمه، ومواقفه وسلوكاته، تجد مبررها في البعد العددي المهم لهذه الفئة الاجتماعية بالمغرب، وفي الدور الذي تلعبه في دينامية التحولات الاجتماعية الجارية، بالنظر إلى أنها

42 Rahma Bourqia, M. El Harras, et D. Bensaid, Jeunesse estudiantine marocaine, valeurs et stratégies, publication de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Rabat, 1995.

43 Mounia Bennani-Chraibi, Soumis et rebelles, les jeunes au Maroc, éd CNRS, Paris, 1994.

حاملـة لمؤشـرات هـذه التحـولات وللانحرافـات التـي تواكبهـا والتـي تختـرق المجتمـع المغربـي[44]...

ولعـل مـن الدراسـات المهمـة حـول الشـباب، الدراسـة التـي أنجزهـا الانثروبولوجـي المغربـي حسـن رشـيق، فـي إطـار تقريـر الخمسـينية (خمسـين سـنة بعـد اسـتقلال البـلاد)، الصـادرة سـنة 2005، والموسـومة ب «الشـباب والتغيـر الاجتماعـي»[45]. وتعـود أهميـة هـذه الدراسـة إلـى أنهـا تعرضـت للإشـكالات النظريـة والابسـتيمولوجية التـي يطرحهـا تنـاول موضـوع الشـباب بالمغـرب، وقدمـت قـراءة فاحصـة للدراسـات السـابقة حـول الموضـوع، وانطلاقـا مـن ذلـك قاربـت التغيـرات المهمـة التـي أثـرت علـى الشـباب المغربـي فـي علاقاتـه مـع الشـغل والسياسـة ومـع الدينـي والأسـرة، مبـرزة أهـم التحـولات الاجتماعيـة التـي جـرت خـلال العقـود الخمسـة الأخيـرة التـي أعقبـت اسـتقلال البـلاد.

وإجمـالا، تتميـز الدراسـات السـابقة حـول موضـوع الشـباب بالمغـرب، بمميـزات أهمهـا: أنهـا انصـب أكثـر علـى الشـباب الحضـري، واهتمـت أكثـر بفئـة التلاميـذ والطلبـة، بينمـا انحصـرت مثـلا الأبحـاث حـول الشـباب القـروي فـي البحـث الـذي أنجـزه باسـكون وفريقـه. كمـا أن مجمـل الأبحـاث المنجـزة اعتمـدت مقاربـة كميـة للموضـوع، ووظفـت تقنيـة الاسـتمارة غالبـا، ولـم تلجـأ لتقنيـة المقابلـة إلا نـادرا. إضافـة إلـى أن أغلـب تلـك الأبحـاث لـم يتنـاول مسـألة دقيقـة، بـل سلسـلة قضايـا، كمـا لـو أن كل بحـث حـول الشـباب يقـدم نفسـه باعتبـاره استكشـافيا. ربمـا ذلـك راجـع بالأسـاس إلـى غيـاب تقليـد عريـق فـي الأبحـاث حـول الشـباب، الأمـر الـذي دفـع الباحثيـن إلـى طـرح أقصـى مـا يمكـن مـن القضايـا[46]. كمـا تميـزت تلـك الأبحـاث أيضـا بتنـاول موضـوع الشـباب فـي العلاقـة مـع مسـائل القيـم والتمثـلات، علـى حسـاب الاهتمـام بوضعيـة الشـباب فـي العلاقـة مـع السياسـات العموميـة الموجهـة إليهـم علـى مسـتوى الشـغل والبطالـة، والتكويـن والصحـة والسـكن...الخ. مـن هنـا أهميـة هـذه الدراسـة التـي تطمـح إلـى تجـاوز حـدود الدراسـات السـابقة.

صلب التقرير

مـن العوائـق النظريـة والإمبريقيـة التـي تواجـه كل مـن يبحـث فـي موضـوع الشـباب، العائـق المرتبـط بمفهـوم «الشـباب» نفسـه، باعتبـاره مقولـة اجتماعيـة غيـر متجانسـة[47]. لكـن علـى العمـوم هنـاك طريقتيـن لتعريـف المفهـوم:

الطريقـة الأولـى تطابـق الشـباب مـع فئـة عمريـة مـا، كمـا هـو الحـال مـع الفئـة العمريـة 15 - 24 سـنة، كمـا نجـد فـي أدبيـات الأمـم المتحـدة (اليونسـكو، FNUAP...) أو فـي وثائـق جامعـة الـدول العربيـة، أو مـع الفئـة العمريـة 18-30 سـنة، كمـا نجـد فـي دراسـات وأبحـاث علميـة[48]، ومنهـا دراسـتنا هـذه، أو حتـى فئـة عمريـة غيرهـا.

44 R. Bourqia et autres, Les jeunes et les valeurs religieuses, éd Eddif-Codesria, op, cit. p11.

45 Hassan Rachik, Jeunesse et changement social, op.cit., pp. 193215-.

46 Ibid, pp. 193215-.

47 Ibid, pp. 193215-.

48 Ibid, pp. 193215-.

أما الطريقة الثانية، فتستند إلى معايير كيفية أو نوعية سوسيو-ثقافية تستحضر أهم الانتقالات من حياة الطفولة والمراهقة إلى حياة الراشد، والتي تشمل أساسا: الزواج وتأسيس أسرة، والولوج إلى سوق الشغل والولوج إلى سكن مستقل[49]. ولو أن الوضع الأنسب يكون بالجمع بين الفئات العمرية ما بين 18 و30 سنة، وبين المعايير الأساسية الثلاثة الموافقة للعتبات الأساسية للولوج إلى حياة راشد. ولو أن تناول موضوع الشباب بكيفية شمولية، يفترض الأخذ بعين الاعتبار كل مظاهر الحياة الاجتماعية لهذه الفئة من الساكنة (الشغل، التمدرس، الهجرة، الامتثالية والانحراف، السياسة العمومة، الأسرة، الدين، أنشطة الترفيه، الخ)، مع الوعي بأهمية الشغل في حياتهم، باعتباره أحد العتبات الأساسية للولوج إلى حياة راشد[50]، بل هو محور الحياة وعصبها الأساس، حيث إن العلاقة مع الشغل تفسر تقريبا كل الظواهر التي تمس حياة الشباب. ذلك أنه حتى وإن اتخذ أشكالا ما تفتأ تتجدد، يظل الشغل دعامة أساسية في الحياة الاجتماعية للشاب، فهو يظل بمثابة «المدمج الكبير» « le grand intégrateur »[51]، لأن المقصي من الشغل، يشعر أنه مقصي من باقي دوائر الحياة الاجتماعية.

إن العلوم الاجتماعية تثبت، من خلال أبحاث ميدانية أن هناك طرقا مختلف ليكون المرء شابا. فهناك شباب بالجمع des jeunesses، أي هناك تفاوتات بين الشباب (تعليمية، وثقافية واقتصادية...) [52]. كما أن الشباب ليس حالة قائمة الذات ونهائية أو مستقرة وإنما صيرورة دينامية ومتنوعة، تعكس مسارات متنوعة ومعقدة للولوج إلى سن الرشد[53]:

ولا شك أنه، من أجل معرفة أعمق وأدق لواقع الشباب اليوم، يتعين تجاوز الاحكام المسبقة والاختزالية السائدة حولهم، الأمر الذي يقتضي منا الاقتراب من معيشهم في تنوع سياقاته، ومعاينة حياتهم اليومية، والانصات إلى لغاتهم الخاصة، وفك شفرات طقوسهم، وفهم نفاذ صبرهم وقلقهم وانتظاراتهم. فواقع الشباب، لا يمكن أن يختزل في شبكات تحليل عامة ومجردة، مهما بدت مغرية[54]، من هنا أهمية دراستنا هذه.

الشباب، بين الانقطاع عن الدراسة وبين العلاقة بالبطالة أو بالعمل الهش

يمكن لنا تقسيم شباب المدينة القديمة الذين شاركوا في البحث من حيث علاقتهم بالشغل والدراسة إلى ثلاث فئات أساسية وهي:

شباب في حالة بطالة ويبحثون عن الشغل.

شباب في حالة بطالة ويبحثون عن الشغل؛ لكن دون التخلي عن حلم متابعة دراستهم.

49 Ibid, pp. 193215-.

50 Ibid, pp. 193215-.

51 صحيح أن الشغل ليس سوى رابطا من الروابط الملموسة التي يقيمها الأفراد مع الآخرين ومع المؤسسات الجماعية. إذ هناك أيضا الروابط الأسرية والروابط مع الأصدقاء والأقران والروابط التي تنسج في إطار تنظيمات المجتمع المدني أو السياسي. إلا أن كل تلك الروابط الاجتماعية المختلفة، تستند هي نفسها وتتأثر بطبيعة الرابط الذي يقيمه الفرد مع سوق الشغل ونظام الحماية الاجتماعية...للمزيد أنظر: Dominique Schnapper, Qu'est-ce que l'intégration ? éd Gallimard, Paris, 2007, p 138 -.

52 Michel Fize, Le deuxième homme, réflexions sur la jeunesse et l'inégalité entre génération, éd Presse de la Renaissance, Paris, 2002. p118.

53 François Dubet « Des jeunesses et des sociologies. Le cas Français » in Sociologie et sociétés, vol. 28, n° 1, 1996, p. 2335-.

54 Ouvrage collectif, Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen : loisirs, cultures et politiques, sous la direction de Laurent Bonnefoy et Myriam Catusse, éd La Découverte, Paris, 2013, p15.

شباب يعملون لكنهم غير راضين عن ظروف شغلهم. إنها الفئة التي تقدم نفسها باعتبارها «تشتغل ولا تشتغل»، أي أن ما تقوم به لا يرقى في نظرها إلى مستوى العمل.

يعبر المبحوثون عن هذه الوضعية بكيفيات مختلفة، لكن تلتقي جميعها في رسم معالم وضعيتهم بوصفها وضعية صعبة التحديد، تجمع بين الشغل وانعدام الشغل، وضعية هجينة ازدادت صعوبة وتعقدا بفعل جائحة كوفيد 19:

فكما ورد على لسان أحد المبحوثين:

«أنا خريج المركز النموذجي للتكوين المسرحي. يمكن أن أقول وأتفق مع الأخت حول أني أشتغل ولا أشتغل، لأن سوق التنشيط التربوي مضطربة بالأخص في هذه الفترة ديال كوفيد 19.»

يؤكد هذا الكلام، ما لاحظته عدد من التقارير حول وضعية الشباب بالمغرب، آخرها تقرير «النموذج التنموي الجديد» الذي أشار إلى أن «الشباب هم الفئة الأكثر عرضة لتبعات أزمة كوفيد19-، لا سيما من حيث صعوبة الولوج إلى سوق الشغل»[55].

يقول مبحوث آخر مؤكدا ما سبق:

«أنا عندي الإجازة في القانون الخاص، والآن أشتغل ولا أشتغل كمربي متخصص في مجال الإعاقة...»

ويضيف مبحوث آخر:

«أنا على نفسي لا أستطيع أن أقول أنني شخص يشتغل. لماذا؟ لأن الاشتغال يعني أن يكون هناك انتظام...ما أمارسه يصعب أن نقول عليه عمل بقدر ما هو «نُتَافَات أو بريكولات « تكون بين الفينة والأخرى سواء مع مدارس خاصة أو مع المخيمات الصيفية بين الفينة والأخرى. بالتالي ليس لدي وضع قار من حيث العمل ومن حيث الدخل.. فما أقوم به لا أستطيع أن أطلق عليه عملا، فهو فقط «بريكولات « وأقل من ذلك بكثير»...

هذا التوصيف للشغل الذي تكرر على لسان أكثر من مبحوث راجع إلى طبيعته كشغل بعيد عن أن يكون كريما ومنصفا: شغل غير قار، ومصدر توتر وقلق وعذاب أكثر مما هو فرصة لإثبات الذات وللشعور بالأمان، وللحصول على مدخول يحفظ الكرامة ويضمن الحقوق.

الانقطاع عن الدراسة وولوج عالم الشغل

على غرار كل شباب العالم، كان للشباب المبحوثين، منذ طفولتهم، مجموعة من الأحلام التي تمنوا في صغرهم بلوغها وتحقيقها حينما يصيروا كبارا. ولا تخرج تلك الأحلام عن تحقيق غايات الاندماج الاجتماعي والمهني، والارتقاء الاجتماعي، بشكل يتيح لكل واحد منهم اثبات ذاته وتعزيز استقلاليته المادية. فحلم ممارسة مهن الطب، أو الهندسة، أو المحاماة، أو غيرها، ليس سوى

55 تقرير النموذج التنموي الجديد، تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع. التقرير العام، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي. أبريل 2021، ص108.

الحلم بركوب المصعد الاجتماعي الذي تمثله المدرسة للانفلات من الظروف الأسرية التي نشأ فيها.

لكن النمطية التي تميز عادة مثل هذه الأحلام بمهن المستقبل، والتي تنصب أساسا على المهن ذات القيمة الاعتبارية والتي تحظى أكثر بالاعتراف الاجتماعي والتي تحقق مردودية مادية أكبر، لا تنفي مع ذلك وجود مساحات للشغف وللحرية وللميول الابداعية في عدد من تلك الأحلام، إذ يقول بعض المبحوثين في هذا الصدد:

«كان يستهويني كل ما هو مرتبط بالمعلوميات، وأحلم بعد الحصول على الباكالوريا أن ألج مدرسة وأتعلم هذا بشكل جيد... على سبيل المثال أن أكون كأمين راغب[56]... »

«في الصغر كنت ألعب الكرة كثيرا كباقي أبناء المدينة العتيقة وبالتالي كنت أحلم أن أكون لاعبا محترفا، في ناد كبير».

«أنا كنت منذ الصغر أحلم أن أكون رساما».

وعلى الرغم من أن عددا من المبحوثين ما زال يتمسك بحلم الطفولة ومتشبث بطموح بلوغ المهنة-الحلم، إلا أنهم مدركين تماما بأن الأمر صار صعب التحقيق، لا سيما بعد أن اختاروا مسارات تعليمية مغايرة، أو غادروا الدراسة تماما، في ظل ظروفهم الأسرية الصعبة، التي تحول في الغالب دون تغطية مصاريف ومتطلبات الدراسة، ودون مواكبة ودعم المسار الدراسي للتلميذ أو الطالب.

هذ ما نستشفه مثلا من كلام المبحوثين:

« انقطعت عن الدراسة بسبب ظروفنا المادية، أبي توفي وأنا صغيرة، كانت أمي تشتغل في حمام تقليدي لكنها توقفت بسبب مرضها، الان أشتغل عاملة نظافة مع شركة، أقوم بتنظيف المكاتب ببعض الادارات بالرباط ».

«ومن بين الأشياء التي جعلتني أتعثر في الدراسة، غياب التوجيه والمواكبة، والإحساس بالضياع الناجم عن ذلك، والذي عمقته نوعية التكوينات التي نجد أن معظمها مضيعة للوقت».

وفي هذا الصدد، اعتبر عدد من المبحوثين الحصول على شغل أهم من الحصول على شهادة، فهؤلاء الشباب مستعدين للتخلي عن مواصلة دراساتهم العليا إذا سنحت لهم فرصة للحصول على شغل أو على الأقل المزاوجة بين العمل والدراسة، لا سيما وأن الشهادات العليا بدأت تفقد قيمتها في سوق الشغل، فهي ليست ضمانة للحصول على شغل، خصوصا شهادات المؤسسات الجامعية المفتوحة الولوج، التي يتردد عليها غالبية المبحوثين، المنحدرين من أوساط أسرية محدودة الدخل...

56 مدون ومؤثر مغربي متخصص في المعلوميات والثقافة الرقمية.

وتكشف أجوبة المبحوثين بأن ايجاد عمل مناسب، يواجه بجملة من الصعوبات، منها ما يرتبط بغياب فرص شغل كافية لاستيعاب العدد الهائل للخريجين، وما يتعلق بصعوبة الاستجابة للشروط المطلوبة للحصول على عمل (التوفر على تجربة، تسقيف سن الولوج إلى بعض الوظائف والمهن...الخ)، وما يرتبط بتداعيات أزمة كورونا وما أفرزته من تقليص لعدد فرص الشغل، وما يتصل بالزبونية والمحسوبية وغياب الانصاف وتكافؤ الفرص، علاوة على ما يتعلق بمحل السكن في المدينة القديمة نفسه، فقد صرح المشاركون والمشاركات في البحث الميداني بأن السكن في المدينة القديمة يشكل عائقا فعليا في إيجاد العمل والحصول على وظيفة. ويعزى ذلك بالأساس إلى ما تعرفه «المدينة القديمة»، من قلة الأنشطة والخدمات والمؤسسات الكفيلة بتوفير فرص الشغل للشباب، و البعد عن الأحياء والمدن التي تتوفر على فرص حقيقية للشغل لاحتضانها لمناطق صناعية وإدارية وخدماتية ...الخ، هذا إضافة طبعا إلى ما يتميز به حي المدينة القديمة، على غرار باقي الأحياء الشعبية بسلا (حي سيدى موسى، حي الانبعاث، حي القرية...)، من انتشار لظواهر الجريمة والجنوح و العنف و الشعور بغياب الأمن (خصوصا في الليل) والتحرش بالنسبة للإناث، ظواهر تحولت بفعل تكرارها واستمراريتها، إلى علامات وصم للحي ولساكنته، تؤثر على حظوظ شبابه في ايجاد شغل خارج أسوار حيهم.

وفي هذا الصدد، نلفت الانتباه إلى غياب دراسات علمية ميدانية حول موضوع انتشار ظواهر الجريمة والجنوح والعنف في الأحياء الشعبية لمدينة سلا، ومنها حي»المدينة القديمة»، سواء تلك التي تتناول الظاهرة وتسعى لفهمها وتفسيرها، أو تلك التي تحاول إدراك هذه الظواهر داخل المجتمع، من خلال ما تتسبب فيه من شعور بانعدام الأمن[57]. لكن هذا لا يمنع من الاشارة إلى أن موضوع الشعور بانعدام الأمن الذي كشف عنه المبحوثون والمبحوثات، والذي نجده لدى ساكنة مدينة سلا عموما، وبشكل خاص لدى ساكنة أحيائها الشعبية، يحضر بقوة في وسائل الإعلام السمعية البصرية والمكتوبة، وفي الاعلام الالكتروني والشبكات الاجتماعية، خصوصا عقب حدوث جرائم مروعة[58].

فكما ورد على لسان إحدى المبحوثات

«نعم يشكل محل السكن عائقا...فقد استطعت استكمال تكويني في مجال الخياطة بصعوبة بالغة، بفعل التحرش اليومي ومخاطر التعرض للاعتداء والسرقة بالسلاح الأبيض في دروب الحي، حيث يتواجد باستمرار عدد كبير من الشباب المدمنين والمتعاطين للمخدرات وما إلى ذلك...في ظل هذه التهديدات المستمرة، يلزمني من أجل الخروج إلى العمل، الاستعانة بأخي أو أبي أو أي قريب ذكر، لمرافقتي عند الخروج من المنزل إلى مدخل الحي أو في مسار العودة إلى المنزل».

57 Marc Penouil et Gabriel Poulalion, Sociologie de la criminalité, in sociologie pour les sciences sociales, éd l'Harmattan, Paris, 2008, p 234.

58 نورد على سبيل المثال هنا، بعض التغطيات الصحفية للموضوع، والتي تمزج بين المكتوب والصور والسمعي البصري (فيديوهات). والملاحظ أن كل هذه المتابعات الصحفية تربط بين تفشي سلوكيات الاجرام والعنف والتعاطي للمخدرات وبين بطالة الشباب في الاحياء الشعبية لمدينة سلا:

« تفشي الجريمة يرعب سكان مدينة سلا المغربية» جريدة العربي الجديد، 25 سبتمبر 2018 - أنظر : www.alaraby.co.uk

«مسيرة حاشدة تنتفض ضد الإجرام بسلا.. والساكنة تنشد تدخل الملك» الأحد 23 شتنبر 2018 -أنظر: www.hespress.com.

والواقع أن بحثا وطنيا للمجلس الوطني للشباب والمستقبل حول بطالة الشباب حاملي الشهادات، سبق وأن أبرز في بداية التسعينيات، بأن التوزيع الجغرافي لأصحاب الشهادات المعطلين، يكشف عن نمط آخر من التمييز. فاللامساواة أمام الشغل، تتعمق باللامساواة المكانية. فالشباب الذين شهادات، ثم لأنهم يقطنون أحياء ومناطق هامشية.

وكما أكد مبحوث آخر:

«السكن في المدينة القديمة ليس هو السكن في أحياء «أكدال» أو «حي الرياض» في وسط العاصمة الرباط...أنا مثلا كنت أحتاج خلال دراساتي، من أجل التنقل إلى الجامعة إلى ساعة وربع. واليوم ما يزال محل السكن والإقامة يشكل عائقا، بفعل البعد عن الشركات ومختلف أماكن العمل، والبعد عن كل شيء...»

رحلة البحث عن الشغل

بناء على ما سبق، نجد أن الشباب في سعي دائم للحصول على الشغل، نظرا لظروفهم الاجتماعية والاقتصادية الصعبة ولظروف أسرهم. وهذا ينطبق حتى على الذين يتابعون دراستهم. فالطلبة المنحدرين من أسر فقيرة أو حتى من أسر متوسطة أحيانا، يعجزون، في ظل عدم تعميم المنحة على كل الطلبة، عن توفير متطلبات الدراسة (تكاليف التنقل، وباقي مستلزمات الدراسة من كتب ودفاتر...الخ)، لهذا يجدون أنفسهم مضطرين للعمل بالموازاة مع دراستهم. لكن محاولات بحثهم عن الشغل، لا تكلل بالنجاح، نظرا لوجود مجموعة من الإكراهات والعوائق التي من بينها:

- أن سوق الشغل يتسم بالزبونية المحسوبية؛

- لا تتوافق سوق الشغل مع ما تم تعلمه وتم التكوين فيه؛

بالرغم من هذا إلا أن الشباب في سعي دائما للحصول على عمل، حتى لو كان خارج المجال الترابي لمدينة سلا؛

بالإضافة إلى ذلك فمعظم الشباب لا ينتظر فرصة للعمل في التخصص الذي تلقى فيه التكوين والدراسة فيه.

فكم يؤكد المستجوبون:

«أغلبية الوظائف التي توفرها الدولة لا تناسب الشواهد الدراسية ، أما في القطاع الخاص، فإن أغلبية الأمور التي أقوم بها لا علاقة لها بمجال التكوين الذي تلقيته،... فإنا لا أشتغل في المجال القانوني رغم أن مجال دراستي هو القانون و بالضبط تحليل السياسات العمومية أو النظم السياسية. هذا مجالي ومجال دراستي، ولكن في المجال العملي لا أشتغل في هذه المجالات، وإنما أشتغل في المجال التربوي أو في المجال الفني، الذي سمح لي باكتساب

نـزر قليـل مـن الدخـل»...

«أريـد أن أعمـل لكـن فـي نفـس الوقـت لا يمكـن أن أقبـل بـأي عمـل، يجـب أن يكـون عمـلا مناسـبا، سـبق وقمـت بتدريـب فـي شـركة كان مـن الممكـن أن أعمـل بهـا لكـن وجـدت ان العمـل لا يناسـبني، فهـو مرهـق، العمـل يمتـد مـن التاسـعة صباحـا إلـى التاسـعة مسـاء. كيـف يمكـن العيـش بهـذه الطريقـة؟ ليـس لـدي فكـرة مثاليـة عـن العمـل، لكـن العمـل مـع الدولـة يقيـدك، فـي العمـل الخـاص تكـون لديـك الحريـة أكثـر، ففـي الخـاص مـن الممكـن أن تغيـر العمـل، وتتعلـم أشـياء جديـدة وتجـارب جديـدة، بينمـا فـي الوظيفـة مـع الدولـة تجـد نفسـك سـنين فـي نفـس العمـل.»

يتضـح مـن خـلال هـذه الأجوبـة حـدوث تغييـر فـي تمثـل بعـض العاطليـن لوضعيتهـم ولانتظاراتهـم، مـن خـلال اسـتعدادهم للتشـغيل فـي القطـاع الخـاص، بـل وتفضيلهـم احيانـا للشـغل الذاتـي. ففـي البحـث الوطنـي الـذي أنجـزه المجلـس الوطنـي للشـباب والمسـتقبل فـي فبراير-مـارس 1991، حـول بطالـة الشـباب حاملـي الشـهادات، اتضـح بـأن 87 % مـن الشـباب أصحـاب الشـهادات العاطليـن كانـوا يفضلـون العمـل بالقطـاع العـام، أي يفضلـون العمـل فـي سـلك الوظيفـة العموميـة، الـذي يوفـر إلـى حـد مـا عمـلا محميـا. وكمـا أكـد الباحـث حسـن رشـيق، فهـذا الموقـف قـد يبـدو ظاهريـا محافظـا فـي مجتمـع شـكلت الوظيفـة العموميـة لزمـن طويـل منفـذ التشـغيل الآمـن الوحيـد، غيـر أنـه مبـرر، إن لـم نقـل عقلانيـا، إذا أخذنـا بعيـن الاعتبـار واقـع القطـاع الخـاص بالمغـرب، كقطـاع هـش وغيـر مضمـون، قياسـا إلـى العمـل فـي الوظيفـة العموميـة المحمـي والآمـن نسـبيا[59].

ولهـذا كان «الحـق فـي الشـغل» يحيـل « كمطلـب أساسـي لـدى أصحـاب الشـهادات العاطليـن، إلـى الحـق فـي الشـغل فـي الوظيفـة العموميـة. فسـوق الشـغل بالمغـرب يتميـز بارتفـاع نسـبة العمـل غيـر المهيـكل وبحجـم محـدود لمناصـب الشـغل فـي القطـاع الخـاص مقابـل ضعـف اسـتفادة الشـغيلة مـن الحمايـة الاجتماعيـة، كل ذلـك جعـل مطالـب العاطليـن أصحـاب الشـهادات يركـز علـى الخـروج مـن وضعيـة البطالـة عبـر الادمـاج فـي الوظيفـة العموميـة، دون أن تتعـدى ذلـك مثـلا إلـى المطالبـة بالإدمـاج فـي مقـاولات القطـاع الخـاص، أو حتـى المطالبـة بتحسـين شـروط وضعهـم كعاطليـن، عبـر تخصيـص إعانـات اجتماعيـة[60]....

غيـر أنـه، مـع اسـتمرار البطالـة، بـدأ الشـباب فـي تغييـر مواقفهـم بالانخـراط أكثـر فأكثـر فـي مبـادرات خاصـة أو بالعمـل فـي القطـاع الخـاص[61]...

التلاؤم ما بين التعلمات ومتطلبات سوق الشغل

كان تكويـن الشـاب يتـم تقليديـا داخـل الأسـرة. عندمـا كانـت المهـارات المطلوبـة فـي المجتمـع مرتبطـة بالأنشـطة الفلاحيـة والرعويـة والحرفيـة وبأنشـطة الاقتصـاد المنزلـي. لكـن مـع تعميـم التعليـم، صـارت المدرسـة مـكان اكتسـاب المعـارف والكفايـات العامـة أو المتخصصـة التـي ينبغـي أن تـؤدي

59 HASSAN RACHIK, Jeunesse et changement social, op, cit, pp. 193215-.

60 Frédéric Vairel, Le Mouvement du 20 février : vitalité et limites des protestations marocaines, in Ouvrage Collectif, Soulèvements et recompositions politiques dans le monde arabe, Sous la direction de Michel Camau et Frédéric Vairel, éd Les Presses de l'Université de Montréal, 2014.p283.

61 HASSAN RACHIK, Jeunesse et changement social, op, cit, pp. 193215-.

إلى الشغل[62]. لكن عندما سألنا المبحوثين عن مسألة التلاؤم بين ما يمكن للشاب تلقيه من المدرسة، وبين ما يتطلبه سوق الشغل من مهارات وقدرات، واجهنا الرد الحاسم التالي: «لا علاقة!»، الذي تردد على أكثر من لسان.

والواقع أن عدم التلاؤم بين التعليم وسوق الشغل، ليس وليد اليوم، ولا حتى نتاج سياسات التقويم الهيكلي في بدايات الثمانينيات، فقد سبق للباحث جون واتربوري أن أشار سنة 1970، إلى أنه لا الحكومة ولا القطاع الخاص يمكنهما لزمن طويل استيعاب أفواج الشباب التي بدأت تشكل «بروليتاريا مثقفة un prolétariat intellectuel»[63]، مقطوعة الصلة بما يتطلبه سوق الشغل من مؤهلات ومهارات. اليوم، بعد مرور عقود على ذلك التاريخ، ما تزال مسألة بطالة حاملي الشهادات (الحاصلين على الباكالوريا أو دبلوم تعليم عال) مطروحة بحدة. إذ يتبين في هذا الجانب المتعلق بالعلاقة بين ما يتم تلقيه في المدرسة أو الجامعة وبين متطلبات واحتياجات سوق الشغل بأن أغلب الأجوبة تسير في اتجاه تأكيد عدم التلاؤم. فقد كشف المبحوثون عن الهوة المتواصلة بين عالم التكوين والعالم الشغل، وعن النقص الحاصل عندهم في مجال التكوين، خصوصا ما يتعلق بالمهارات اللغوية وتقنيات التعبير والتواصل، والثقافة المقاولاتية، والمهارات المعلوماتية...الخ، الضرورية للولوج إلى سوق الشغل. والمشكل هنا في الواقع مضاعف، إذ لا يقف الأمر عند عدم تدريس ما يتطلبه سوق الشغل من مهارات وقدرات، بل يشمل أيضا تدريس أشياء لا يحتاجها الشاب في المستقبل، لا في العمل أو في المجتمع، بطريقة تقليدية، ونظرية، ولا تعرف أي تحيين وتجديد.

وكما يقول أحد المستجوبين:

> «المشكل الذي يقع هو أنك عندما تخرج إلى سوق العمل، فكن على يقين أنه لا بد من البدء من جديد.. هذا معروف ومعلوم لدى الجميع... يوم كنت أقوم بالتدريب وإعداد تقرير التخرج، قالوا لنا: أنسوا كل ما درستم وتعلمتم، وأن ما نحن مقبلون عليه هو تكوين آخر، وهذا هو التكوين الحقيقي».

يؤكد ذلك مستجوب آخر، قائلا:

> «ما تلقينه في الجامعة لا نحتاجه...كما أننا ندرس أشياء لا نحتاجها في العمل...»

هذا علاوة طبعا على غياب التوجيه والمواكبة المناسبين لمسار التمدرس، وكذا غياب تكوينات تتماشى مع المواهب والميولات التي يمتلكونهما منذ الصغر كالرسم والرياضة.

فرغم أن هناك اقرار من قبل المسؤولين وتأكيد من طرف الباحثين، على حجم الجهود المبذولة للنهوض بالنظام التعليمي بالمغرب، والذي جعلت منه نظاما تعليميا جد مكلف، إذ يمثل % 23 من ميزانية الدولة و % 5,4 من الناتج الداخلي الخام [64]، يتميز هذا النظام التعليمي، حسب ما

62 Ibid, pp. 193215-.

63 Waterbury, John, Le commandeur des croyants, La monarchie marocaine et son élite, Paris, Presses Universitaires Françaises, 1975, pp. 345347-.

64 Youssef Courbage et Emmanuel Todd, Révolution culturelle au Maroc : le sens d'une transition démographique, in Fondation Res Publica I vendredi 23 février 2007.

كشفت عنه الاحصائيات الرسمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في السنوات الأخيرة، بضعف المردودية:

سواء المردودية الداخلية، إذ بلغ عدد المنقطعين عن الدراسة قبل الحصول على الباكالوريا سنة 2019-2020 حوالي 304.545 منقطعا، كما وصلت نسبة الهدر أو التسرب déperdition[65] في التعليم الجامعي 47,2% ؛

أو سواء المردودية الخارجية بنسبة بطالة في صفوف خريجي المؤسسات الجامعية ذات الولوج المفتوح (كليات الآداب والحقوق...) تصل إلى 25% ؛

والملاحظ أن عدم استكمال المسار الدراسي أو الجامعي، يدفع الشاب المنقطع عن الدراسة إلى قبول أي عمل دون تمييز، بل الأكثر من ذلك يجعله عرضة لتأنيب الضمير، ولمشاعر الندم والحسرة، فيعتبر نفسه المسؤول عن الوضع الذي هو عليه، كما يظهر من خلال قول المبحوث التالي:

«أرى أن عملي مناسب لأن مستواي الدراسي لا يسمح لي بالعمل في مجال آخر...لو أمكن لي الحصول على الباكلوريا لسارت الأمور بشكل أفضل مما هي عليه الآن، وبغض النظر عن العمل كنت سأكون أفضل من الآن...كنت سأنمي عقلي...الآن أشعر بالندم لأني لم أكمل دراستي..».

تمثلات الشباب للبطالة ولوضعية الهشاشة

كشفت أجوبة الشباب والشابات المشاركين في البحث عن تمثلهم للبطالة ولوضعية الهشاشة المميزة لهم. فالبطالة بالنسبة لهم هي وضعية ماسة بكرامة الانسان وبحقه الدستوري في الشغل، بل الأكثر من ذلك، هي ضمنيا وضعية اقصاء من باقي دوائر الحياة الاجتماعية، على اعتبار أن روابط الفرد الاجتماعية المختلفة، تعتمد بشكل وثيق وتتأثر بطبيعة الرابط الذي يقيمه الفرد مع سوق الشغل ومع المكانة التي يشغلها فيه. كما أن البطالة في نظرهم «حكرة» بفعل العجز أو القصور الذي يشعر به المرء في مثل هذه الوضعية.

- فكما جاء على لسان بعض المبحوثين:

« أنا لا أرى نفسي عاطلة، فأنا حديثة العهد بهذا الوضع، وسأحتاج للوقت لكي أشعر ربما بضرورة البحث عن عمل. لكن عموما أرى أن البطالة أمر سلبي، يجعل منك عالة على الاسرة خاصة عندما تكون الاسرة ضعيفة اقتصاديا، وتحتاج إليك لمساعدتها على مواجهة متطلبات الحياة».

«البطالة تمثل لي «حكرة»، عندما أعجز عن توفير ما أدبر به أبسط احتياجاتي. وحتى عندما بدأت أعمل كعاملة نظافة، دخلي لا يكفي إلا لأبسط ضروريات الحياة ...وشروط عملي قاسية ومهينة...»

65 يقصد بالهدر أو التسرب الجامعي هنا عدم مغادرة الدراسة الجامعية قبل الحصول على أي شهادة.
- Selon l'UNESCO la déperdition scolaire est le fait pour les enfants en âge de scolarité de ne pas aller à l'école et qu'ils la quittent de gré ou de force sans pouvoir achever la phase scolaire qu'ils suivent avec succès

تتعـدد طبعـا الأوصـاف التـي تُحـدد بهـا البطالـة مـن طـرف المشـاركين فـي البحـث، والتـي تحـاول جميعـا أن تمسـك بالجانـب المظلـم فـي هـذه الوضعيـة «الكابـوس»، و»المصيبـة»، و»الوحـش»، ... إلـخ. ويختلـف طبعـا تمثـل المبحوثيـن للبطالـة، تبعـا لعـدد مـن المحـددات أهمهـا: طـول الفتـرة التـي قضاهـا الشـاب فـي البطالـة، والوضعيـة السوسـيو-اقتصادية للأسـرة، والقـدرة علـى الانخـراط فـي أنشـطة بديلـة مـدرة للدخـل أو حتـى ذات أهميـة معنويـة بالنسـبة للشـاب...

إلا أن الملاحـظ، أن هنـاك فئـة أخـرى مـن الشـباب، وعلـى الرغـم مـن أنهـم ليسـوا عاطليـن عـن العمـل، إلا أن وضعيتهـم لا تختلـف كثيـرا عـن وضعيـة البطالـة، بحكـم مزاولتهـم لأشـكل شـغل هشـة، هـي أقـرب إلـى أشـكال البطالـة الجزئيـة منهـا إلـى الشـغل بالمعنـى الحقيقـي للكلمـة. يضطـر الشـاب أحيانـا للقبـول بهـذه الأشـكال مـن البطالـة المقنعـة مـن أجـل الحصـول علـى دخـل مهمـا كان بسـيطا، يبـدو أفضـل مـن لا شـيء، أو أحيانـا مـن أجـل اثبـات الـذات وتحقيـق قـدر مـن الاسـتقلالية، فقـد كشـفت أجوبـة بعـض المسـتجوبات عـن قبولهـن أحيانـا العمـل بأجـور هزيلـة وفـي شـروط غيـر مقبولـة مـن أجـل التحـرر مـن سـجن البيـت. فالشـغل رغـم هشاشـته يشـعرهن بـأن لهـن وجـود، كمـا يتيـح لهـن ربـط الاتصـال بالعالـم الخارجـي. هـذا علـى الرغـم مـن أن بعـض الشـباب العاطـل يـرى فـي ولـوج المـرأة إلـى سـوق الشـغل سـببا لارتفـاع نسـبة البطالـة فـي صفوفهـم. هـذا النمـط مـن التمثـل، يبيـن بـأن المـرأة، شـابة كانـت أو راشـدة، لا تناضـل فقـط مـن أجـل الشـغل، وإنمـا أيضـا ضـد ممارسـات ذكوريـة تمييزيـة لـدى أولئـك الذيـن يقتسـمون معهـا نفـس الوضعيـة[66]...

وأحيانـا أخـرى يقبـل الشـاب العاطـل بالعمـل الهـش، لانعـدام أي خيـار آخـر أمامـه، كمـا تؤكـد المسـتجوبة فـي جوابهـا التالـي:

« لا يمكـن أن أتصـور نفسـي بـدون عمـل، رغـم كل مـا أتعـرض لـه مـن إهانـة وقسـوة ومـا أعيشـه مـن معانـاة يوميـة. فأبـي متوفـى، وأمـي مريضـة، وكل إخوتـي عاطليـن عـن العمـل.... نتطلـع جميعـا لمـا أحصـل عليـه فـي آخـر كل شـهر، رغـم أنـه لا يتجـاوز 1300 درهـم (أقـل مـن الحـد الأدنـى للأجـر بكثيـر) ...»

يؤكـد ذلـك مـا ذهبـت إليـه عـدد مـن الأبحـاث، بخصـوص تحـول نظـام الشـغل، الـذي مـن أبـرز سـماته، أن الحـدود بيـن الشـغل واللا-شـغل(البطالة) صـارت متقلبـة ومتداخلـة وغيـر واضحـة، بفعـل انتشـار وتزايـد أوضـاع الشـغل الهـش، مثـل العمـل المؤقـت، والموسـمي، والشـغل لـدوام جزئـي، والتـي تُجَسِّـدُ بشـكل ملمـوس مـا يسـمى ب «مرونـة» سـوق الشـغل[67]. وكمـا أبـرز أولريـش بيك،»فمرونـة الشـغل» التـي تقـدم ذاتهـا باعتبارهـا تعبيـرا عـن عقلنـة نظـام الشـغل، مسـت زمـن الشـغل (مـن شـغل لـدوام كامـل à plein temps إلـى شـغل لـدوام جزئـي à temps partiels)، وعممـت أشـكال البطالـة الجزئيـة، كمـا مسـت عقـد العمـل (مـن عقـد غيـر محـدد المـدة إلـى عقـد محـدد المـدة أو عقـد عبـر واسـطة شـركات المناولـة sous-traitance)، ومسـت مـكان العمـل (بترحيـل الخدمـات وتعويـض

66 HASSAN RACHIK, Jeunesse et changement social, op, cit, pp. 193215-.

67 Mme Diane-Gabrielle Tremblay, économiste "Chômage, flexibilité et précarité d'emploi : aspects sociaux". In Ouvrage Collectif, Traité des problèmes sociaux, sous la direction de Fernand Dumont et autres, éd de L'Institut québécois de recherche sur la culture, Montréal, 1994, pp. 623652-.

المقاولـة أو المؤسسـة المشـغلة المرئيـة الممركـزة فـي مـكان مـا، بتنظيـم لا مرئـي للشـغل) [68]...

فـي ظـل هـذه الشـروط المحـددة التـي تسـم وضعيـة الشـباب والشـابات المشـاركين فـي المجموعـات البؤريـة، لا نتحـدث عـن هشاشـة فـي ذاتهـا، بقـدر مـا نتحـدث عـن شـباب وشـابات فـي وضعيـة هشاشة. ولعـل أهـم محـدد نسـتند إليـه لتحديـد هشاشـتهم هـو مـورد العيـش (الشـغل ومـا يوفـره مـن دخـل)، فـي عالـم صـار قائمـا علـى الاسـتهلاك أساسـا. فالشـباب والشـابات فـي وضعيـة هشاشـة، يجـدون أنفسـهم فـي مواجهـة مشـكل الولـوج إلـى الشـغل، وتحقيـق اسـتقلاليتهم الماليـة. صحيـح أن البعـد الاقتصـادي للهشاشـة لـه أهميـة كبيـرة، بالنظـر الـى أن كل هشاشـة اقتصاديـة لهـا فـرص كبيـرة بالفعـل لتترجـم علـى شـكل صعوبـات اجتماعيـة.

لكـن يبقـى أن هنـاك أبعـاد أخـرى ممكنـة للهشاشـة، تجعـل مبدئيـا كل أفـراد مجتمـع مـا عرضـة للمـرور بمراحـل أو فتـرات معينـة مـن الهشاشـة. بحيـث نجـد أحيانـا أشـخاصا فـي وضعيـة هشاشـة رغـم توفرهـم علـى امكانـات ماليـة مهمـة، كمـا يمكـن أن نجـد أشـخاصا فـي وضعيـة هشاشـة بشـهادات علميـة عليـا كمـا هـو الحـال هنـا.

وهكـذا، يمكـن اعتبـار وضعيـة الهشاشـة التـي تسـم الشـباب والشـابات المبحوثيـن، مثـل منطقـة اضطـراب، بيـن الاندمـاج والاقصـاء. تسـتفحل هـذه المنطقـة وتتفاقـم بفعـل ضعـف الرابـط الاجتماعي وتزايـد عزلـة الفـرد وضعـف القـدرات والمهـارات الحياتيـة. فـإذا وجـد الشـاب نفسـه فـي خضـم الفقـر والروابـط الاجتماعيـة الضعيفـة وفـي مواجهـة ضيـق الأفـق، وغمـوض المسـتقبل، واتسـاع دائـرة اللامتوقـع واللايقيـن، وعـدم القـدرة علـى تجـاوز هـذه الضغوطـات فهـو فـي وضعيـة هشاشـة. مـن هنـا سـهولة اسـتهداف مثـل هـذا الشـابة أو الشـاب الـذي فـي وضعيـة هشاشـة، بالنظـر إلـى أنـه فـي وضعيـة ضعـف نسـبي: ضعـف نفسـي، أو جسـدي، أو معنـوي، أو اجتماعـي[69]، تجعلـه عرضـة للتأثـر السـلبي بـأي خطابـات وسـهل الاسـتقطاب لأي تنظيمـات أو أنشـطة، بمـا فـي ذلـك تلـك المتطرفـة والعنيفـة وغيـر القانونيـة....

وضعيـة الهشاشـة هـذه التـي تميـز شـباب وشـابات الطبقـات الشـعبية فـي الأحيـاء الهامشـية للمـدن الكبـرى، مثـل حـي المدينـة القديمـة بسـلا، تدفعهـم للانخـراط فـي تجربـة يوميـة خاصـة، سـبق لفرانسـوا ديبـي أن سـماها» la galère»، تجربـة شـبابية تتميـز بسـيادة اسـتراتيجيات بقـاء، فيهـا فتـرات فـراغ طويلـة، وتتخللهـا مهـن صغيـرة، وجنـوح[70]...

68 Ulrich Beck « la société du risque : sur la voie d'une autre modernité » tr de laure Barnardi éd Flammarion –Coll champs-2001, p 301302-.

69 للمزيد من التوسع، يمكن الرجوع إلى:
Ouvrage collectif, Penser la vulnérabilité : visages de la fragilisation du social, Sous la direction de Vivianne Chatel et Shirley Roy, éd Presses de l'université du Québec, 2008.

70 Dubet François, La Galère : jeunes en survie, Paris, Fayard, 1987.

تأثير البطالة على الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية

لا شك أن البطالة تؤثر سلبا على الشاب العاطل عن العمل، الذي يبحث عن شغل دون نتيجة، فيجد نفسه ينزلق إلى وضعية الهشاشة. ولا يشمل التأثير الجانب المادي فقط المتمثل في انعدام الاستقلالية المالية، بل يعاني الشاب علاوة على ذلك الاقصاء، ويعيش حالة اضطراب في علاقاته مع محيطه المباشر، كما في توازنه النفسي وتنميته الذاتية، كما تنتاب الشاب العاطل، بفعل الوضعية الصعبة التي يتواجد فيها، جملة من المشاعر السلبية مثل الاكتئاب والاحباط وفقدان الأمل، التي يكون لها تأثير على صحته، لا يقل عن التأثير المباشر لتدهور الشروط المادية للحياة، حيث تأخذ هذه التأثيرات النفسية ترجمة فيزيولوجية، قد تشمل تدهور الصحة العقلية، وضعف المناعة و تراجع مقاومة الضغوطات، وفقدان النوم، و الارتماء في دوامة التعاطي للتدخين وللكحول والمخدرات...إلخ [71].

فكما أشار أحد الشباب المستجوبين:

> «صديق لي عاش بطالته كفراغ قاتل، دخل في حالة اكتئاب، فصارت الحياة تبدو له سوداوية، فدخل في عزلة بين أسوار بيتهم، لا يريد أن يرى أحدا ولا أن يسأل عنه أي أحد، فانعكس كل ذلك على صحته، إذ بدأ يعاني من نقص في فيتامين «د»، وضمور حاد في جسده...»

هذا دون أن ننسى تأثير البطالة على المستوى الاجتماعي العام، من خلال ما تتسبب فيه من هدر لطاقات العمل وقدرات الانتاج التي يمثلها هؤلاء الشباب العاطل. فبغض النظر عن الفرصة الديموغرافية التي يمثلها الشباب بالمغرب، فإن مؤهلاتهم الإنتاجية لم يتم الاستفادة منها بشكل مرض، ما دامت نسبة البطالة في صفوفهم، تبين بأن هذه الفئة من الساكنة معرضة أكثر من فئة الراشدين للبطالة[72].

وكما هو معلوم فمثل هذه الوضعية مولدة للصراعات والاحتجاجات الاجتماعية المطالبة بالشغل أو الطامحة إلى تحسين الشروط الصعبة لوضعية البطالة أو بالأحرى التخفيف منها (منح تعويضات مالية...)[73].

لكن في ما وراء التأثير المالي (انعدام الدخل وانعدام الاستقلالية المالية)، تستهدف وضعية البطالة بشكل عميق الحياة الاجتماعية والنفسية للشاب العاطل، حيث تفضي هذه التجربة إلى تفكك روابطه الاجتماعية، وتغيير علاقته بالزمن، وتدفعه دفعا إلى الانكفاء على الذات، وإلى نوع من اللامبالاة الطوعية والعميقة تجاه ما يجري حوله[74]. فيحس الشاب العاطل بأنه مقصي وأشبه بكائن منبوذ داخل المجتمع، وأنه عبء أو عالة على الأسرة والمجتمع، فيختار بشكل

71 Jérôme Gautié, Le chômage, éd La Découverte, Paris, 2015. P.4.7

72 حيث نجد مثلا أن 18,6 % بالنسبة للبالغين ما بين 15 و24 و13,2% بالنسبة للبالغين ما بين 25 و34 حسب إحصائيات 2012.
انظر: فوزي بوخريص، العمل غير المهيكل بالمغرب، ضمن راصد الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في البلدان العربية، العمل غير المهيكل، منشورات شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية، بيروت، 2016.ص436-470.

73 Jérôme Gautié, Le chômage, éd La Découverte, Paris, 2015.p46.

74 Ibid. p 46.

طوعي الانزواء والابتعاد عن الأصدقاء وعن الناس، حفاظا على صورته من نظرات الغير، التي هي مزيج من الشفقة والتعاطف أو من تحميل المسؤولية والاتهام بالعجز أو الفشل.

في البطالة فقدان لوضع اجتماعي واعتباري معين، وإقصاء تعسفي من المشاركة في سيرورة الانتاج، فهي فعل حاط من قيمة الشخص، خصوصا ونحن نعيش في مجتمع، حيث تعتبر ممارسة عمل مؤدى عنه الشكل الأساسي للاعتراف بفائدة الشخص، وبوجوده الاجتماعي، وتعتبر أساس تنظيم حياة الانسان وأزمنته: زمن الشغل كما أزمنة خارج الشغل (زمن الترفيه، الزمن المخصص للأسرة، زمن التكوين...). وتجدر الاشارة إلى أن البطالة لا يعيشها الشاب العاطل كوقت حر، وإنما كوقت فارغ، مع ما ينجم عنه من ملل، وقلق، وشعور بالذنب...[75].

وتمتد التأثيرات السلبية للبطالة إلى العلاقات الأسرية. فاحتمال أن تكون الأسرة فقيرة بفعل البطالة كبير، يقدره بعض الباحثين ب 3,5 مرة أكثر مما يميز الأسرة التي لا يعاني فيها أي عضو من البطالة[76]. ولو أنه لا يمكن التعميم، إذ يمكن لتجربة البطالة أن تكون مناسبة لتعزيز التضامن ولتقوية العلاقات الأسرية. فقد كشفت أجوبة الشباب والشابات في المجموعات البؤرية والمقابلات الفردية، عن استمرار علاقتهم بأسرهم، واستمرار عيشهم في كنف الأسرة. وإن كان الواحد منهم لا يخفي رغبته في تحقيق الاستقلال عن أسرته، في إطار سكن خاص، مهما كان بسيطا، والاعتماد على الذات في مواجهة الحياة. لكن صعوبة الوضع الأسري للشباب العاطل، تحول دون تحقيق الاستقلال الذاتي عن الأسرة، إذ ما يزال يحتاج لدعم الأسرة. وحتى عندما يجد هذا الشاب عملا، فإنه يشعر غالبا بأنه مجبر على البقاء مع الأسرة، من أجل مساعدتها، وتحمل قسط من أعباء الحياة، عبر مساندة الآباء أو الإخوة الصغار المحتاجين للدعم والمؤازرة.

وكشفت المعطيات الميدانية على أنه يمكن التمييز في علاقة الشباب العاطل بأسرهم بين فئتين:

فئة من الشباب تنتمي إلى أسر فقيرة تتسم وضعيتها بالهشاشة، في الكثير من هذه الأسر نجد أكثر من عاطل. يضطر هؤلاء الشباب، بفعل هشاشة وضعهم، إلى الانقطاع عن الدراسة وبدأ رحلة البحث عن عمل لتحمل مسؤولية أسرهم. مثل هؤلاء لشباب، قد يقبلون بأي شغل مها كان، شاقا أو غير لائق. هذا ما يمكن أن نستشفه مثلا، من الجوابين التاليين:

> « أبي دائما يسألني هل أبحث عن عمل...هناك ضغط من جانبه. هذا الامر يزعجني... البطالة بالنسبة لي لا تؤثر لكن يبقى المشكل في افراد العائلة عندما يشفقون علي. »
>
> «أنا منذ البكالوريا وأنا أفكر في مسألة الاستقلال على الأسرة.. ما يدفعني إلى عدم الاستقلال حاليا هو أني الأخ الأكبر للأسرة ويلزمني أن أقدم كل الدعم لأسرتي.. لكن عندما تحين الفرصة وتتوفر الإمكانيات، سيحين موعد الاستقلالية بلا أشك، عندها سأفكر في كيفية تدبير مستقبلي الشخصي من خلال الزواج وتدبير مستقبل أسرتي.. »

75 Ibid. p 45.

76 Ibid. p4 6.

ثـم هنـاك فئـة مـن الشـباب تنتمـي إلـى أسـر وضعهـا المـادي متوسـط. مثـل هـذه الأسـر، قـد لا تمـارس أي ضغـط علـى أبنائهـا، بـل العكـس يمكنهـا دعمهـم فـي حـدود امكانياتهـا، ومسـاندهم فـي رحلـة بحثهـم عـن شـغل. فـي هـذا الصـدد يقـول أحـد المبحوثيـن:

«بفضـل دعـم أسـرتي، أبحـث عـن عمـل، لكـن دون أن أكـون مضطـرا لقبـول أي عمـل مهمـا كان، لا بـد مـن عمـل يناسـب تكويني...»

هـذه الوضعيـة وغيرهـا كثيـر، تؤكـد مـا سـبق أن أبرزتـه أبحـاث أخـرى حـول الشـباب: كـون الاسـرة تسـتمر فـي احتـلال مكانـة محوريـة لـدى هـذه الفئـة الشـابة مـن السـاكنة. انهـا بالنسـبة لهـا حصـن وحضـن آمـن ضـد الازمـات الماديـة [77]، ويبقـى دورهـا الأهـم فـي التخفيـف مـن الصعوبـات المتزايـدة التـي تحـول دون ادمـاج الشـباب، مهنيـا واجتماعيـا[78]. كمـا تؤكـد هـذه الوضعيـة نـزوع الشـباب العاطـل فـي الغالـب للسـكن مـع أسـرهم، طبعـا مـع اضفـاء نـوع مـن النسـبية علـى هـذه الملاحظـة، تبعـا لجنـس الشـاب ووضعيتـه السوسـيو-اقتصادية ورأسـماله الثقافـي [79]..

وفيمـا وراء الدائـرة الأسـرية، تمتـد التأثيـرات السـلبية للبطالـة إلـى مجمـوع العلاقـات الاجتماعيـة. لأن الكثيـر مـن هـذه العلاقـات تبنـى انطلاقـا مـن الشـغل، وبالتالـي سـتضطرب بسـرعة، باسـتثناء إذا اسـتندت إلـى تجربـة تضامنيـة أسـرية.

يمكن أن نستشف ذلك من خلال الجوابين التاليين:

«الوضـع صعـب جـدا. مثـلا يصعـب عليـك شـراء مـا تحتاجـه مـن مسـتلزمات... فتضطـر للتهـرب مـن الأصدقـاء»

«عندمـا لا أجـد عمـلا، لا يكـون لـدي المـال للخـروج والالتقـاء بأصدقائي، هـذا يؤثـر حتـى علـى علاقتـي بصديقتي، لـم أعـد أسـتطيع دعوتهـا للخروج...الأفضـل أن أبقـى فـي البيـت، العطالـة تؤثـر علـى علاقتـي العاطفيـة».

وهكـذا، يميـل الشـاب العاطـل إلـى قطـع طوعـي لعلاقاتـه الاجتماعيـة أو إلـى التقليـل منهـا. وقـد تتجـاوز القطيعـة مسـتوى العلاقـات الاجتماعيـة بيـن فرديـة، لتطـال كل أشـكال المشـاركة فـي الحيـاة الاجتماعيـة، بمـا فـي ذلـك المشـاركة المدنيـة والسياسـية كمـا سـنرى لاحقـا[80].

هـذا عـلاوة طبعـا علـى التداعيـات الاقتصاديـة السـلبية للبطالـة، المرتبطـة بالصعوبـات الماليـة التـي يواجههـا الشـاب العاطـل، خصوصـا بفعـل طـول مـدة البطالـة وفـي ظـل ضعـف أو غيـاب التضامـن والدعـم الأسـريين، أو المؤسسـاتيين (نظـام التعويـض عـن البطالـة..)[81]

77 R. Bourqia et autres, Les jeunes et les valeurs religieuses, éd Eddif-Codesria, Casablanca, 2000.p12.

78 Olivier Galland, Les jeunes, éd La Découverte, Paris, 1987. p .87

79 Ibid. p 88.

80 Jérôme Gautié, Le chômage, op, cit. p.46.

81 Ibid.p46.

الشباب في وضعية هشاشة و استراتيجيات ضمان البقاء
stratégies de survie

تكشف أجوبة المستجوبين من الشباب والشابات العاطلين عن تنوع كبير على مستوى الاستراتيجيات التي يعتمدونها من أجل مقاومة مختلف التأثيرات السلبية للبطالة، وعلى مستوى الأنشطة البديلة، الكفيلة بضمان البقاء[82]....

يتعاطى الشباب لأنشطة عديدة للتخفيف من تداعيات البطالة. تختلف هذه الأنشطة حسب ميولات واهتمامات الشباب وحسب جنسهم أحيانا. من هذه الأنشطة نذكر: مزاولة الرياضة، الانخراط في الأنشطة الجمعوية، وممارسة بعض الانشطة الفنية (المسرح والموسيقى...) ...

كما نجد أنشطة، تندرج ضمن إطار الممارسات اليومية الروتينية، مثل النوم لساعات طويلة والتجوال أو بالأحرى التسكع بجانب البحر...

مثلما نلاحظ في أجوبة بعض المستجوبين بخصوص الأنشطة البديلة، الإحالة على بعض السلوكات المحفوفة بالمخاطر لشباب يسقط في شرك الإدمان على المخدرات (القرقوبي، الحشيش، المعجون...) والكحول. فكما ورد على لسان أحد المستجوبين:

> «صراحة في بعض الفترات، استعملت كل أنواع المخدرات (القرقوبي، الحشيش، المعجون). بدأت أولا بمرافقة المدمنين، ثم انتقلت بعد ذلك للتجريب في إطار التحدي مع الأصدقاء... لكن سرعان ما تحول التجريب إلى إدمان. والآن لم أعد أتناول أي مخدر، بفضل صرامة أمي، التي هددتني بالطرد من البيت، وخيرتني بين رضاها وحمايتها وبين الإدمان...»..

ويقول مستجوب آخر، للتعبير عن استشراء ظاهرة الادمان بين شباب المدينة العتيقة، ما يلي:

> «عدم الشغل في المدينة القديمة يعني التعاطي للمخدرات، فكما يردد الأصدقاء، فإن المخدرات أكثر من الخبز في المدينة القديمة».

لكن، كل ما سبق لا ينفي حقيقة ان بعض المستجوبين، يعيش وضعية بطالته بشكل طبيعي، بل يحاول ألا يستسلم لها، بالبحث عن بدائل. وفي هذا الإطار يمثل الانترنيت والعالم الرقمي عموما فرصة بالنسبة للشباب. خصوصا وأن الشباب يمارسون أكثر من غيرهم أنشطة لها علاقة بالتكنولوجيات الجديدة، خصوصا «الأجيال التي نشأت مع الانترنيت ('Internet natives')[83].

فقد أثبتت العديد من الأبحاث بأن الشباب اليوم أكثر كفاءة في مجال وسائط الاعلام والاتصال من آبائهم ومن أساتذتهم، وأن الشباب، غالبا ما يتعلم الكفايات المرتبطة بالمجال الرقمي ذاتيا أو من أقرانهم، وليس في المدرسة أو الأسرة.[84]

82 Ibidm

83 Christophe Stener, jeune, in Ouvrage Collectif, Dictionnaire politique d'Internet et du numérique, Les 66 enjeux de la société numérique, coordonné par Christopher Stener, éd La Tribune, 2010. P.P.69- 70.

84 Gilles Pronovost, L'univers du temps libre et des valeurs chez les jeunes, éd Presses de l'université du Québec,2007 .

فكما ورد على لسان أحد المستجوبين

« انخرطت في قراءة وتعلم الكثير من الأشياء على الأنترنيت، لجني المال، أشياء تتعلق *e-commerce*، التصميم *Design* ... ما يهم هو ايجاد بدائل انطلاقا مما هو متاح».

ولا شك أن الثورة الرقمية يمكنها إتاحة الفرصة للشباب عموما للتحرر الشخصي والمهني، وإن كانت استنادا لأجوبة المبحوثين وبالقياس إلى وضعيتهم السوسيو-اقتصادية، محدودة جدا، إذ لا يمكنها أن تعوض استراتيجيات التشغيل العمومية الحقيقية...

وفي نفس المنحى، يقول مستجوب آخر:

« أقوم بالأشياء التي لم أكن أستطيع القيام بها خلال دراستي، أحاول تعلم لغة جديدة (الاسبانية)، وأمارس الرياضة...خلال سنوات الدراسة لم يكن لدي الوقت، الآن لا شيء لدي سوى الوقت الفارغ... »

ويبقى المجال الأبرز الذي يشكل بديلا بالنسبة للشباب لإيجاد شغل، هو أنشطة العمل غير المهيكل، حيث يتعاطى شباب المدينة القديمة للتجارة غير المهيكلة، فيشتغلون كباعة متجولين على أرصفة المدينة، كما يشتغلون كندل في المقاهي، وفي إصلاح الهواتف النقالة، وفي وشم الأجساد...الخ. وتشمل أنشطة القطاع غير المهيكل بالمغرب، التي تستقطب نسبة كبيرة من شباب المدينة القديمة من العاطلين، أنشطة ضمان لقمة العيش، العاجزة عن تحقيق فائض والتي تزدهر في فترات الأزمة الاقتصادية، والتي ينتشر فيها نمط الشغل غير المحمي l'emploi non protégé، والتي علاوة على ما تتسبب فيه للشاب العاطل من استغلال وشقاء وإذلال، لا توفر سوى مداخيل محدودة، لا تتجاوز بتاتا مستوى ضمان الحد الأدنى للقمة العيش[85] ...

فكما ورد على لسان بعض المستجوبين:

«يتعاملون معي كي الزفت»

«كندعي الله إعفو عليا من هذا الخدمة»...

الواقع أننا هنا أمام صرخات استنكار ضد إرادة موضوعية إقتصادية تسعى للإبقاء على الشباب العاطل في حالة قصور...بشكل يتعارض مع طموح الشباب الطبيعي لكي يصيروا راشدين وسادة مصيرهم، ويتناقض مع تطلعهم إلى كسب لقمة عيشهم عبر شغل كريم ومنصف ومرض، ومحرر، ونظيف[86].

ومن بين الخيارات الأخرى التي يتطلع إليها شباب المدينة القديمة، خيار الهجرة، سواء تعلق الأمر بالهجرة السرية(«الحريك») بوسائل عصرية أو بدائية، انطلاقا من شواطئ مدينة سلا في الكثير من الأحيان (ومنها شاطئ المدينة العتيقة)، أو تعلق الأمر في بعض الحالات القليلة

85 فوزي بوخريص، العمل غير المهيكل بالمغرب، ضمن راصد الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في البلدان العربية، العمل غير المهيكل، منشورات شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية، بيروت، 2016.ص436-470.

86 Michel Fize, Le deuxième homme, réflexions sur la jeunesse et l'inégalité entre génération, éd Presse de la Renaissance, Paris, 2002.p152.

بالهجـرة النظاميـة عـن طريـق عقـد عمـل أو فـي إطـار التجمـع العائلـي أو عبـر «زواج أبيـض»...

ومـن أجـل إدراك مـا يمثلـه حلـم الهجـرة بالنسـبة للشـباب العاطـل، ينبغـي اسـتحضار معطـى أن أعـداد المغاربـة المهاجريـن إلـى الخـارج عـرف تطـورا مهمـا خـلال العقـود الأخيـرة، ليبلـغ حاليـا أكثـر مـن 5 ملاييـن شـخص، وأن هـذه السـاكنة المهاجـرة تتسـم بغلبـة عنصـر الشـباب. فقياسـا إلـى الوضعيـة السوسـيو- اقتصاديـة لهـؤلاء المهاجريـن المغاربـة بالخـارج، خصوصـا بأوروبـا الغربيـة، يمكـن اعتبـار الهجـرة السـرية (أو الحريـك) إلـى الضفـة الأخـرى، شـمالا عبـر البحـر الأبيـض المتوسـط أو غربـا عبـر المحيـط الأطلسـي، خيـارا مطروحـا بالنسـبة لـكل شـاب عاطـل، فـي المدينـة القديمـة كمـا فـي باقـي مناطـق المغـرب الأخـرى، إنهـا حلـم يـراود، جـزءا هامـا مـن الشـباب يديـر ظهـره للوطـن، ولا ينظـر، ولا ينتظـر الأمـل إلا خـارج الوطـن[87]. فقـد كشـفت عـدد مـن البحـوث بـأن الرغبـة فـي الهجـرة» بـأي ثمـن» و»بأيـة كيفيـة»، تمثـل واقعـا لا يمكـن تجاهلـه لـدى الشـباب المغاربـة، حيـث صـارت جـزء مـن معيشـهم[88]. صحيـح يصعـب قيـاس ظاهـرة «الحريك»(الهجـرة غيـر الشـرعية)، بسـبب طبيعتهـا نفسـها، التـي تحيـل علـى مـا ينفلـت مـن القانـون، أي علـى مـا هـو سـري وغيـر مرئـي أو غيـر شـرعي. لكـن المكتـب العالمـي للشـغل يتحـدث، فـي نـوع مـن التقديـر، عـن كونهـا تمثـل حوالـي 15 فـي المائـة مـن حجـم الهجـرة الشـرعية. وحسـب تقديـرات وزارة الداخليـة بالمغـرب، شـهدت سـنة 2013 علـى سـبيل المثـال، تفكيـك 63 شـبكة للهجـرة غيـر الشـرعية وإفشـال 19.500 محاولـة تسـلل إلـى أوربـا. لكـن هـذه الأرقـام، تظـل جزئيـة وغيـر دقيقـة، وبعيـدة عـن حقيقـة الواقـع. وعلـى العمـوم تجمـع المصـادر الرسـمية وغيـر الرسـمية علـى حقيقـة «الهجـرة غيـر الشـرعية» بالمغـرب كظاهـرة جماهيريـة de masse[89]...

والمؤكـد أن غيـاب الشـغل المنصـف والكريـم والمتوافـق مـع مؤهـلات الشـاب، هـو دافـع رئيسـي للتفكيـر فـي الهجـرة[90]. وبالتالـي فهـذا الميـل القـوي، والاسـتعداد التـام للهجـرة الملاحظيـن لـدى غالبيـة الشـباب، فـي حالتنـا هـذه، يترجمـان شـعورهم بالإحبـاط[91]...

وتجـدر الإشـارة أيضـا، إلـى أن أجوبـة المسـتجوبين، مـا تفتـأ تسـتحضر واقـع الفسـاد والرشـوة والزبونيـة فـي خضـم تناولهـا لوضعيـة البطالـة والهشاشـة التـي تعرفهـا، هـذا الأمـر لا يختلـف كثيـرا عمـا لاحظـه باحثـون آخـرون سـابقا[92]، حيـث يتـم التأكيـد باسـتمرار علـى مشـكل الوسـاطة والزبونيـة والرشـوة، وشـبكة المعـارف للحصـول علـى شـغل[93]. ربمـا هـذا مـا دفـع المجلـس الاقتصـادي والاجتماعـي والبيئـي فـي تقريـره حـول «تشـغيل الشـباب»، إلـى الدعـوة فـي سـياق تقديمـه للمقترحـات الكفيلـة بالنهـوض

87 محمـد جسـوس، الشـباب وتحـولات المجتمـع المغربـي، ضمـن مؤلـف، طروحـات حـول المسـألة الاجتماعيـة، منشـورات الأحـداث المغربيـة، سلسـلة كتـاب الشـهر عـدد 6، 2003، ص71-72.

88 Stefano Volpicelli et autres, L'attitude des jeunes au Maroc à L'égard de la migration, Rapport de recherche, éd L'Organisation internationale pour les migrations (OIM), 2010.

89 فـوزي بوخريـص، الهجـرة غيـر الشـرعية بالمغـرب وإشـكالية الاندمـاج الاجتماعـي: هجـرة القاصريـن مـن دون مرافقـة نموذجـا، ضمـن مجلـة «سياسـات الهجـرة»، العـدد الأول، يناير 2016، ص-37 59.

90 Youssef Courbage et Emmanuel Todd, Révolution culturelle au Maroc : le sens d›une transition démographique, in Fondation Res Publica I Vendredi 23 Février 2007.

91 HASSAN RACHIK, Jeunesse et changement social, op, cit, pp. 193215-

92 Paul Pascon et autres, ce que disent 296 jeunes ruraux, in Bulletin Economique et Social du Maroc, N 1121969 ,113-, p1.144-

93 HASSAN RACHIK, Jeunesse et changement social, op, cit, pp. 193.215-

بتشغيل الشباب، إلى احترام قواعد الشفافية والعدالة والانصاف في التشغيل[94]...

واجمالا، يقاوم الشاب العاطل، ويخطط لاستراتيجيات ضمان البقاء stratégies de survie ولمشاريعه البديلة وينخرط فيها بشكل أفضل، كلما كان له مستوى تكوين وتأهيل عال، وكلما توفر على نسيج علاقات أسرية واجتماعية مكثف، يمكن أن يجد فيه آليات للدعم والمؤازرة والتضامن. لكن على العكس، تكون الصدمة قوية، بقدر ما تكون الوضعية السابقة مستقرة ...فشباب في بحث عن سبل الادماج المهني لن يتأثروا في بداياتهم بقدر تأثر راشدين خلفهم تجربة مهنية طويلة[95].

السياسات العمومية في مجال التشغيل: الحلول المؤسساتية التي توفرها الدولة من وجهة نظر المشاركين.

إذا كان الاهتمام بالشباب، وخاصة قضايا تشغيله، بدأ يفرض ذاته بالمغرب منذ ثمانينيات القرن الماضي، عقب ما خلفته سياسة التقويم الهيكلي من تداعيات. فالملاحظ بالمقابل أن هذا الاهتمام، لم يصل إلى حد بلورة سياسة عمومية فعلية موجهة للشباب ولحل المشكلات التي يعيشها، وعلى رأسها مشكلة التشغيل. لكن مع بدايات التسعينيات، بدأت تطرح مسألة بطالة حاملي الشهادات ضمن الأجندة السياسية[96]، من خلال اعتماد عدد من التدابير، لعل أبرزها اعلان الملك الحسن الثاني عن إنشاء المجلس الوطني للشباب والمستقبل في 20 فبراير 1991[97]. غير أنه مع نهاية التسعينيات فقط بدأ التفكير في وضع أسس سياسة عمومية حول الشباب. ففي التصريح السياسي لحكومة التناوب الأولى، تم التعبير عن طموح تحسين شروط الحياة اليومية للشباب، ومحاربة كل أسباب تهميشها، ووضع استراتيجية تأطير سوسيوثقافي، وتطوير ثقافة جديدة وتحرير طاقات الشباب في كل المجالات إلخ...ومع بدايات سنوات الألفية الثالثة، بدأت ترتسم بوادر سياسة موجهة للشباب، وشيئا فشيئا اخذ موضوع «السياسات العمومية» يتحول إلى موضوع حوار عمومي واسع، خصوصا بعد تداعيات الحراك الاجتماعي العربي، ونسخته المغربية (حركة 20 فبراير). يظهر ذلك بوضوح من خلال انشغال عدد مهم من الأحزاب السياسية والنقابات والجمعيات المدنية، بتضمين المذكرات الموجهة إلى اللجنة الاستشارية المكلفة بمراجعة الدستور، لمطالب تهم السياسات العمومية إن على مستوى التقييم أو المشاركة أو التنفيذ..

وفي ذات الاتجاه، أعلنت وزرة الشباب والرياضة سنة 2014 عن ما أسمته «الاستراتيجية الوطنية المندمجة للشباب 2015-2030»، هادفة من وراء ذلك وضع الشباب في صلب السياسات العمومية. وتستهدف هذه الاستراتيجية، كما هو منصوص عليه في متنها، تجاوز الرؤية القطاعية السائدة على مستوى سياسات الشباب، ووضع وثيقة مرجعية موجهة ومنسقة للسياسات العمومية

94 تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، تشغيل الشباب، 2011 (أنظر موقع المجلس: www.ces.ma)

95 Jérôme Gautié, Le chômage, op, cit. p 47.

96 صاغ الباحث جون غوستاف باديولو Jean-Gustave Padioleau مفهوم الاجندة السياسية، وهي تتضمن مجموع المشاكل المدركة باعتبارها تتطلب نقاشا عموما سياسيا، بل وتدخلا للسلطات العمومية.
للمزيد، أنظر: Pierre Muller, Les politiques publiques, éd PUF, coll Que Sais-je? 10e édition, 2013.

97 HASSAN RACHIK, Jeunesse et changement social, op, cit, pp. 193215-.

ولتدخلات وجهود باقي الفاعلين في حقل السياسة المندمجة للشباب، خصوصا بعد الدستور الجديد، الذي عزز الإطار القانوني والمؤسساتي للشباب. فكما هو معلوم أكد دستور 2011 على ضرورة:

توسيع وتعميم مشاركة الشباب في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للبلاد، ولا سيما بإحداث مجلس استشاري للشباب والعمل الجمعوي؛

مساعدة الشباب على الاندماج في سوق العمل وفي الحياة الجمعوية، وتقديم المساعدة للشباب الذين في وضعية صعبة، وضعية تحول دون تكيفهم المدرسي أو الاجتماعي أو المهني؛

تيسير ولوج الشباب للثقافة والعلم والتكنولوجيا والفن والرياضة والأنشطة الترفيهية؛

وكذا توفير الظروف الملائمة لتفتق طاقاتهم الخلاقة وقدراتهم الإبداعية في كل هذه المجالات ...الخ.

لكن على مستوى الواقع، ما تزال الاستراتيجية الوطنية المندمجة للشباب 2015-2030 إلى اليوم تنتظر الاعتماد النهائي والتفعيل والتنفيذ. ولعله عبر رصد آراء المستجوبين في المجموعات البؤرية حول مختلف المبادرات والإجراءات التي تتخذها الجهات المؤسساتية المسؤولة عن سياسة التشغيل، لفائدة شباب المدينة القديمة، يمكن التحقق من واقع حال هذه المبادرات والإجراءات.

وكما هو معلوم فسياسات التشغيل تتضمن نظريا مجموعة من التدابير، التي يمكن أن تصنف إلى فئتين: إحداهما تسمى فعالة أو إيجابية والأخرى تعتبر «سلبية»[98].

فالتدابير الفعالة تضم مجموع الاجراءات الهادفة إلى تشجيع ولوج العاطلين إلى الشغل، والتي تتكون أساسا من إجراءات المواكبة والمساعدة على البحث عن شغل التي تشرف عليه مؤسسات تُحْدَثُ لهذا الغرض. ومن إجراءات المساعدة على الشغل بالمعنى الواسع للكلمة، مساعدة العاطلين على خلق المقاولات، وإحداث مناصب الشغل المدعومة في القطاع الخاص أو العمومي، وتستهدف هذه الإجراءات الأخيرة العاطلين الذين يعانون من صعوبات أكثر في سوق الشغل، والذين يتم تحديدهم اعتمادا على معايير (السن، الإعاقة، مدة البطالة...)، وهناك أخيرا إجراءات التكوين والتأهيل وتعزيز القدرات[99].

أما التدابير المسماة «سلبية» أو تسمى أيضا إجراءات دعم الدخل، فتستهدف تأمين حد أدنى من الدخل للأشخاص الذين بدون شغل. إنها تشمل على سبيل المثال تقديم تعويضات عن البطالة.

وبخصوص الحلول والإجراءات المؤسساتية التي اعتمدتها الدولة بالمغرب من أجل تشجيع أو تيسير الحصول على شغل، مثل برنامج دعم التشغيل الذاتي أو برنامج دعم الشغل المؤدى عنه «إدماج» أو برنامج خلق المقاولات الصغرى «مقاولتي» أو برنامج القروض الصغرى، أو برنامج «انطلاقة»، أو برنامج «فرصة»، أو برنامج التلاؤم ما بين الشغل والتكوين «تأهيل» أو برنامج

98 من اجل معرفة المزيد حول هذا التصنيف ذي الطبيعة الإجرائية والاتفاقية، يمكن الرجوع إلى: - Jérôme Gautié, Le chômage, éd La Découverte, Paris, 2015.p 92.

99 Jérôme Gautié, Le chômage, op, cit. p 92.

«مدن المهن والكفاءات» أو برنامج «أوراش» المعلن عنه مؤخرا من طرف الحكومة الحالية، فقد اجمعت وجهات نظر المستجوبين على جملة من الملاحظات، من أبرزها:

مشكل «الاستغلال» الذي ينجم عن التشغيل في مثل هذه البرامج المؤسساتية سواء على مستوى الأجر أو عدم توافق العروض المقترحة مع المستوى التعليمي خصوصا بالنسبة لذوي الشهادات العليا (إجازة، ماستر، دكتوراه)؛

عدم استيعاب البرامج المؤسساتية لكافة الفئات التي تواجه وضعية البطالة، فهي موجهة بالدرجة الأولى لذوي الشهادات العليا؛

ضعف المواكبة والمصاحبة المؤسساتية والقانونية اللازمة والمشجعة على خلق مقاولات خاصة وإنشائها؛

سيادة علاقات الزبونية والفساد و››الوْجْهِيَاتْ‹‹ وغياب مبادئ الشفافية وتكافؤ الفرص والمساواة والانصاف؛

الهوة بين عالمي التكوين والشغل، تجعل التكوين الذي يستفيد منه الشاب في الجامعة أو في مؤسسات التكوين المهني، منفصلا عن حاجات سوق الشغل،

عدم تنويع مسارات التكوين وتجديدها، وعدم تعزيز مضامينها، بحيث تنصب على الكفايات اللغوية والحياتية والنهوض بمعرفة أمثل بالحياة الاقتصادية وبالثقافة المقاولاتية، من أجل تسهيل إدماج الشباب في عالم الشغل، كما يقترح مثلا تقرير للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي حول «تشغيل الشباب»[100].

عدم توفير قطاعات لتدريب الخريجين وتأهيلهم وتعزيز قدراتهم، في أفق إدماجهم...

النتائج الكمية لهذه البرامج والإجراءات المؤسساتية، تظل أدنى من أن تستجيب لواقع بطالة الشباب، ففئة محدودة فقط من الشباب العاطل تستفيد فعلا من هذه البرامج والاجراءات...

فكما ورد على لسان أحد الشباب المستجوبين:

> «لقد اقترحوا «انطلاقة»، ثم «فرصة»، وهناك حديث اليوم عن «أوراش»... هذا جيد، ولكن أنا أرى من خلال تجارب بعض الأصدقاء الذين استفادوا من برنامج «انطلاقة» أنهم أفلسوا ومنهم من هو في حالة متابعة قانونية...فأنا مثلا لن أغامر للدخول في هذا الغمار المليء بالألغام...»

وفعلا يمكن اعتبار برنامج مثل برنامج القروض الصغرى من الناحية النظرية، وسيلة تتيح للشباب العاطل خلق مقاولاتهم ومناصب شغلهم الخاصة، في أفق الرفع من مستوى عيشهم. وفي هذا الصدد يعد المغرب من بين البلدان التي وظفت كثيرا آلية منح القروض الصغرى وتشجيع مؤسسات القروض الصغرى. إذ، انطلقت أولى البرامج في هذا الصدد (القروض الصغرى) في سنتي 1993-1994. ويتوفر المغرب حاليا على حوالي 50 % من حجم القروض الصغرى في

100 تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، تشغيل الشباب، 2011، ص17.
أنظر التقرير على موقع المجلس: www.ces.ma

كل منطقة «مينا» MENA، كما يضم إلى حدود يونيو 2013، 11 جمعية من جمعيات القروض الصغرى القانونية، لها حوالي 820 ألف زبون. وتسعى الاستراتيجية الوطنية للقروض الصغرى فيه إلى تحقيق هدف بلوغ 3 ملايين و200 ألف زبون في أفق 2020[101]. لكن رغم هذا الرهان الرسمي على آلية القروض الصغرى، إلا أن الملاحظة المتأنية للواقع تبرز بأن القروض الصغرى لا تتيح للمستفيدين تطوير أنشطة اقتصادية حقيقية لتحسين شروط عيشهم ووضعهم الاجتماعي. فالقروض الصغرى كأداة لها محدوديتها، ثم إنها تندرج ضمن خطاب محاربة الفقر وفق مقاربة نيوليبرالية، كما تدخل ضمن الدور الجديد للدولة التي تتخلى فيه شيئا فشيئا عن بعض وظائفها، حيث يفترض أن تعوض القروض الصغرى تدخل الدولة والمؤسسات البنكية. ويبقى أنه حتى وإن كان لنظام التمويل عبر القروض الصغرى دور في مساعدة عدد من الشباب العاطل، على تجاوز وضعية الهشاشة والاقصاء، فإن له نتائج غير منتظرة، منها أنه أدى إلى سقوط المستفيدين في براثن الاستدانة المفرطة، وإلى الاستدانة من مؤسسة لتسديد قرض مؤسسة أخرى (فأكثر من% 40 من الزبناء لهم قروض من عدة مؤسسات)، ثم إن معدلات الفائدة فيه مرتفعة. كما أن محدودية المبالغ المقدمة في إطار هذا البرنامج، لا يمكن أن تسمح بخلق مشاريع شغل حقيقية ومستديمة[102]...

وكما هو معلوم تنطلق السياسات الاقتصادية النيوليبرالية المتبعة في المغرب، كما في العديد من البلدان العربية، من نقد النموذج التنموي للدولة، الذي ساد خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، والذي أدى إلى أزمة المديونية الخارجية وتدهور التوازنات الماكرو-اقتصادية، وارتفاع نسبة البطالة. وتسعى الاختيارات النيوليبرالية إلى تجاوز كل ذلك بتبني سياسات اقتصادية تعتمد على فعالية الأسواق الحرة، وتثمين دور القطاع الخاص والملكية الفردية، والحفاظ على التوازنات الاقتصادية الكلية عبر تطبيق سياسات تقشفية صارمة مثل خفض الانفاق العمومي والضغط على الأجور وحذف دعم المواد الأساسية، فمن شأن هذه الاجراءات، في نظر مهندسي هذه الاختيارات، الدفع بعجلة النمو وتحسين الانتاجية والتنافسية وتشجيع التصدير لخلق فرص عمل جديدة والحد من البطالة[103]...

وضمن هذه الاختيارات النيوليبرلية، قام المغرب على غرار بلدان عديدة في العالم العربي، بتغيير قوانين العمل لإضفاء طابع المرونة على علاقات العمل، استجابة لضغوطات المؤسسات المالية الدولية والقطاع الخاص المحلي، بمبرر تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار وبالتالي إحداث فرص شغل جديدة[104]. فوفق المنظور النيوليبرالي، فإن التشريعات والقوانين حول الحد الأدنى للأجور والحماية الاجتماعية وتقنين قواعد توظيف وتسريح العمال[105]، عوامل تحد من

101 Rajaa Mejjati Alami, Le secteur informel au Maroc, éd Presses Economiques du Maroc, 2006. p 111.

102 Rajaa Mejjati Alami, Le secteur informel au Maroc, éd Presses Economiques du Maroc, 2006. p 113.

103 محمد سعيد السعدي، السياسات النيوليبرالية والعمل غير المهيكل في المنطقة العربية، ضمن راصد الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في لبلدان العربية حول العمل غير المهيكل، منشورات شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية، 2016، ص121-129.

104 فبعد أن كان قانون الشغل في البداية ينظم العمل المأجور travail salarié، سعت «مدونة الشغل» لصدرة سنة 2004 إلى تقنين أشكال أخرى الشغل المرن، ومنها الشغل المؤقت travail temporaire في إطار عقد شغل محددة المدة durée déterminée à، والعمل لدوام جزئي travail à temps partiel ...الخ. للمزيد أنظر: Ahmed Bouharrou «Le doit de l'emploi au Maroc» publication REMALD –collection Manuels .47-et travaux Universitaires -2008. P 46

105 على سبيل المثال تراجعت نسبة التوظيف في القطاع العام بالمغرب خلال الفترة الممتدة من 1990إلى 2010 من 26% إلى 11%. أنظر: محمد سعيد السعدي، السياسات النيوليبرالية والعمل غير المهيكل في المنطقة العربية، ضمن راصد الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في لبلدان العربية حول العمل غير المهيكل، منشورات شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية، 2016، ص121-129.

تنافسية الشركات وتعيق تكيف أصحابها مع تقلبات السوق، وعلى العكس، تقلص مرونة العمل تكاليف العمالة وتسهل عمليات التوظيف والتسريح، كما أنها ترفع القيود عن العمل بعقود محددة الأجل، وتعطي أصحاب الشركات حرية أكبر لتحديد ساعات العمل.

ومن نتائج هذه الاختيارات النيوليبرالية، أن الهشاشة لم تعد توجد فقط على هامش الدولة ومؤسساتها المهيكلة وعلى هامش مؤسسات القطاع الخاصة المهيكلة، وإنما كذلك في قلبهما[106]، حيث ظهرت أشكال هشة من التّشغيل في قلب المهيكل (أي في قلب الإدارة العمومية والمقاولة الخاصة). فعلى سبيل المثال، بدأت الوزارات والمصالح الحكومية بالمغرب في السنوات الأخيرة تتعاقد، مركزيا ومحليا، مع شركات خاصة للاضطلاع بمهام الحراسة والنظافة، ومن أجل التملص من توظيف عمال قارين ومتمتعين بكافة الحقوق المنصوص عليها في قانون الوظيفة العمومية ومدونة الشغل. والأكثر من ذلك، أن هذه المؤسسات الحكومية لا تستحضر، احترام قانون الشغل، في انتقائها للشركات التي ستتعاقد معها، حيث يكون الفيصل في الانتقاء هو العرض الأقل تكلفة، ولو على حساب حقوق الأجراء، بل إن الأمر امتد ليشمل التوظيف في أسلاك الوظيفة العمومية نفسها من خلال اعتماد ما يسمى بالتوظيف بالتعاقد في قطاع التعليم[107] منذ 2016، ولاحقا في باقي القطاعات الحكومية الأخرى.

وبخصوص استفادة الشباب العاطل من دعم معين من قبل مؤسسات الدولة (إعانة مالية أو تكوين)، الملاحظ بأن جميع المشاركين والمشاركات في البحث الميداني لم يسبق لهم الاستفادة، وإن كان هناك من أُقر منهم بالحصول على شكل معين من أشكال المواكبة والتكوين في بحثهم عن العمل مثل بعض التكوينات التي تقوم بها الوكالة الوطنية لإنعاش التشغيل والكفاءات المعروفة اختصارا ب ANAPEC...

ذلك ما تؤكده أجوبة المستفيدين:

> «استفدت من بعض التكوينات التي تقوم بها *ANAPEC*..وهي بادرة جيدة، ولكنها ستكون أحسن إذا ما استفاد الإنسان من التكوين ومن الشغل بعده..».
>
> «بعض فرص الشغل الواردة عن طريق *ANAPEC* ذات أجور بخسة لا تكفي لسد متطلبات الحياة من تنقل وسكن وحاجيات أساسية يومية...علاوة على أن الوكالة تقتطع نسبة منها! »

ولم يكتف المستجوبون بتقييم إجراءات وتدابير السياسات المعتمدة في مجال النهوض بالتشغيل، بل قدموا مقترحات وحلول للنهوض بالسياسة العمومية في مجال التشغيل، مست جوانب عديدة، تلتقي إلى حد كبير مع ما انتهت إليه بعض هيئات الحكامة بالمغرب[108]. من أبرز هذه المقترحات والحلول نذكر:

106 Dossier, Voyage u cœur de l'informel, in Economia (revue sociale, économique et managériale) N 102012-2010 ,11-, pp 3380-.

107 مسلسل التوظيف بالتعاقد في قطاع التعليم بالمغرب ما يزال متواصلا (بلغ عدد اساتذة التعاقد اليوم حوالي 100 ألف أستاذ)، لكنه أدى إلى ظهور حركة احتجاجية» في قطاع التعليم، هي حركة «أساتذة التعاقد» التي انخرطت في موجهة اضرابات واعتصامات منذ 2016 وإلى اليوم، ومطلبها الاساسي هو اسقاط التوظيف بالتعاقد، والادماج في الوظيفة العمومية.

108 كما هو الحال مثلا مع المجلس الاجتماعي والاقتصادي والبيئي في تقريره حول تشغيل الشباب الصادر سنة 2011.
أنظر نص التقرير في موقع المجلس: www.ces.ma

• اعتماد الديمقراطية التشاركية، بفسح المجال للجميع، بما فيهم الشباب من الجنسين، للانخراط في عملية التنمية، التي تنطلق من معرفة الحاجات والاحتياجات الحقيقية للساكنة؛

• اعتماد مبادئ الشفافية والانصاف وتكافؤ الفرص في التشغيل، ووضع حد للمحسوبية والزبونية؛

لكن أهم ما يحتاجه مثل هذا البرنامج، وكل البرامج والسياسات التي تستهدف النهوض بتشغيل الشباب، في نظر غالبية الشباب العاطل المستجوب هو التفعيل، لا سيما التفعيل وفق مقاربة تشاركية ومن منظور يراعي البعد الترابيterritorialisées (ومنها خصوصيات حي المدينة العتيقة بسلا) ...

الانخراط في الاحتجاج والعمل الجمعياتي والحزبي

يتضح من خلال المعطيات المستمدة من الميدان، أن الاتجاه العام لأجوبة المبحوثين، بخصوص المشاركة في الحركات الاجتماعية والأنشطة الاحتجاجية التي لها علاقة بمطلب التشغيل، ينحو منحى ضعف المشاركة. ذلك أن أغلب هؤلاء الشباب لم يسبق لهم أن شاركوا في أي فعالية أو نشاط احتجاجي من أجل المطالبة بالتشغيل، لكن عدد منهم سبقت له المشاركة في احتجاجات لها علاقة بمطالب تهم جوانب أخرى من حياتهم كشباب، مثل المشاركة في الاحتجاج ضد قرار تسقيف سن الولوج إلى مهنة التعليم أو المشاركة في الاحتجاجات التلاميذية والطلابية ضد الساعة الإضافية[109].

وتجدر الاشرة إلى أن الفعل الجماعي للعاطلين في المغرب، هو شبه محتكر منذ نهاية سنوات الثمانينيات من طرف فئة خاصة، هي فئة أصحاب الشهادات العليا. تجارب عديدة عبر العالم كشفت بأن عدم تجانس فئة «العاطلين» شكلت غالبا عائقا أمام الانتقال إلى الفعل. لكن هذه المسألة مهملة في الحالة المغربية، بالنظر إلى أن كل أعضاء جماعة العاطلين تشترك نفس وضع الحاصل على الشهادة. فالحراك الاحتجاجي من أجل المطالبة بالتشغيل نادرا ما انفتح على غير الحاصلين على الشهادات، وعندما يقوم بذلك، يكون مصيره الفشل[110].

ويجد الفعل الاحتجاجي لفئة العاطلين، أصحاب الشهادات، مشروعيته في ما يؤمن به هؤلاء العاطلين، خصوصا المنحدرين منهم من الطبقات الشعبية، وهم الغالبية، والذين يشعرون بأنهم مقصيين مبدئيا من سباق التنافس حول الشغل، مقارنة مع نظرائهم المنحدرين من طبقات ميسورة، القادرين على استثمار وتعبئة رساميلهم العلائقية أو المالية، من أجل الولوج

109 المقصود هنا الاحتجاجات التلاميذية التي تفجرت سنة 2018 في عدد من المدن المغربية، ضد القرار الحكومي القاضي بإضافة ساعة إلى التوقيت العادي (GMT+1) . فبعد أن ظلت البلاد لزمن طويل تعتمد توقيت غرينتش كتوقيت رسمي، شرعت الحكومات المتعاقبة في السنوات والعقود الأخيرة في إضافة ساعة بشكل مؤقت خلال التوقيت الصيفي، ثم عمدت تثبيت هذه الإضافة بشكل دائم ونهائي سنة 2018، بمبرر خدمة مصلحة البلاد، مما أثار حفيظة واحتجاج المغاربة، عبر شبكات التواصل الاجتماعي، ومن خلال أشكال احتجاجية، لعل أبرزها الاحتجاجات التلاميذية، والتي كان مطلبها الأساسي هو العودة للتوقيت الرسمي، وإن كانت المطالب المعبر عنها في المظاهرات الاحتجاجية، تتجاوز ذلك إلى مناهضة الظلم و»الحكرة» وشعارات أخرى تطالب بتغيير الأوضاع في البلاد مع تغيير الساعة...

110 Frédéric Vairel, Le Mouvement du 20 février : vitalité et limites des protestations marocaines, in Ouvrage Collectif, Soulèvements et recompositions politiques dans le monde arabe, Sous la direction de Michel Camau et Frédéric Vairel, éd Les Presses de l'Université de Montréal, 2014. P 282.

بيسر إلى سوق الشغل، بفعل سيادة منطق الزبونية والمحسوبية في المجتمع...

ويعبر أصحاب الشهادات العطلين عن مطالبهم من خلال بنيات التعبئة، التي تشكل الوحدة الأساسية للتفاوض مع المسؤولين العموميين، من أجل انتزاع حقوقهم (مناصب شغل في الوظيفة العمومية أساسا أو في المساعدة على إحداث مشاريع مدرة للدخل (توزيع أكشاك بالمدن – منح أراضي للفلاحة بالمنطق القروية الحيطة بالمدينة...الخ)) ومن اجل توزيع نتائج الاحتجاج (توزيع الموارد العمومية المنتزعة).

وعرفت مقاومة الشباب لواقع البطالة بالمغرب قفزة نوعية، بإنشاء أصحاب الشهادات العاطلين (الحاصلين على شهادات الإجازة بشكل خاص) للجمعية الوطنية لحاملي الشهادات العاطلين بالمغرب[111](ANDCM) التي تأسست سنة 1991. يتعلق الأمر بالتنظيم الوطني الوحيد الخاص بالعاطلين من أصحاب الشهادات، والذي له فروع محلية بمختلف مناطق المغرب. أسس حملة شهادات الماستر والدكتوراه، منذ منتصف سنوات التسعينيات، تنسيقيات جديدة مستقلة خاصة ب «الأطر العليا»، متمركزة بالرباط. تتميز هذه التنسيقيات بوتيرة احتجاج مكثفة، تنتهي غالبا إلى توظيف أعضائها في الوظيفة العمومية، لتتفكك تنظيما. فمنذ سنة 1996، تأسست حوالي خمسين تنسيقية للأطر العليا، سرعان ما اختفت او أُدْمِجَت في بعضها البعض. ولا واحدة من تلك التنسيقيات تم الترخيص لها رسميا من قبل وزارة الداخلية[112]، وحدها الجمعية الوطنية لحملة الشهادات المعطلين شرعت في وضع ملفها القانوني، لكنها لم تتسلم الترخيص بشكل صريح ورسمي. وهذا يعني أن كل تظاهرات العاطلين في الشارع، سواء تعلق الأمر بوقفات احتجاجية أو مسيرات، تمت خارج إطار القانون المنظم (قانون الحريات العامة لسنة 1958). هذا يؤكد بأننا أمام واحدة من الجمعيات القائمة والموجودة بحكم الواقع، أكثر منها جمعية قائمة بحكم القانون. فسبق أن رصدت منظمات حقوقية، وعلى رأسها منظمة هيومان رايت ووتش، حالات جمعيات تحرمها السلطات المغربية من الاعتراف القانوني، ومنها الجمعية الوطنية لحاملي الشهادات المعطلين بالمغرب»[113]، هذه الجمعيات هي ضحية قمع «خفيف»، بلغة هيومان رايت ووتش، يتمثل في عدم الاعتراف القانوني. تسعى السلطات العمومية من خلال هذا «القمع الخفيف» لمثل هذه الجمعيات إلى إضعافها وتهميشها بشكل قانوني، لاعتبارات تتعلق بأسمائها، أو أهدافها أو أعضائها [114].

أما على مستوى اهتمام الشباب بالمشاركة السياسة، فالملاحظ عزوف أغلب المشاركين والمشاركات عن السياسة. قد يبدو مثل هذا الموقف غريبا، بالنظر إلى ما تمثله السياسة في حياتنا: فنحن

111 اسم الجمعية كما يدركها مؤسسوها وأعضاؤها هو: الجمعية الوطنية لحملة الشهادات المعطلين (وليس العاطلين) بالمغرب.

112 Montserrat Emperador Badimon, Les diplômés chômeurs et le Mouvement du 20 février au Maroc, in Ouvrage Collectif, Soulèvements et recompositions politiques dans le monde arabe, Sous la direction de Michel Camau et Frédéric Vairel, éd Les Presses de l'Université de Montréal, 2014.

113 ويتضمن تقرير هيومان رايت ووتش حيثيات وضعية كل جمعية من الجمعيات المعنية التالية. أنظر تقرير لمنظمة هيومان رايت ووتش حول موضوع «حرية تأسيس الجمعيات في المغرب»:
- منشورات هيومان رايت ووتش، تقرير «حرية تكوين الجمعيات: نظام تصريحي بالاسم فقط»، أكتوبر- 2009.

114 ومن مظاهر هذا القمع أو التضييق نجد: الحرمان من الدعم العمومي، ومن استئجار القاعات العمومية، ومن إمكانية فتح حساب مصرفي، والمحاكمة في حالة جمع أموال أو تحصيل مستحقات باسم الجمعية، أو حتى الحرمان من الحق في تنظيم مظاهرة مصرح بها قانونيا في الأماكن العمومية.. الخ...أنظر:
- منشورات هيومان رايت ووتش (2009) –مرجع سابق.

نعيش مغمورين Immergés في السياسة[115]، إذ نتغذى يوميا بأخبارها ونتأثر بممارساتها وتدابيرها، لدرجة الشعور في كل لحظة بأننا محمولين ب «تيار» السياسة الجارف. والحال أن موقف هؤلاء الشباب العاطل، حتى وإن كان يُخْتَزَلُ في عبارة: «لا شأن لي بالسياسة «، ينطلق من فهم معين للسياسة، وينطوي ضمنيا، بل ويجسد واقعيا، موقفا من السياسة كما تمارس اليوم في الدولة وفي المدينة والحي.

وقد سبق لبعض الدراسات ان كشفت عن هذا الموقف الحذر للشباب من المشاركة السياسية في مختلف أبعادها (الانخراط في الحزب السياسي أو المشاركة في الانتخابات...الخ)، فعلى سبيل المثال طُلِب من المستجوبين، في بحث سوسيولوجي، التعبير عما إذا كانوا يرغبون في الانخراط في منظمات ذات طبيعة مدنية أو سياسية وكان على الاختيار ألا يكون حصريا: حيث تمت دعوة المستجوب إلى الاختيار ضمن لائحة تضم الحزب السياسي، والنقابة، والتعاونية، وأربعة أنواع من الجمعيات. فكانت النتائج كما يلي:

10% فقط من المستجوبين عبروا عن رغبتهم في الانخراط في حزب سياسي و% 12 في نقابة، والنسبة الأكثر ارتفاعا تم تسجيلها لصالح الجمعيات (ما بين% 32 و41%) ولصالح التعاونيات36%. وهكذا فنسبة الأشخاص الراغبين في الانخراط ضمن الإطارات التقليدية للعمل السياسي (حزب سياسي ونقابة) تظل ضعيفة. وعلى العكس، فإنها ترتفع بوضوح حين يتعلق الأمر بالعمل الجمعوي، مما يعني وجود تراتبية قائمة بشكل ضمني بين حقل السياسة الذي تقلصت جاذبيته وحقل المجتمع المدني الذي صار أكثر جاذبية[116]، هذا على الرغم من الوضع المفارق لمثل هذا الموقف السلبي من المشاركة السياسية، الذي ينطلق من الشك والحذر تجاه الأحزاب السياسية و ينتهي إلى العزوف عن الانخراط في كل ما يمت للسياسة بصلة، وضع مفارق طبعا بالقياس إلى الأهمية التي لهذه الكيانات السياسية، التي تمنح للحقل السياسي ديناميته، والتي تمثل التجسيد العملي للدائرة الأكثر مرئية من المشاركة السياسية[117]...

وفي هذا الصدد أكد عدد لا بأس به من المشاركين والمشاركات في البحث الميداني على تفضيل الانخراط والمشاركة إما في العمل المدني الذي يمنح، في اعتقادهم، مساحة للأفراد من أجل تفريغ طاقاتهم والتعبير عن آمالهم وانتظاراتهم، أو في بعض التعبيرات الحضرية مثل «الإلتراس».

ونشير في هذا الصدد إلى انتماء عدد من المبحوثين، على غرار أقرانهم من شباب حي المدينة العتيقة، وباقي أحياء مدينة سلا الاخرى، إما إلى «إلتراس عسكري» و»بلاك أرمي» المشجعة لفريق الجيش الملكي المحسوب جغرافيا على مدينة الرباط، أو إلى «إلتراس بيراتس»(القراصنة) المشجعة لفريق الجمعوية سلا.

115 P. Bourdieu « penser la politique », Actes de la recherches en sciences sociales, n 71 /72, mars 1988.

116 أنظر على سبيل المثال، في مجال السوسيولوجيا بحث:
رحمة بورقية وآخرون «التقرير التركيبي للبحث الوطني حول القيم» ضمن المؤلف الجماعي «المغرب الممكن: 50 سنة من التنمية البشرية وآفاق سنة 2025، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2006.

117 Rahma Bourqia, Culture politique au Maroc, à l'épreuve des mutations, éd L'Harmattan, Paris, 2011. P77.

والالتـراس هنـا، يشـير الـى شـكل تنظيمـي شـبابي واحتجاجي، ينطـوي على عالـم غير متجانـس، وصعب الاختـزال فـي كيـان نمطـي. ففيمـا وراء اختلافـات الأصـول والأوضـاع الاجتماعيـة للمنتسـبين للالتـراس، وتنـوع أشـكال تنظيمهـا وأسـاليب التعبيـر عـن أنشـطتها، تشـترك الالتـراس فـي عـدد مـن السـمات مـن بينهـا سـن أعضائهـا الشـبابي، وارتباطهـا الشـديد بناديهـا، وثقافـة أعضائهـا الكرويـة وإلمامهـم بعالـم كـرة القـدم وبتفاصيـل حيـاة ناديهـم، كمـا تشـترك الالتـراس فـي اعتمـاد رمـوز وطقـوس خاصـة بها(فـي اللبـاس، والموسـيقى، والشـعارات والألـوان...)، كمـا تتميـز بارتبـاط اعضائهـا الوجدانـي القـوي بجهـة معينـة مـن الملعـب الـذي يحتضـن مبارياـت فريقهـم،[118] ولـو أن مـا يميـز التـراس مدينـة سـلا، ليـس «احتـلال» زوايـا وجهـات بعينهـا فـي الملعـب، وانمـا سـعيها إلـى «احتـلال» مناطـق بعينهـا فـي أحيـاء المدينـة. وهـذا الـذي يفسـر الاصطدامـات التـي تحـدث بيـن الفينـة والاخـرى بيـن التـراس فريـق الجمعيـة السـلاوية، وإلتـراس فريـق الجيـش الملكـي. إذ، ترفـض التـراس الجمعيـة السـلاوية أن يمـارس جمهـور الفريـق العسـكري المحسـوب جغرافيـا علـى الربـاط نشـاطاته بحريـة فـي مدينتهـم التـي تضـم المركـز الرياضـي للجيـش الملكـي بمنطقـة المعمـورة، خصوصـا وأن «إلتـراس» فريـق الجيـش الملكـي ذي نـزوع توسـعي، إذ يتواجـد فـي كل المـدن المنتميـة إلـى «الربـاط الكبرى»(مـدن الربـاط وسـلا وتمـارة والصخيـرات وتامسـنا وعيـن عودة...الـخ). وغالبـا مـا يتمحـور الصـراع بيـن الالتـراس، الـذي يجـري فـي الأحيـاء الشـعبية بمدينـة سـلا، حـول مـا يسـمى بـ «الطـاغ»، وهـي رسـومات غرافيتيـة عملاقـة، تحـرص كل مجموعـة علـى وضعهـا علـى بعـض البنايـات داخـل الأحيـاء كتأكيـد علـى سـيطرتها علـى هـذه المنطقـة مـن الحـي أو تلـك..

وسـواء فـي حالـة الانخـراط فـي العمـل المدنـي أو الانتمـاء الـى الالتـراس، يتعلـق الأمـر، حسـب المشـاركين والمشـاركات، باختيـارات طوعيـة لفضـاءات وآفـاق أرحـب وأوسـع، تتيـح إمكانـات وفرصـا مـن أجـل تطويـر الـذات علـى مجموعـة مـن الأصعـدة عكـس الأحـزاب وعالـم السياسـة.

ومـن هـذا المنطلـق، يؤمـن الشـباب عمومـا بفكـرة الالتـزام ويثـق فـي التنظيمـات المدنيـة، كمـا أكـدت ذلـك العديـد مـن الدراسـات. غيـر أن نسـبة انخراطهـم الفعليـة هـي غالبـا أقـل مـن نواياهـم المعلنـة للمشـاركة[119]. هـذا عـلاوة علـى أن انخـراط الشـباب فـي الجمعيـات هـو غالبـا مـن أجـل تحقيـق الـذات أو مـن أجـل الترفيـه عبـر ممارسـة الأنشـطة الرياضـة أو الثقافيـة أو الفنيـة، أكثـر عمومـا ممـا ينخـرط فـي الجمعيـات التـي تسـعى لخدمـة القضايـا الجماعيـة والتـي تهتـم بمصيـر الفئـات الاجتماعيـة التـي فـي وضعيـة هشاشـة (الشـباب والشـابات العاطلـون عـن العمـل، المهاجـرون، النسـاء المعنفـات...)...

وتجـدر الاشـارة هنـا إلـى أن تطـور العمـل الجمعـوي فـي المجتمعـات الحديثـة، غيـر مفصـول عـن تطـور الوقـت الحـر، وعـن التحـولات التـي عرفهـا عالـم الشـغل، فالعمـل الجمعـوي، كمـا أكـد الباحـث جـون فيـار، هـو جـزء لا يتجـزأ مـن « الإبداعيـة الغنيـة التـي يتـم خلقهـا خـارج أوقـات العمـل»[120]، أي فـي الوقـت الحـر الـذي يشـمل المسـاء، ونهايـات الأسـبوع والعطل...الـخ. لهـذا فطبيعـي ان يشـعر الشـاب العاطـل، المقصـي مـن الشـغل، أنـه مقصـي أيضـا مـن باقـي دوائـر الحيـاة الاجتماعيـة، فيميـل

118 هـذا مـا تؤكـده الابحـاث االسوسـيو-انثروبولوجية التـي تناولـت ظاهـرة «الالتـراس» مـن منظـور مقـارن. انظـر علـى سـبيل المثـال: - Christian Bromberger, Le match de football, Etnologie d'une passion partisane…, éd de la Maison des sciences de l'homme, 1995 (édition numérique 2015), p.314-

119 Olivier Galland, Parlons Jeunesse en 30 questions, éd Direction de l'information légale et administrative, Paris, 2013.p 62.

120 Viard Jean, le sacre du temps libre :la société des 35 heures, éd de L'aube poche, 2004. P.11.

إلى قطع طوعي لعلاقاته الاجتماعية ولكل أشكال المشاركة في الحياة الاجتماعية، بما في ذلك المشاركة المدنية والسياسية كما قلنا سابقا. خصوصا وأن هذه المشاركة، لا تفترض فقط استقرارا اجتماعيا واستقلالية مالية، بل تتطلب تكلفة مادية (اشتراكات ومساهمات مادية، مصاريف التنقل، تضحية مادية...الخ) غير متاحة له دائما.

فالبطالة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لا تؤثر على الصحة النفسية للشاب العاطل وعلى علاقاته الاجتماعية مع الأسرة والأصدقاء، بل تطال جانب المشاركة في الحياة الاجتماعية، بما فيها المشاركة المدنية والسياسية: سواء تعلق الأمر بالنشاط الاحتجاجي، أو بالفعل النضالي السياسي، أوالنقابي أو بالمشاركة في الحياة الجمعوية[121]...

مسألة أخرى يتعين استحضارها هنا لفهم علاقة الشباب العاطل اليوم بالعمل المدني وبالفعل الاحتجاجي، هي أننا نشهد اليوم تحولا في أشكال الالتزام والفعل المدنيين، فالأفراد ينزعون أكثر فأكثر نحو التحرر من الأطر الاجتماعية، والمرجعيات الايديولوجية التي تحكمت طويلا في الالتزام النضالي engagement militant (المرجعية الماركسية كمثال).

ولعل من المميزات الأساسية للالتزام الجديد، الموسوم لدى بعض علماء الاجتماع بالالتزام مع الابقاء على مسافة engagement distancié مع التنظيمات المدنية ومع أشكال الفعل الجماعي[122].. فهذا النمط من الالتزام ينشأ في إطار عمل جماعي يروم بلوغ أهداف مشتركة وليس في سياق إيمان قبلي بنظام إيديولوجي كيفما كان، كما أنه يتميز بطابعه اللحظي وغير المهيكل حيث تحل في الغالب الروابط الشخصية محل الانتماء إلى التكتلات الاجتماعية الكبرى، كما أنه التزام براغماتي، يرتبط أكثر بما هو محلي[123]، وينزع أكثر نحو المهنية منه نحو النضالية. فالشاب عموما، كان عاطلا أم لا، لم يعد مستعدا للتضحية «بلا حدود»، وإنما مستعد مبدئيا للتضحية في وقت ما، ومكان بعينه، وفي ظل شروط محددة، وضمن حدود معينة، لا يمكن تجاوزها.

وانطلاقا مما سبق، يلاحظ فعلا استمرار اقتناع نسبة مهمة من المشاركين والمشاركات بجدوى النشاط الاحتجاجي من أجل المطالبة بالتشغيل، واعتبار الاحتجاج «السبيل الأوحد الممكن والمناسب لتحقيق المطالب، ولو تعلق الأمر بالحد الأدنى من المطالب»، كما ورد، على لسان أحد المبحوثين:

«في رأيي الاحتجاج في المغرب يعطي أكله، خصوصا في بعض المحطات، مثل تجربة حركة 20 فبراير.... التي أعطت نتيجة على مستوى تغيير الدستور...لكن عدا بعض المحطات والحالات... فإن الاحتجاجات عموما، لا تحقق المبتغى بشكل كامل...فالاحتجاجات غالبا ما تكون عبارة عن احتجاجات مرحلية بطموحات مرحلية ونتائج مرحلية...رغم ذلك، يبقى ان للاحتجاجات على

121 Jérôme Gautié, Le chômage, op, cit. p.46.

122 Maud Simonet, le monde associatif : entre travail et engagement, in « sociologie du monde du travail », éd quadrige-PUF, 2006. p194

123 Bulletin d'information de la conférence permanente des coordinations associatives, Etat des lieux de l'engagement associatif, N3, juillet-aout ,2002, pp 27-.

الأقل فضل تكسير حاجز الصمت والتعبير عن الغضب وإسماع الصوت، وتجسيد شكل من التأثير على السياسات العمومية والضغط عليها، حتى وإن لم تحقق أهدافها فعلا وبشكل كامل...»

وكما ورد على لسان مبحوث آخر:

«أحيانا يتولد لدي شعور بأنه ليس هناك أي جدوى من الاحتجاج... فقط يتم قمع المحتجين بدون نتيجة تذكر، مثلا احتجاجات اساتذة التعاقد، فبعد سنوات من الاحتجاج لم يحصلوا على شيء عدا القمع المفرط وبعض الاعتقالات في صفوفهن...».

وإذا كان الاتجاه العام الذي يمكن استنتاجه بخصوص علاقة المشاركين والمشاركات في البحث الميداني، بالأنشطة الاحتجاجية هو ضعف المشاركة أو عدم الرغبة في المشاركة، رغم الإقرار بأهمية الاحتجاج لتحقيق المطالب، فإن هذا الموقف يبدو مبررا، إن لم نقل عقلانيا، إذ يعزى إلى مجموعة من المبررات التي ساقها المبحوثون، لعل من أبرزها ما يلي:

الخوف من تبعات المشاركة في الأنشطة الاحتجاجية، والتي قد تصل إلى حد الحرمان أو الاقصاء من الشغل ووضع قيود أمام الاستفادة من بعض الحقوق (الحصول على أورق رسمية...)، وأمور أخرى غير متوقعة في نظرهم؛

النشاط الاحتجاجي لا يؤدي إلى تحقيق مكاسب كبيرة، إذا قارنا أهدافه ووسائله مع النتائج التي يمكن تحقيقها،

خطر التعرض للقمع والتعنيف، بل وإمكانية الاعتقال، هذا بغض النظر عن قانونية الاحتجاج

غياب الثقة في الجهات (السياسية والمدنية او غيرها ...) الداعية للاحتجاجات، وعدم وضوح غاياتها أحيانا، غير مشجعين على المشاركة؛

ضبابية الوضعية الحقوقية بالبلاد وعدم وضوحها، ثم هيمنة المقاربة الأمنية غير مشجعان على الانخراط في الاحتجاج؛

الاحتجاج وسيلة غير شرعية للتعبير، من الأفضل اعتماد وسائل تعبير قانونية، عبر القنوات السياسية القانونية (مجالس منتخبة (بلدية، برلمان)، آليات الديموقرطية التشاركية (عرائض، هيئات التشاور العمومية...إلخ) ...

فكما يؤكد أحد المبحوثين:

«هيمنة المقاربة الأمنية على أية مقاربة أخرى (مقاربة اجتماعية أو حقوقية...الخ) يجعل أحيانا عدد أفراد الشرطة أكثر من عدد المحتجين، نجد أنفسنا أمام تشكيلات من قوى حفظ الأمن المختلفة، تشمل أفرادا من الشرطة ومن القوات المساعدة، ومن أعوان السلطة...»

هـذا، ولـو أن هنـاك مـن المسـتجوبين مـن يرفـض الاحتجـاج ويعتبـره ممارسـة غيـر شـرعية. والواقـع أن هـذا الـرأي، رغـم أنـه يمثـل أقليـة، إلا أنـه يتماهـى مـع توجـه فكـري يـرى أن النـزول إلـى الشـارع مـن أجـل الاحتجـاج، وسـيلة غيـر شـرعية للتعبيـر، والتفـاف علـى القنـوات التقليديـة لتمثيـل المصالـح، ويعتبـر بـأن كل وسـيلة للتعبيـر غيـر آليـات الديموقرطيـة التمثيليـة، أي التصويـت والانتخابـات بشـكل عـام، أو حتـى عبـر آليـات الديموقراطيـة التشـاركية، هـي خـروج عـن روح التعاقـد العـام المؤسـس للمجتمـع، وهـي وسـيلة تعبيـر فـي يـد جماعـات محـدودة، لا ينبغـي أن تفـرض نفسـها علـى الآخريـن، بالنظـر إلـى أنهـا لا تعبـر عـن التوافـق العـام. ففـي نظـر باحـث مثـل جيوفانـي سـارتوري Giovanni Sartori: «خـارج الانتخابـات، الأصـوات التـي تُسْـمَع هـي أصـوات أقليـات أو نخـب، إنهـا أصـوات جـزء فقـط مـن الشـعب، وحتـى لـو ضمـت ملاييـن المتظاهريـن، فهـؤلاء ليسـوا هـم الشـعب (مـا دام أن ملاييـن آخريـن يظلـون صامتيـن) ...» [124].

غيـر أن سـير وتطـور مجتمعاتنـا، كمـا نعاينـه كل يـوم مباشـرة أو مـن خـلال قـراءة الصحـف والاطـلاع علـى مختلـف وسـائل الإعـلام، لا يختـزل فـي الانتخابـات وفـي الالتـزام السياسـي فـي إطـار تنظيمـات مُمَأْسَسَـة (الحـزب أو النقابـة أو الجمعيـة). فالمشـاركة السياسـة تتمظهـر ومـا تـزال تعبـر عـن ذاتهـا مـن خـلال أفعـال احتجاجيـة متعـددة. فقـد صـارت الاحتجاجـات، منـذ العقـود الأخيـرة مـن القـرن العشـرين عنصـرا أساسـيا مـن الحيـاة الديموقراطيـة فـي مجتمعاتنـا[125].

يتضـح مـن خـلال المواقـف المتباينـة نسـبيا للمشـاركين والمشـاركات فـي البحـث الميدانـي مـن الانخـراط فـي الاحتجـاج أو فـي العمـل الجمعـوي والحزبـي، أننـا بصـدد فئـة اجتماعيـة غيـر منسـجمة إلـى حـد مـا. وإذا اسـتحضرنا مـا انتهـت إليـه عـدد مـن الأبحـاث حـول ذات الموضـوع، نسـتنتج بأننـا أمـام شـباب عاطـل أكيـد، لكـن مختلـف مـن حيـث الدوافـع والرهانـات التـي تحركـه فـي هـذا المجـال، ومـن حيـث تصوراتـه وانتظاراتـه مـن العمـل الاحتجاجـي أو الحزبـي أو الجمعـوي.

لكـن يبقـى الالتـزام أو بالأحـرى الانخـراط فـي الاحتجـاج والعمـل الجمعياتـي والحزبـي، هـو تعبيـر عـن وعـي وعـن ايمـان بقيـم (الحريـة و والتضامـن، والتضحيـة، والانصـاف، واللاتمييـز، احتـرام الاختلاف....الـخ) ، لكنـه هـو ذاتـه قيمـة فـي ذاتـه، بـل مـن القيـم الجديـدة والصاعـدة الأكثـر انتشـارا فـي مجتمعاتنـا اليـوم، كمـا أنـه قيمـة بالنظـر إلـى مـا يتيحـه للشـابة أو الشـاب مـن امكانيـة لتحقيـق الـذات وللاندمـاج والاعتـراف الاجتماعـي عبـر المشـاركة الحـرة والطوعيـة فـي الفعـل الجماعـي (النشـاط الاحتجاجـي، العمـل الحزبـي أو الجمعـوي)، وبالنظـر إلـى أنـه وسـيلة لممارسـة حقوقـه ومسـؤولياته باعتبـاره فـردا داخـل مجتمعـه (أو مدينتـه أو حيـه)، وفرصـة لاكتسـاب معـارف ومؤهـلات جديـدة، وتنميـة شـخصيته و تعزيـز اسـتقلاليته وإبداعيتـه.[126] إذ لا ينبغـي أن ننسـى أن أشـكال الفعـل الجماعـي (الاحتجاجـي أو الحزبـي أو الجمعـوي) هـي مـن حيـث المبـدأ فضـاءات للتنشـئة الاجتماعيـة وللتعلـم، ففـي نظـر الباحـث جلبيـر غاربـال[127]: نحـن لا نأتـي إلـى التنظيمـات التطوعيـة فقـط مـن أجـل «العطـاء» والتضحيـة، وإنمـا أيضـا نبحـث عـن شـيء ، وفقـا لانتظاراتنـا ذاتهـا. فالعطـاء أو التضحيـة بالمـال

124 ورد عند: Olivier Fillieule, Stratégies de la Rue, Les manifestations en France, éd Presses de Sciences Po, 1997.p16

125 Ibid, p 1617-.

126 Dan Ferrand-Bechmann, le Métier de bénévole, éd Economica, collection Anthropos, 2000.p15

127 Gérard mesnil, Introduction, in Gilbert Garibal, bénévolat : mode d'emploi, éditions de Vecchi-Paris, 2004. p.9

والجهد، ووضع الذات رهن إشارة الغير، وبذل الطاقة...الخ، هي كذلك، وفي كل الحالات، أخذ واكتساب وتعلم...

وفي هذا الصدد، اعتبر المستجوبون بأن تجربة الانخراط في الفعل الاحتجاجي للمطالبة بالتشغيل أو للمشاركة في العمل الجمعوي والحزبي، بغض النظر عن الصعوبات والتحديات التي تقترن بها، تشكل دائما تجربة مفيدة للشباب، ليس فقط بما تتيحه لهم من فرص للتعبير والفعل وللتعاون وللتضحية (بالوقت والجهد والمال) وللمساهمة بالتالي في التغيير...الخ، وإنما أيضا بما تسمح لهم من تجريب لأدوار جديدة ولنسج لعلاقات أكثر اتساعا وتنوعا، ومن اكتساب لخبرات وتعلم لمعارف وقدرات ومهارات حياتية، فبفضل تلك التجربة أمكن لهم مثلا:

- تعلم طرق الترافع من أجل الدفاع عن الحقوق (من ضمنها أو على رأسها الحق في الشغل) والمطالبة بها؛
- تعلم القدرة على التعبير عن الرأي بشكل واضح وصريح تجاه القرارات والسياسات العمومية أو تجاه أفكار معينة؛
- تعلم قيمة المسؤولية تجاه الذات والغير؛
- اكتساب قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان واستدماجها، في أفق تجسيدها على مستوى الخطاب والممارسة والتعامل مع الغير؛
- تعلم عملي لقيم التضحية والتضامن والغيرية؛
- تعلم المزاوجة بين المطالبة بالحقوق والقيام بالواجبات؛

يتضح كل ذلك من خلال ما ورد على لسان المبحوثين:

> «تعلمت أن أترافع. فالحق ليس منة من أحد. الحق يؤخذ وينتزع...بالأخص لما تعيش في دولة مثل المغرب، فمن الصعب أن تنعم بحقوقك الأساسية بدون نضال، فمثلما تعلمنا منذ الجامعة (ما ضاع حق وراءه مطالب) ...»
>
> « تعلمت أن أعبر عن رأيي بشكل واضح تجاه سياسة عمومية معينة وضد فكرة معينة، كما تعلمت أن أناضل من أجل تجسيد رأيي، أن يكون لدي صوت ورأي وحضور في المجال الذي يهمني ويمسني... لذا من الضروري أن نترافع وأن نحتج لأجل تحقيق حقنا في شغل كريم ومنصف، ومن أجل تحقيق الديمقراطية وتجسيد حقوق الإنسان بشكل ملموس...»

وتؤكد أجوبة المبحوثين هنا، ما سبق أن أبرزته دارسات سابقة128، حيث تؤثر درجة الوعي والانخراط في الاحتجاج والعمل الجمعياتي والحزبي في قدرة الشباب على التحليل والفعل. الأمر الذي يفسر الاختلاف الكبير الموجود بين الشباب الذين يعتبرون البطالة كنتاج لفشل شخصي أو قدر أعمى، وما يتولد عن ذلك من شعور بالذنب أو السلبية ومن احباط وقتل للأمل، وبين

128 Jérôme Gautié, Le chômage, éd La Découverte, Paris, 2015.p 47.

أولئك الشاب، ومنهم جانب مهم المبحوثين، والذين يروا في البطالة تعبيرا عن منطق النظام الاقتصادي وعن الاختيارات السياسية المعتمدة في مجالات التشغيل والتكوين، والذين يواصلون النضال من أجل تغيير واقعهم في اتجاه الأفضل، أو على الأقل يعون أهمية ذلك، ويطمحون بالتالي إلى خوض التجربة، وتجاوز مختلف الصعوبات والتحديات التي تقترن بها...

المراجع المعتمدة

André Adam, une enquête auprès de la jeunesse musulmane au Maroc, Aix-En-Provence, Annales de la Faculté des Lettres, 1962.

Authier Jean-Yves. Le quartier à l'épreuve des «mobilités métapolitaines». In : Espace, populations, sociétés, 1999-2. Les mobilités spatiales. pp. 291-306.

Barthélemy Martine, association : un nouvel âge de la participation ? éd Presses de Sciences Po, Paris –Collection Académique, 2000.

Bulletin d'information de la conférence permanente des coordinations associatives, Etat des lieux de l'engagement associatif, N3, juillet-aout ,2002.

Christophe Stener, jeune, in Ouvrage Collectif, Dictionnaire politique d'Internet et du numérique, Les 66 enjeux de la société numérique, coordonné par Christopher Stener, éd La Tribune, 2010. P 69 - 70.

Dan Ferrand-Bechmann, le Métier de bénévole, éd Economica, collection Anthropos ,2000.

Dominique Schnapper, Qu'est-ce que l'intégration ? éd Gallimard, Paris, 2007.

François Dubet « Des jeunesses et des sociologies. Le cas Français » in Sociologie et sociétés, vol. 28, n° 1, 1996, p. 23-35.

François Dubet, La Galère : jeunes en survie, Paris, Fayard, 1987.

Frédéric Vairel, Le Mouvement du 20 février : vitalité et limites des protestations marocaines, in Ouvrage Collectif, Soulèvements et recompositions politiques dans le monde arabe, Sous la direction de Michel Camau et Frédéric Vairel, éd Les Presses de l'Université de Montréal, 2014.

Gérard mesnil, Introduction, in Gilbert Garibal, bénévolat : mode d'emploi, éditions de Vecchi-Paris, 2004.

Gilles Pronovost, L'univers du temps libre et des valeurs chez les jeunes, éd Presses de l'université du Québec , 2007.

Hassan Rachik, Jeunesse et changement social, in 50 ans de développement humain, Perspectives 2025, Rapports thématiques, Société, Famille et Jeunesse, pp. 193-215

Jérôme Gautié, Le chômage, éd La Découverte, Paris, 2015

Kennth L. Brown « Les gens de Salé. Les Slawis : Traditions et changements », éd Eddif, Casablanca, 2001.

Maud Simonet, le monde associatif : entre travail et engagement, in « sociologie du monde du travail », éd quadrige-PUF ,2006.

Michel Fize, Le deuxième homme, réflexions sur la jeunesse et l'inégalité entre génération, éd Presse de la Renaissance, Paris, 2002. p118.

Mme Diane-Gabrielle Tremblay, économiste "Chômage, flexibilité et précarité d'emploi: aspects sociaux". In Ouvrage Collectif, Traité des problèmes sociaux, sous la direction de Fernand Dumont et autres, éd de L'Institut québécois de recherche sur la culture, Montréal, 1994, pp. 623-652.

Montserrat Emperador Badimon, Les diplômés chômeurs et le Mouvement du 20 février au Maroc, in Ouvrage Collectif, Soulèvements et recompositions politiques dans le monde arabe, Sous la direction de Michel Camau et Frédéric Vairel, éd Les Presses de l'Université de Montréal, 2014.

Mounia Bennani-Chraibi, Soumis et rebelles, les jeunes au Maroc, éd CNRS, Paris, 1994.

Olivier Fillieule, Stratégies de la Rue, Les manifestations en France, éd Presses de Sciences Po, 1997.

Ouvrage collectif, Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen : loisirs, cultures et politiques, sous la direction de Laurent Bonnefoy et Myriam Catusse, éd La Découverte, Paris, 2013.

Olivier Galland, Parlons Jeunesse en 30 questions, éd Direction de l'information légale et administrative, Paris, 2013.

Olivier Galland, Les jeunes, éd La Découverte, Paris, 1987.

Ouvrage collectif, Penser la vulnérabilité: visages de la fragilisation du social, Sous la direction de Vivianne Chatel et Shirley Roy, éd Presses de l'université du Québec, 2008.

Paul Pascon et autres, ce que disent 296 jeunes ruraux, in Bulletin Economique et Social du Maroc, N 112-113, 1969.

Pierre Muller, Les politiques publiques, éd PUF, coll Que Sais-je ? 10e édition, 2013

Rahma Bourqia, Culture politique au Maroc, à l'épreuve des mutations, éd L'Harmattan, Paris, 2011.

R. Bourqia et autres, Les jeunes et les valeurs religieuses, éd Eddif-Codesria, Casablanca, 2000.

Rahma Bourqia, M. El Harras, et D. Bensaid, Jeunesse estudiantine marocaine, valeurs et stratégies, publication de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Rabat, 1995.

Robert Montagne, Révolution au Maroc, éd France Empire, Paris, 1953.p301.

Sophie Duchesne et Florence Haegelen, L'entretien Collectif, éd Armand Colin, Paris, 2009.

Paul Pascon et autres, Ce que disent 266 jeunes ruraux, in Bulletin Economique et social du Maroc, Janvier-Juin, 1969, p1-144.

P. Bourdieu « penser la politique », Actes de la recherche en sciences sociales, n 71 /72, mars 1988.

Ulrich Beck « la société du risque : sur la voie d'une autre modernité » tr de laure Barnardi éd Flammarion –Coll champs-2001.

Viard Jean, le sacre du temps libre :la société des 35 heures, éd de L'aube poche, 2004.

Waterbury, John, Le commandeur des croyants, La monarchie marocaine et son élite, Paris, Presses Universitaires Françaises, 1975,

Youssef Courbage et Emmanuel Todd, Révolution culturelle au Maroc : le sens d'une transition démographique, in Fondation Res Publica I vendredi 23 février 2007.

منوغرافية جهة الرباط سلا القنيطرة، منشورات المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية الرباط سلا القنيطرة، 2017.

تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، تشغيل الشباب، 2011.

تقرير النموذج التنموي الجديد، تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع. التقرير العام، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي. أبريل 2021.

بوخريص فوزي، العمل غير المهيكل بالمغرب، ضمن راصد الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في البلدان العربية، العمل غير المهيكل، منشورات شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية، بيروت، 2016.ص436-470.

جسوس محمد، الشباب وتحولات المجتمع المغربي، ضمن مؤلف، طروحات حول المسألة الاجتماعية، منشورات الأحداث المغربية، سلسلة كتاب الشهر عدد 6، 2003، ص71-72.

منشورات هيومان رايت ووتش، تقرير «حرية تكوين الجمعيات: نظام تصريحي بالاسم فقط»، أكتوبر- 2009.

بورقية رحمة وآخرون «التقرير التركيبي للبحث الوطني حول القيم» ضمن المؤلف الجماعي «المغرب الممكن: 50 سنة من التنمية البشرية وآفاق سنة 2025، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2006.

الهاتف: 905 964 71

العنوان: نهج بحيرة فيكتوريا، إقامة فلامنغو، مكتب عدد 21، ضفاف البحيرة 1053 تونس

البريد الإلكتروني: tunisia@international-alert.org

الموقع الإلكتروني: www.international-alert.org

/InternationalAlert @intalert